7 مراحل لتصبح قاتلاً

رواية

محمد حياه

دارك

المقدمة

«العتمة، كم هي جميلة، هل سألت نفسك هل العتمة فقدان الضوء أم الحالة التي تصبح فيها فاقدًا للنظر؟ هل تعلم ان للعتمة درجات ألوان وليس كما تراها؟ وإذا اردت أن تتأكد من ذلك لا تذهب لكفيف وتحرجه بسؤالك هذا، كن مهذبًا وافقع عينيك بيدك حتى تتأكد او تنفي ما اخبرتك به، فأنت لن تدرك شعور احدهم بكارثة إلا عندما تكون الكارثة جزءًا منك، هذا ما تعلمته منذ صرختي الأولى التي لم أنل حظ سماعها، ولكني اعتبرها نقطة زمنية أستطيع ان أذكرها كحدث البداية.

إمضاء/ المجهول

الفصل الأول

القاهرة

درجة الحرارة 42

بداية يوم لشمس حارة تتصف سماء القاهرة. وبداخل شقة بإحدى البنايات الفاخرة في وسط البلد كان «رؤوف» يستيقظ من نومه وهو يشعر بألم شديد في جسده. يغمره العرق والإرهاق. فيقوم من فراشه و قدرته على فتح عينيه هي شيء شبه مستحيل من أثر التعب والألم. يتوجه إلى الحمام في ظلام الغرفة لشعوره بالاحتياج للاستحمام. يمسك المنشفة ويقترب من المرآة التي تسترت ببخار الماء. فيمسحها وما إن مرت يديه حتى ظهر وجهه شيئا فشيئا؛ فكانت المفاجأة التي أدهشته لاحظ في عنقه ووجهه جروحا ليست من فترة بعيدة. وكدمة زرقاء تحت عينه اليسرى؛ اقترب اكثر ليتفحصها ويقتل الشك الذي بداخله، متسائلا ما سببها، وما مصدرها.

يلتف بالمنشفة ويفتح باب الحمام. فيتسلل ضوء الحمام من خلفه إلى غرفة النوم المظلمة ليضيء اجزاء كثيرة منها. فيظهر تناثر أغراض الغرفة في كل مكان. زجاجات العطور مهشمة ومنثورة بعشوائية على الأرض، ولكنه لاحظ شيئا غريبا وجده على مرآة التجميل؛ فاقترب منها بتذبذب وريبة، فقد كُتب عليها بقلم شفاهٍ أحمر «أنت ملكي»، ما زال القلم مفتوحا بجانبها، لكنه عندما تأمل العبارة أكثر ودقق النظر بانعكاس المرآة، وجد جسدًا يتضح أنه لامرأة ترقد بجوار الفراش على أرضية الغرفة ترتدي رداء نوم، التفت خلفه وهو يبلع ريقه، فوجدها جسدًا لا يعرف للحياة معنى؛ اقترب منها وهو يرتجف خوفًا بينما تقتله الدهشة، تلك السيدة ذات الشعر الأحمر والبشرة البيضاء يقتل جمالها جحوظ عينيها المرعب، لامس عنقها الذي تلوّن بألوان الكدمات الزرقاء ليتفحص أنفاسها فوجدها قد فارقت الحياة، امتلأت عيناه بالدموع، وتملكت يديه وجسده رعشةً لا يعرفها إلا من فقد عزيزًا لديه، جلس بجانبها على الأرض، مسك كفيها

فقبلهما قبلة مرتعشة، أخذها في حضنه، بينما شفتاه تهتزان انفجازا من بكائه الذي سبقته صرخة نابعة من صدره، فإن تلك المرأة هي زوجته الحبيبة «شروق»

ضمها إلى حضنه ودموعه تجري إلى جبينها لتودعها هي أيضًا؛ ثم أمسك وجهها ناظرا إليها باستعطاف وندم قائلا:

- لست أنا من فعلها يا حبيبتي، أقسم لك لست أنا.

ثم عاد واحتضنها بشدة وزاد في البكاء الهيستيري، وعندما استطاع أن يلتقط انفاسه بشكل أهدأ، مد يديه اسفلها وحملها ببطء وحرص شديدين وكأنها شيء هش قابل للكسر، خرج بها من الغرفة وهو ينظر لها بندم، وبينما هو يمر بين الغرف توقف ليلمح ما بداخل الغرفة التي بجواره، والتي كان بابها مفتوح ففضح ما بداخلها هي ايضا من الفوضى، ولكنه يعرف تلك الغرفة، نعم إنها غرفة ابنه «ثيم» الذي لم يتجاوز الأربع سنوات، استطاع ان يلملم شتات نفسه وتحرك، ودلف للغرفة وهو بداخله شيء لا يريد أن يتخيله أو يصدق حدوثه، ازدادت رعشة جسده وهو يدنو من فراش ابنه، والذي وجده ما زال به وفي يده اليمنى لعبته ورفيقته الوحيدة، لعبة الرجل العنكبوت التي يعشقها، لكنه لم يستطع أن يرى وجهه المختفي تحت وسادته الصغيرة.

زاد بكاؤه المرتقب للانفجار عندما وضع جسد شروق الصامت بجانب ابنه ثيم؛ ليرفع عن وجهه الوسادة وقد تبقى لديه بعض من فتات القوة ليفعل ذلك، أغمض عينيه ليحاول ألا يرى ما يتوقعه، ويداه تستجيبان لهذا التوقع في ارتجاف قاتل، فيرفعها ببطء ليجده فاقدًا لكل شيء، فاقدًا للحياة بكل ما كانت تعني، سقط بينه وبين زوجته وهو يحتضنهما ويبكي بشدة، ووسط بكائه قال:

- هو مَن جعلني أقتلكما بيدي، هو مَن أجبرني على فعل ذلك.

كرّر جملته الأخيرة مرتين، ثم التفت قائلا لابنه بحسرة وضياع:

- ثيم حبيبي، والدك لم يقترف هذا الجرم. كيف يقوم والدك حبيبك بذلك؟ أرجوك لا تغضب مني.

ثم نهض من مكانه وعيناه تنظران لأعلى، والتفت بصرخ يمينا ويسارا بغضب:

- لقد جعلتني أقتلهما بيدي، هل تظن أنك هزمتني؟ هل تظن ذلك؟ لن تأخذ مني شيئا آخر، ما أخذته مني كان كثيرا، هل تسمعني؟ كان كثيرا جدا.

***

«ليلة تفر علي كالعادة تبتسم بألوان الملل المتعددة، الملل الدائم الملازم لي، أحداث رتيبة كثيرة تشبه بعضها، ضابط مباحث مثلي يرافق ضابط مرور في كمين شرطة على الطريق، يا لها من سخافة.»

- باشا. عمر باشا.

كان هذا النداء من امين الشرطة «حامد» ليقاطع شرود الضابط «عمر المنياوي» ذا البنية القوية، وعينيه الضيقتان، وأنفه الحادة كهرم مقلوب، وشاربه الأسود الصغير، وشعره المنمق بعناية. فالتفت له في غضب، وألقى عليه سيجارته في حنق شديد والتي لم ينته منها بعد، لتصطدم بمنتصف صدر حامد الذي أسرع وحاول أن يمسكها ونجح في ذلك، ثم أطفأها في يده في لا مبالاة وقال وهو مبتسم ببرود متفان:

- أنا مرمدة سيجارة سيادتك، ما عليك سوى أن تؤمرني بذلك.

فيرمقه عمر بنظرة استعجاب وغرور، لقد استلذ كثيرا مما فعله من نفاق وذلك ظهر على وجهه من استحسان فقال محذرا:

- ماذا تريد؟

ألقى حامد التحية العسكرية في خوف، ثم قال بمسحة من التودد وهو يشير لإحدى السيارات العالقة بجانبي الطريق أن مالكها يستسمحه أن يعيد له رخصة قيادته، فادرك عمر ان حامد اخذ منه ما يكفيه من مال ليفعل ما يفعله الان، فاخبرد أن يعطيه رخصته بعد ان يدفع الغرامة، ثم نهض من جلسته واخبره أن يلحق به فلقد أوشكت الساعة على السادسة صباحا، يتحرك متجها نحو سيارة الشرطة ويشعل سيجارته وخطواته ثابتة وقوية وهو ينظر في غرور واشمئزاز من المشهد الذي هو فيه، المشهد الذي بات ليلته الفائتة يراقبه عن كثب حتى بعد بزوغ الفجر بساعتين. وصل لباب السيارة بجانب مقعد السائق، يلمح حامد وصوله للسيارة فينطلق مسرعا في اتجاهه، وعندما وصل لباب السيارة سمع رنين هاتف علم بعدها أنه قادم من هاتف عمر الذي توقف عن دخول السيارة وانتصب وهو ينظر لشاشة هاتفه مستغربا من اسم المتصل متسائلا:

- «رؤوف منتصر» الان يهاتفني؟

***

- هيلين، يا هيلين، هيا استيقظي يا نجمة الصحافة الحمراء.

كانت هذه «ريهام» أخت «هيلين» توقظها من نومها لتحضر لهم الفطور، وذلك لعدم استطاعتها أن تحضره أو تقوم بأي نشاط يذكر لما بها من ضعف ورعشة يديها المستديمة وهالات عينيها الناتجة عن كثرة المهدئات التي تتناولها خلال الفترة الأخيرة والتي وصلت لإدمانها لتلك العقاقير، أصبحت أختها هيلين هي ذراعها الايمن في كل شيء؛ هي من تحضر وجبات الطعام لها ولزوجها وابن عمهما «ياسر»، والمسؤولة أيضًا عن إعطائها جرعات الدواء في مواعيدها، فبعد وفاة والديهما لم يبق سواها رغم أنها لم تشعر بحبهما لها كما كانا يحبان أختها هيلين وبالأخص والدها الذي كان قريبا من هيلين جدًا، وهذا خلق بعضًا من الحقد بداخلها، أما هيلين فكانت تحب ريهام كثيرًا ولا تحمل لها أي ضغينة.

استيقظت هيلين بالفعل وهي تحاول أن تفتح عينيها الواسعتين بصعوبة ليكشف عن لون عينيها المائل للاخضرار قليلا، تتصلب إحدى يديها في اتجاهات مختلفة قائلة في شيء من الحسرة:

- لماذا أيقظتني من أجمل حلم.

تضحك ريهام وترمقها بنظرة انها استوعبت ما تقصده، وتنظر للورقة التي تحتضنها وهي نائمة وتقول لها في سخرية خفية:

- أما زال هذا العاشق المجهول يرسل لك خطاباته الغريبة؟

ترد هيلين في ثقة وهي تلملم خصلات شعرها البنية قائلة:

- نعم، إنه شيء رائع، أن انتظر كل أسبوع متلهفة رسالة ومرفق معها قطعة بازل للوحة «القبلة الأخيرة - روميو وجوليت» لبرنارد ديكسي.

تتنهد بزفرة طويلة وهي مغمضة العينين ثم أردفت قائلة في نشوة:

- كم هو رومانسي، وكم هو يعرفني حقا.

تنظر لها ريهام وشعور بالغيرة يقتنص منها، فتحاول مضايقتها قائلة:

- ولكن أسلوبه قديم الطراز مجهولك هذا.

لم تنجح في استفزازها، وظلت هيلين في حالة الهيام المسيطرة عليها وجاوبتها بكل ثقة:

- بالعكس أسلوبه جديد في زمن اختفت فيه المشاعر والرومانسية الحقيقية، وأنا مبدئي «القديم أفضل»، ولقد وعدني أنه سيعلن عن هويته مع الرسالة المائة والتي ستحتوي على القطعة الأخيرة من اللوحة، لقد أحببت هذا المزيج من التشويق والرومانسية.

حاولت ريهام أن تكتم غيرتها الأنثوية، ولكنها فشلت وهاجمتها باستنكار:

- وهل تصدقينه؟ كيف وأنت صحفية في قسم الحوادث ألم تنتابك الريبة والشك من هذا؟ هل يستحق أن تصبري عامين حتى تعرفي هويته؟ هل

أنت مقتنعة بذلك؟

نهضت هيلين جالسة ويديها تتربع فوق بعضها أمام صدرها قائلة بغضب:

- نعم مقتنعة جدًا. لقد راودني الشك في بادئ الأمر وهذا طبيعي، ولكن عندما تفكرين في الموضوع كيف لشخص يرتب لكل هذا من أجلك فقط حتى يعلن عن مشاعره، ويدرك ان هذا لن يحدث إلا بعد عامين، فهذا يدل على ثقته فيما يفعل، وهذا ليس كثيرًا تلك الأيام.

ثم أشارت بإصبعين من يديها وأردفت قائلة:

- وثاني شيء انه يعرفني جيدًا وبالأخص حبي للعبة البازل، هذا ما جعلني متشوقة لمتابعة رسائله بشغف كبير.

ثم أشارت بثلاثة أصابع وهي تكمل قائلة:

- وثالث شيء والأهم انه استخدم الرسائل الورقية في زمن سرقت فيه مواقع التواصل الاجتماعي مشاعر الناس واقتصت منها الكثير، وهذا سبب ابتعادي عنها بشكل كامل، إنه يريد ان تصل مشاعره كاملة وهذا ما احترمته فيه.

شعرت ريهام بالهزيمة، وأنها قد نفدت منها أسلحتها واتجهت لمحاولة تغيير الموضوع، فاتجهت نحو باب الغرفة ثم التفت لهيلين وأشارت لها ورعشة يديها قد ازدادت قليلًا من التوتر الذي نتج عن هذا الصراع الحواري، قائلة في شيء من الملا مبالاة المزيفة:

- هيا أعدي لنا الفطور، أظن ياسر على وشك الاستيقاظ الآن.

تبتسم هيلين فتبرز وجنتيها بلونهما الوردي وتقول مازحة:

- حاضر ريهام هانم تحت أمرك، هم عشرون أسبوعًا يمضون واعرف عاشقي المجهول وحينها سوف أتزوجه وأتركك.

ريهام مستنكرة ما قالته هيلين في مرح:

- اتمنى.

نهضت بالفعل هبلين من الفراش وهي في طريقها إلى الحمام المتواجد بآخر غرفتها، توقفت لحظات وهي تنظر للوحة مستطيلة الشكل متوسطة الحجم مستندة على الحائط فوق سطح مكتبها، لوحة «القبلة الأخيرة - روميو وجوليت» لبرنارد ديكسي، ولكنها لوحة فنية من البازل غير مكتملة القطع، انتبهت لشرودها فأكملت طريقها إلى المطبخ، ولكن لم تطاوعها قدماها واتجهت مرة اخرى لفراشها، والتقطت الرسالة التي نامت وهي تحتضنها لتقراها مرة اخرى والتي كُتبت بقلم حبر احمر، تريد أن تعيد شحن مشاعرها مرة أخرى، فاغمضت عينيها، وأخذت نفسا عميقا، ثم فتحت عينيها وهي تزفر الهواء بداخلها بشكل بطيء وناعم، وبدأت في قراءتها:

«اعترافي التمانين «80

بكل لهفة وشوق وحنين

أعتـرف بأن روحي قد خلقت من أجـلك

أعشق تكوينك في قلبي، فكم كبرتِ يا صغيرتي

كم كبـرت مع نبــضي حتى أصبحـت حبيبتي

أعشــقك كما أنت.. أعشق حـروف اسـمك

أعشق عنادك، أعشق اختلافك عن نساء الكون

أعشق نبضك، فنبضك هو لي أكون أو لا أكون

كم أريد أن أسمعه عن قرب وأنا غريق خضنك

غـريق لا يطمع في الإنقــاذ وأعلن استسلامه

فإن انتحــاره في خضــنك هو أغـلى أحلامــه

نعم أعتـرف يا حبيبتي إنني شهـــيد حبـك

إمضـاء

المجهــول»

سرعان ما أفاقت من تلك الحالة عندما سمعت صوت رنين هاتفها، اتجهت مسرعة لتلحقه وترد على المتصل الذي يتضح أنها تعرفه جيدا.

- ألو صباح الخير يا حامد.

- صباح الخير يا استاذة هيلين. عندي لك خبر يستحق مكافأة كبيرة مثله.

تميل برأسها يمينا رافعة لحاجبها وتقول في نعومة مزيفة:

- سوف أعطيك ما تريد إذا كان خبرا يستحق فعلا.

- إنه خبر جديد حدث منذ لحظات قليلة.

تنطق وهي ضاغطة على أسنانها:

- أخبرني يا حامد ولا تختبر صبري.

- ضابط من إدارة الجوازات قتل زوجته وابنه ثم حاول شنق نفسه، ولكن تم إنقاذه، ولا أعلم هل سيعيش ام لا.

شعرت أنها جريمة تستحق إمكانياتها الصحفية وبدأت في ممارسة عملها وأولها الاستفسار، فنطقت متسائلة بعد أن لانت حدتها كثيرًا تحاول معرفة المزيد، ولكن رواغها حامد ولم يخبرها بشيء إلا بعد أن تأتي وتعطيه ما يريده فهذه هي شريعة المرتشين.

***

في غرفة تتمسك بتراثها القديم من أثاث وصور وكتب وتحف وأشياء ذاب اسمها مع التقدم المزيف لهذا العصر أو تناساها عمدا، هم كما هم منذ

أكثر من ثلاثين عامًا. وبينهم «عم أمين» نهض من سجدته لصلاة الضحى ممسكًا بسبحته لينهي بها تسبيحه وأذكار الصباح، فلقد نحت العمر من عظامه ما يكفي، ورسمت علامات الشيخوخة لوحة بديعة في ملامحه، وبخطوات بطيئة اتجه بها إلى جهاز المذياع ليديره على إذاعة القرآن الكريم الذي لا يوجد به موجة غيرها

ثم اتجه بسرعة تزيد عن سابقتها نحو المطبخ وهو يسمع تلاوة سورة «يس» بصوت الشيخ الحصري، وأعد كوبين من المشروبات الساخنة ثم أخرج من جيبه محفظته الجلدية ومنها أخرج صورة قديمة لفتاة في العشرين من عمرها نظر لها مبتسمًا قائلًا:

- صباح الخير يا ست الحسن، اشتقت لكِ مثل كل يوم، فهذا يومٌ جديد بدونك في تلك الدنيا، لكني أراكِ في كل يوم، فعينك أراها كما هي، واسعة برموش رسمت بريشة الخالق، وبياض عينين صافيين مثل قلبك، وبؤبؤ عسلي من شهد الجنة، انا ما زلت على وعدي امام الله حتى أخر يوم لي

قاطعه جرس بابه وصوت الزائر له من خلف الباب يقول صائحًا:

- افتح يا عم امين افندي، لقد وصل الفطور.

أغلق عم أمين محفظته وأدخلها في جيبه بتوتر ملحوظ، واتجه إلى الباب بسرعة بنفس خطواته المعتادة الرتيبة، وفتحه لأنس الذي ابتسم له قائلًا:

- صباح الياسمين.

- صباح البركة والخير في حياتك.

وعندما اقترب أنس من طاولة الطعام تفاجأ بكوبين المشروبات الساخنة فقال:

- لماذا تجهد نفسك؟ لقد اتفقنا مسبقًا أني سوف أحضر الأفطار، كم أنت عنيد يا أمين أفندي.

مستسلمًا لعتاب أنس رد قائلًا والابتسامة تنير وجهه:

- أيرضيك أن أظل جالسا كالصنم هكذا؟ على الأقل أساعدك بإعداد مشروبك الذي تحبه.

ثم صمت ليفكر في حيلة تخرجه من تلك الورطة، فابتسم له:

- أفندي! هههه، ذكرتني بالأستاذ عزيز عثمان.

- من عزيز عثمان هذا؟؟ زميلك أم صديقك؟؟

فضحك عم أمين لسببين أولهما لأن حيلته نجحت، وثانيهما لرد أنس عليه فأردف ضاحكا مستغربا هذا الجيل الذي لا يعلم شيئا عن تاريخه حتى لو بشيء يخص الفن، فأخبره بتاريخه الفني وبالأخص مشاركته في أوبريت الحبيب المجهول وبدأ في غنائه، فشاركه أنس في غنائه بعد أن تذكره وهو في حالة فرح تملأ عينيه، إلى أن رن هاتفه وتوقفا عن الغناء؛ ففتحه ليجيب على هيلين المتصلة بعد أن رحب بها، سألته في تردد:

- أدرك أني اتصلت بك باكرا، ولكني أحتاجك لمساعدتي.

فردّ أنس بنبرة تملأها السعادة قائلا:

- أمرك.

- هناك حادث كبير أريد أن أغطيه ولكن للأسف «كريم» المصور مساعدي اعتذر لسفره أمس لسبب طارئ، وهناك رجل أمن وعدني بإعطائي معلومات حصرية إذا قابلته الآن، فهل يمكن ان ترافقني في ذلك؟

فكر أنس لثوانٍ في الطلب ثم ردّ عليها بتردد:

- أنت تعلمين أني مجرد مدوّن بالجريدة على الإنترنت.

- أنت زميلي منذ كنا في كلية إعلام، وأعلم جيدا أنك تمتلك إمكانيات أكثر من ذلك، هيا يا أنس أم تريد أن تحرجني برفضك.

علم أنها استطاعت هزيمته وسوف يعلن استسلامه لطلبها فقال بثقة:

- بالطبع لا أستطيع إحراجك.

قالت في نشوة وفخر:

- هذا هو أنس زميلي الذي أعرفه، سوف أرسل لك العنوان ونتقابل هناك بعد نصف ساعة.

انهى أنس مكالمته ليجد عم أمين يتأمله، يريد أن يخبره انه لن يكمل معه الإفطار، ولكن يشعر بالإحراج الشديد، فحاول ان يستجمع قواه لكي يخبره بذلك فإذا بعم أمين سبقه، وربت على كتفيه وأمره ان يذهب فيكفيه أنه رآه واطمأن عليه، فارتمى أنس في حضن عم امين قائلا بتوؤد:

- أنا ليس لدي احد غيرك بعد وفاة والدي، ربنا يحفظك لي، انتظرني لن أتاخر.

- سأنتظر، فأنا مثلك ليس لدي سواك.

***

وقف أنس يراقب تزاحم سيارات الشرطة وتحركات أفراد الأمن شبه النظامية ينتظر وصول هيلين التي تأخرت عن موعدها بأكثر من 10 دقائق، وفجأة يكسر مثل انتظاره هذا خروج عمر من العقار بموقع الحادث شارد الذهن لم يلتفت لسرعة وتخبط من حوله، يمشي ببطء يكاد يتحرك، عينه تنظر للأرض ولكنها لا تراها، إنه شارد في شيء آخر، ظل هكذا حتى وصل لسيارته ففتح بابها، وقبل أن يدخلها وقف ناظرًا لأعلى في اتجاه العقار ليكمل شروده، وهنا يجد انس من يربت على كتفه فالتفت وإذ هي هيلين تقول في توؤد، وعيناها تضيقان قليلا

- آسفة، فقد كان الطريق مزدحمًا.

- لا ولا يهمك.

- تلك حقيبة كريم بها عدة التصوير كاملة.

- تمام.

تتابعه وهو يتفحص ما بالحقيبة ثم تراقب المشهد من بعيد، عيناها تُدوِّنان كل شيء بكل تفاصيله، وبينما هي ترسم هذا المشهد في ذاكرتها تلمح عمر في سيارته وهو شارد في مسدسه الملقى على تابلوه السيارة، وهنا يظهر على وجه هيلين الاستياء والنفور.

- عمر المنياوي! لقد انتهى اليوم قبل بدايته.

تثير تلك الجملة فضول أنس الذي تعكرت ابتسامته فقال متسائلًا:

- من عمر المنياوي هذا؟

تجاوبه هيلين وفي وجهها علامات اليأس وهي تدبره في اتجاه آخر وكأنها تتعمد الاختفاء.

- إنه الضابط الجالس بسيارته هناك على اليمين، اسمه عمر المنياوي ضابط مباحث يتعثر حظي العسر في القضايا التي تكون تحت يده، وهو يعاملني بأسلوب لا أطيقه وغير مفهوم.

- غير مفهوم! كيف؟

- ليست تلك المشكلة الآن، سوف أخبرك قريبًا، المهم الآن أني يجب أن أقابل حامد هذا، وآخذ منه اكبر قدر من المعلومات قبل أن يلاحظني هذا الضابط.

وبالرغم من ردها الذي لم يروِ ظمأه إلا أنه بدأ في محاولة ليطمئنها قليلًا:

- لا تقلقي فهذا الضابط لاحظت شروده، فقد كان ملفتًا للنظر وسط الصخب المسيطر على المشهد.

تمسك هيلين هاتفها وترسل رسالة لحامد أنها بالخارج تنتظره، فيجاوبها حامد في حينها بأنه سيكون عندها بعد ثوانٍ، وبالفعل يخرج حامد وهو

يمسك بيده هاتفه وكأن معه مكالمة. ويتحرك بهذا الشكل ظنا أنه هكذا لا يلفت الأنظار له حتى يصل بجوار هيلين وأنس ويشير لها بشكل سريع أن تبقى مكانها ولا تقترب، ثم تنحنح وبدأ يحدثها ناظرا في اتجاه معاكس عنهما، وكأنه يتحدث في هاتفه: فبدا حديثه بصوت هادئ معاتبا:

- ما كل هذا التأخير يا أستاذة هيلين. فلقد هاتفني مراسل جريدة «الفهم» ولكني رفضت أن أرد عليه، فلقد التزمت معك بكلمة شرف، ولكن صلاحية التزامي هذا كادت على النفاد.

تحاول هيلين أن تتمالك اعصابها قليلا، فتهدأ وتبدا بسؤاله راسمة ابتسامة مزيفة:

- لست احتاج لمثل تلك التمثيلية يا حامد فسوف تاخذ ما تريده، والآن أعطني ما لديك.

- أشكرك يا أستاذة، ولكنك لم تعزفيني بالأستاذ؟

تشير هيلين بيديها نحو أنس ثم ترجعها مرة أخرى سريعا متذكرة ما تقوم به من أداء دور للتخفي قديم الطراز، ثم تكمل قائلة:

- هذا أنس زميلي بالجريدة، وجاء بديلا عن كريم، فهو أمان لك لا تقلق، وانطق يا حامد بما لديك.

يخطف حامد نظرة نحو انس سريعا، ويردف قائلا:

- تشرفت بك أستاذي، ما حدث هو أن هناك ضابطا في إدارة الجوازات برتبة مقدم اسمه «رؤوف منتصر» قام بخنق زوجته بيده، ولقد لوحظ عدة كدمات بالرقبة وهذه ملاحظة مبدئية، وتم استبعاد أي طريقة أخرى حتى الآن، أما عن طريقة قتله لولده والبالغ من العمر 4 سنوات فكانت بكتم انفاسه بوسادة فراشه.

وبينما كانت هيلين تدون ما يقوله حامد بيديها بكل تركيز وسرعة وذلك لأنه لا يفضل التسجيل الصوتي لتجلب المسألة القانونية، هنا بادر أنس

بسؤاله وهو ينظر لهيلين كأنه يستأذنها فتميل هيلين رأسها بالموافقة وعيناها تلمعان فرحا بعودة زميلها لمجال الصحافة بعد ابتعاده عنه برغبته وانغماسه في قسم التدوين الإلكتروني فقال بثقة:

- كيف وصلت لكم معلومة وقوع الحادث؟

تستحسن هيلين سؤاله وتعود بنظرها في اتجاه حامد وهو يجيبه قائلا:

- البداية كانت من عند عمر باشا، بالطبع تعرفينه سيادتك؟

تومأ هيلين بالإيجاب ثم تقول له وعيناها تضيقان كالعادة عندما تسيطر عليها حالات الغضب:

- وهل هذه معلومة تخفيها عني؟

يبتسم حامد ابتسامة الخبث والمكر فيجيب قائلا:

- برغم أن عمر باشا يعامل حضرتك معاملة مميزة عن باقي الصحفيين إلا أنك لا ترحبين بتلك الميزة، وانا كنت أعلم جيدا يا أستاذة أنني إذا أخبرتك فلن تأتي ويضيع عليك السبق الصحفي.

ترد عليه هيلين مستنكرة ما قاله:

- السبق الصحفي أم مكافأتك

- أحترم ذكاءك يا استاذة.

- الآن أخبرني، وما علاقة عمر بهذا الحادث؟

كان هذا سؤال هيلين فيبدي حامد بملامح وجهه التي اكتست برداء الجدية بأن القادم به اشياء مهمة؛ فخفض من صوته قليلا ونظر يمينا ويسارا باحثا عن الأمان، ودنا منهما وهو يقول:

- عمر باشا ورؤوف باشا أصدقاء وزملاء بالكلية، وكنت أرافق عمر باشا في كمين شرطي حتى الصباح وعند مغادرتنا جاءته مكالمة من رؤوف باشا ما إن رد عليها حتى تغيرت ملامحه ثم صاح صارخا رؤوف، ولكن

أظن أن الاخر أغلق الهاتف حينها، فسارع عمر باشا وقاد السيارة بسرعة جنونية وأنا بجانبه، حتى وصلنا هنا وصعد وتركني بالسيارة، ما إن مرت 5 دقائق حتى هاتفني وصاح في أن اصعد له بعد أن أخبرني عن رقم وطابق الشقة، صعدت مسرعا لأجد الباب مفتوحا وهو ينادي علي من الداخل بغضب، توترت وأنا ابحث عنه فدخلت غرفة نوم صغيرة وجدت بها جثة زوجة رؤوف باشا وجثة ولده، ولكن لم أجد عمر باشا فيها، فذهبت مهرولا نحو غرفة التي تليها.

هنا دنا منهما اكثر وابطأ في حديثه وقال بكثير من الريبة:

- لأجد رؤوف باشا معلقًا بحبل من رقبته بسقف الغرفة وعمر باشا يحمله من قدمه محاولا إنقاذه، وصرخ في كي أجلب له سكينا لأقطع الحبل، فأسرعت للخارج بحثا عن سكين وجدتها بالمطبخ ثم عدت وسحبت مقعدا ووقفت عليه وقطعت الحبل، ليهوى رؤوف باشا وعمر باشا أرضا، ثم فك عمر باشا طوق المشنقة من حول الرقبة، وهنا لاحظ أنه ما زال يتنفس.

تقاطعه هيلين باستكمالها للرواية:

- وهنا أمرك بطلب سيارة الإسعاف وإبلاغ القسم.

بهز حامد رأسه بالنفي وبصمت لحظات ليمسح قطرات عرقه المحتلة الكثير من وجهه، وقال:

- لا يا أستاذة حدث شيء يمكن إذا أفصحت عنه قد أسجن خلف الشمس، ولكني سوف أضحي بذلك مقابل تعويض إضافي منك، اتفقنا؟

- اتفقنا، هيا أخبرني.

دنا منهما حامد أكثر وبصوت أهدأ قال:

- صرخ في أن أطلب سيارة الإسعاف والقسم وأن أخرج من الغرفة واتركه، ولا أدخل عليه إلا مع قدوم رجال الإسعاف.

تنظر هيلين لانس باستغراب وعلامات الاستفهام تنير جبهتها وتدور لتسأل حامد مرة أخرى:

- وهل خرجت بالفعل؟

- نعم.

فتكمل تساؤلها:

- ومتى جاءت الإسعاف؟

- بعد ربع ساعة، لا تنسي فهذا ضابط شرطة على كل حال.

تملك الفضول من هيلين الكثير فدنت منه وقالت:

- أين كان عمر عندما دخل رجال الإسعاف الغرفة معك؟

انقلب وجه حامد مستغربا ومال بوجهه لليمين قليلا ثم اجاب قائلا:

- كان يقف أمام مرآة الزينة يتامل عبارة «انت ملكي» والتي كُتبت على المرآة بأحمر الشفاه، ما إن رآنا وكأننا فاجأناه وقطعنا شروده، وقبل أن يرحل رجال الإسعاف كانت قد وصلت قوة من القسم لقيادة التحقيق بقيادة الرائد طارق اباظة.

استمرت الدهشة والتساؤلات تسيطر على تفكير هيلين وأنس، حتى خرجت من حيرتها قائلة:

- يجب أن نصور مسرح الجريمة.

- ما تطلبينه صعب يا أستاذة، تلك جريمة قتل والمتهم ضابط شرطة، فالقضية ستكون محط أنظار القسم والمديرية.

قالها حامد في جدة وعيناه جاحظتان متخوفتان، وهيلين تحاول أن تثير طمعه قائلة:

- يا حامد لا تساومني أكثر من ذلك، ما تريده سوف تأخذه.

تم تردف بنبرة تملأها الثقة:

- أوعدك أني لن أنشر صورة منهم الآن إلا بعد أن تحوّل القضية للنيابة، وحينها سيكون قد مرّ زمن على الحادث وسيكون الجميع مشغولين بسير التحقيقات، ولن يركز احد من اين تسربت تلك الصور، ثم لست أنا من سيدخل معك، بل أنس هو من سيقوم بالتصوير.

تنزل تلك الكلمات على أنس وكأنها قنبلة هيروشيما وانفجرت بقرب منه، بدأ يتمالك حواسه ثم سألها محاولا استيعاب ما قالته:

- أنا؟ أنا أقوم بالتصوير؟!

تجيبه مبتسمة وعيناها تلمعان:

- أعلم يا أنس اني أورطك معي، لكن كما ترى فليس أمامي سواك لإتمام تلك المهمة، الضابط المدعو عمر هذا يعرفني جيدا، ولن أستطيع أن أقترب أكثر من ذلك وإلا سوف يوقفني ويتحدث معي في أمور لا تعنيني ويبدد وقتي بلا فائدة، فهل سوف يتركني صديقي وزميل الدراسة حتى يضيع مني سبق صحفي ضخم مثل هذا؟

ظهرت على ملامح انس بوادر الهزيمة واستسلامه لطلب هيلين، وهنا قاطعهما حامد قائلا:

- مع الاستاذة كل الحق، فوجهها مألوف عندنا، ولذلك كنت أحتفظ لك بحل خاص جدًا، فلقد فقد أحد مصورين البحث الجنائي محفظته منذ يومين في أحد مسارح الجريمة، ولقد عثرت عليها من حسن حظي، واحتفظت بما فيها لمثل تلك الصفقات يا أستاذة، الصفقات الجيدة.

يظهر على هيلين استحسان الفكرة جدًا فتومئ برأسه مطمئنة:

- وأنا موافقة يا حامد.

- جيد، يمكن للأستاذ الدخول بتلك البطاقة ومن حسن حظه أن البطاقة قديمة بعض الشيء والصورة غير واضحة بشكل كبير، ويؤدي دوره

كمصوّر للبحث الجنائي فيأخذ لقطات سريعة ويخرج بكل ثقة، ولكن يجب أن يحدث هذا الآن فلقد ترك ضابط المباحث مسرح الجريمة ونزل ليتفقد باقي العقار ويسأل الحارس والجيران وتلك فرصة جيدة لنا.

رغم استحسانها للفكرة إلا إنها شعرت بالقلق فقالت:

- وماذا عن قسم البحث الجنائي؟

- لم يأتوا بعد، أمامهم ما يقرب من ساعة حتى يأتوا.

يدنو بجسده نحو أنس وهو يكمل بجدية:

- الآن يا أستاذ انس انت سوف تدخل عن طريق المرآب يوجد به باب لمدخل العقار، بعيدًا عن الهياج بالباب الأمامي، تصعد الدور السابع شقة 71. وإذا سألك أحد سوف تجيبه بأنك حسن مرزوق من قسم البحث الجنائي وأن باقي الفريق قادم خلفك بعد لحظات وتخرج تلك البطاقة له بكل ثقة أهم شيء الثقة وعدم التردد ولا تقلق سوف اكون بجانبك. ولكن لن أتدخل إلا إذا شعرت بضرورة لذلك. سوف اسبقك الآن، 5 دقائق وتحرك.

أومأ أنس برأسه مستوعبًا وهو في حالة عدم تصديق انه سيقوم بذلك، تمر المهلة المحددة ثم يبدأ بالتحرك نحو العقار وهو يردد بصوت خافت «أنا حسن مرزوق من قسم البحث الجنائي في المديرية..» ينظر لمن حوله ويشعر وكان الجميع قد كشفه فيخفت صوته أكثر ظنًا منه حتى لا يسمعوه.

في تلك اللحظات كانت هيلين تدعو من قلبها أن تمر تلك المخاطرة على خير، وانها لن تسامح نفسها إذا حدث مكروه لأنس، هي من ورطته في تلك الورطة الكبيرة ولكن هذا السبق والنجاح يحتاج التضحية بلا شك.

وأثناء ذلك كان أنس قد وصل إلى المرآب، ومر بين السيارات في تردد وخوف من المجهول حتى وجد أمامه على بُعد خمسة أمتار درجًا صغيرًا ليصل للباب، وهذا ما جعله يشعر ببعض الراحة المؤقتة، دخل محاولا

رسم الثقة رغم توتره وطلب المصعد وصعد به ما إن فتح بابه ليجد أمامه حامد يقف مع أحد افراد الشرطة الذين يقفون أمام باب الشقة، وعند وصول أنس لهم بادره احدهم بقوله:

- ممنوع الدخول هنا يا أستاذ.

فيرد عليه أنس متظاهرا بالثقة قليلًا وهو يخرج البطاقة التي معه وحامد يتابع ما يحدث من بعيد في صمت:

- أنا «حسن مرزوق» من قسم البحث الجنائي في المديرية.

- وأين باقي الفريق؟

- قادمون خلفي.

يلاحظ أنس نظرات استحسان من حامد لما فعله فيشعر بالطمأنينة والشجاعة فيدخل الشقة ويخرج من حقيبة كريم قفازا طبيا يرتديه ثم يخرج الكاميرا، ويبدا في تصوير كل شيء يمر به، أمام نظرات أفراد الشرطة المنتصبين في أماكنهم المختلفة، يريد أن ينجز مهمته بأسرع وقت ممكن، ترك الصالة وتوجه نحو الغرف، فسار بالممر المعلق عليه بعض الصور للقاتل وهو يتسلم الميداليات والكؤوس ببدلة الكاراتيه الرياضية وبعض الصور مع أصدقائه، حتى وصل إلى غرفة الطفل والتي تعتبر مسرح الجريمة الثاني، والتقط عدة صور لجثة الطفل وألعابه والفوضى العارمة بغرفته وجثة والدته بجانبه، وجحوظ عينيها المرعب وعلامات الكدمات الزرقاء على رقبتها، ثم خرج ليدخل الغرفة الثانية أو بالأحرى مسرح الجريمة الأول.

حاول أن يركز على تلك الفوضى وما بها من تفاصيل قد تفيد فيما بعد، ومن ضمنها كان هناك كومة كبيرة مكونة من فوضى الملابس وأدوات التجميل المنثورة، لاحظ أنس كتابًا مشقوقًا نصفين مفتوحًا على مصراعيه ليظهر الغلاف بشكل كامل يتضح من الوهلة الأولى أنه مصنوع من جلد ليس برخيص، ويكتسي باللون البني فيظهر النقش عليه باللون

تذكر انك حملت هذا الكتاب من مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

الذهبي، وكانت تلك النقوش تغزل عنوان الكتاب والذي كان اسمه «الإسقاط النجمي» وبجوارد بعض الكتب في فنون اليوجا ورياضة الكاراتية. التقط عدة صور لكل جزء في تلك الغرفة حتى وصل للمرآة، فتعجب من تلك العبارة المكتوبة عليها «انت ملكي»، أدرك أنه استطاع أن يلم بكل جزء بمسرح الجريمة واكتفى بما التقطه من صور. وعند مغادرته لتلك الغرفة هتف بداخله شيء وامره بان يقوم بأخذ هذا الكتاب المشقوق. لا يعرف لماذا؟ وبالفعل أخذ الكتاب معه وأخفاه تحت ملابسه منتهزاً غفلة فرد الشرطة الذي كان يحرس تلك الغرفة. وعند وصوله لباب الشقة وجد حامد يترقب خروجه بكثير من القلق والتوتر، القى أنس السلام وكأنه شخص عادي أنهى مهمته الروتينية المملة وسوف يعود لمقر وظيفته مرة أخرى.

ثم ركب المصعد واثناء نزوله ظل أنس يسأل نفسه. ما هذا التغيير الغريب والسريع في شخصيته. هل احب روح المغامرة؟ هل شعر بالحماس في التحقيقات الصحفية؟ كأنه شخص آخر هو من يفعل ذلك وليس هو.

الفصل الثاني

تتبع حامد أنس حتى أوقفه بالمرآب ليأخذ منه البطاقة المزيفة، سلمها له وخرج من المرآب حتى تفاجأ بوقوف هيلين مع الضابط عمر يتحاوران، فوقف على مسافة ليست ببعيدة عنهما ليتصل بها، فتحاول هيلين أن تستأذن عمر مشيرة بيديها لترد على المكالمة القادمة من الجريدة أو هكذا قالت له، وتتحرك خطوتين بعيدا عنه وبتنهيدة كبيرة تقول:

- ألو، انس اأنت بخير؟

يتجمد انس وينتصب مكانه لحظات بعد سماع هذا السؤال بتلك اللهفة، وأدرك أن تلك المهمة تؤتي ثمارا لم يكن يتوقعها، إحساس جعل وجهه يبتسم بشكل تلقائي حتى قاطعه صوت هيلين وهي ترد نداءها عليه، فيعود انس للواقع، ويجيبها بنشوة:

- نعم يا هيلين أنا بخير وأتممت المهمة وخرجت والحمد لله.

- حاولي ألا تلتفتي للخلف، فانا اقف على مقربة منك، ولكني انتظر إنهاء حوارك الحالي مع هذا الضابط.

تميل هيلين رأسها بانها تفهمت دون أن تبدي انفعالا زائدا، لكنها تفاجأت بصيحة الضابط عمر بجانبها وقد انقلب وجهه واشتد احمرارا وهو يوجهه كلامه لشخص ليس ببعيد عنها ويقول بصوت عال:

- أنت، قف عندك، وأغلق ما في يدك.

فتلفتت هيلين نحو صراخه لتجده يتقدم ويوجه تحذيره لأنس الذي ما زال على هاتفها فتملكها الخوف، لكنها فوجئت بصوت أنس على الهاتف وهو يهمس لها:

- لا تقتربي.

يتقدم عمر بخطوات مسرعة تدريجيًا نحو أنس الذي التزم بتوجيهه له، وظل مكانه دون أن يتقدم فأغلق الهاتف ووضعه بجيبه بكل هدوء وثبات،

وهيلين تراقب هذا التصادم القريب بشغف وخوف وثبات، وصل عمر لأنس وبدأ بنبرة أهدأ قليلا لكنها تحمل تهديدا صريحا، وبكل صرامة قال:

- ممنوع التصوير هنا، ولا اريد أي صحفي الآن، أعلم انكم لن تأنسوا إلا بعد أن تنبشوا لحم اخي رؤوف.

يتراجع أنس للخلف خطوة حتى يعطي انطباعا لعمر بأنه استجاب لما يريده، فاردف عمر ثورته قائلا:

- أين بطاقة تعريفك؟ أم إنك ممن يتبعون صفحات الفيسبوك ويلهثون وراء الأخبار الصفراء والإشاعات؟ حينها لن ترحم من يدي.

يخرج أنس في ثقة عضوية نقابة الصحافة من محفظة نقوده، ويسحبها منه عمر في عنف، وهنا يحاول أنس ان يخمد هذا البركان الثائر فيقول بنبرة ثابتة وهادئة:

- انا أحترم رغبتك جدا، وسوف أنصرف الآن كما تريد.

ينجح أنس في امتصاص غضب عمر وثورته عليه فيعيد له بطاقة عضويته مرة أخرى، ثم يشير بيده أن ينصرف وبوجه بقايا الغضب الدفين، رجع أنس خطوات للخلف وهو يومئ برأسه كأنه يشكره على قبول اعتذاره، راقبه عمر في انصراف من أمامه، ظلت عيناه ثابتتين حتى ذاب أنس في تزاحم الأهالي. تضيء في عقله ذرة أمل تنير له انه يجب أن يذهب لرؤوف، ولكن هل ما زال رؤوف حيا؟ هل تم إنقاذه؟

وبينما هو في شروده تذكّر أنه كان واقفًا مع هيلين، نظر نحو المكان الذي تركها فيه لكنه لم يجدها، اشتد غضبا ويأسا وأكمل سيره لسيارته ثم تحرك بها نحو المستشفى، وكان صوت محرك السيارة أشبه بغاضب يصرخ في الأهالي لكي تبتعد عن الطريق، وبالفعل انشق جموع الأهالي وانطلق بالسيارة، وفي نهاية هذا الشارع كانت إشارة المرور على وشك الإغلاق، حاول أن ينطلق بسرعة كي يسبقها، لكنه تعثر فاضطر للتوقف.

أغلقت إشارته وفتحت الأخرى في الطريق الآخر ليفاجأ بمرور سيارة

هيلين وبجوارها يجلس هذا الشاب الذي استوقفه منذ دقائق، لكنهما لم يرياه أو ينتبها لوجوده بالإشارة، وذلك لتركيزهما في حديث ما بينهما، شعر عمر بشيء غير مريح وإذا بالشك يتسرب لعقله مما رأى، إلا أنه قرر أن يفهم هذا الموضوع، ولكن بعد ان ينهي انهاز حادثة اليوم. وصل للمستشفى التي بها «رؤوف» وسأل عن غرفته وحالته، فعلم أنه ما زال حيًا بالعناية المركزة إلا أن حالته خطيرة جدا. صعد إلى غرفته ليجد الطبيب يشير لممرضة معه بعدم السماح لأي زائر بالدخول، لم يسمح لها عمر بأن توجه له هذا الأمر فاطلق غضبه في الطبيب والممرضة، حتى إن الحائط الذي بجانبه نال من غضبه لكمة وصاح قائلا:

- إنه صديقي واخي، ويجب ان اطمئن عليه.

أدرك الطبيب انه لا مجال للتفاهم مع شخص بتلك الثورة والغضب، ولذلك اشار للممرضة بأن تبتعد ليقترب منه ويهدئ من غضبه ويقول بنبرة هادئة:

- هل يمكننا أن نتحدث بالخارج من اجل اخيك حتى؟

تقل حدة عمر ويسبقه الطبيب للخارج وعمر ينظر لرؤوف الذي لم يتحرك أو يشعر به منذ دخوله، ليس به أي دليل على الحياة غير صوت جهاز ضربات القلب الذي بجانبه. أغلق الطبيب باب الغرفة عند مغادرتهما وتنهد وربت على كتف عمر قائلا:

- هل يمكنك أن تهدأ دقيقتين أشرح لك حالة صديقك أو أخيك رؤوف، لأن وضعه صعب جدًا؟

أوضح له حالته السيئة وأنه في النزع الأخير منذ وصوله للمستشفى، فلقد نتج عن عملية انتحاره بالشنق كسر مضاعف في عظمة الرقبة مما أدى لنزيف داخلي وانسداد في القصبة الهوائية، فسمح له الطبيب بخمس دقائق معه فقط، وبعد دقائق قليلة من تلك الزيارة فضح صوت جهاز ضربات القلب البطيء تدهور حالة المريض، ومعه صراخ عمر طالبًا المساعدة دخل الطبيب مسرعًا لبحده واقفًا بجوار فراش رؤوف مفزوعًا،

لحظات قليلة وانطلقت صافرة جهاز ضربات القلب معلنة عن وفاته. حاول عمر أن يعيد «رؤوف» للحياة حتى يجيب عليه، تصارع مع أيادي الطبيب والممرضين ولكن دون نتيجة تذكر. مرت لحظات عاد بعدها عمر للواقع وقد تفهم أن ما يفعله دون جدوى، فوقف وازاح من عليه أيادي الطبيب والممرضيين وخرج غاضبا.

وصل لسيارته ثم قادها بسرعة كعادته، وأنفاسه تتسابق مع سيارته من شدة الغضب حتى وجد أرضا فضاء خالية يمر بجانبها. دخل فيها وأوقف محرك سيارته لتكون تلك لحظة انفجار بركانه، فيصرخ صرخة عالية.

وأثناء ذلك في بقعة أبعد عن عمر بعدة كيلومترات تتواجد هيلين وأنس بمقهى حديث بمدينة نصر، ينظران بصمت إلى شاشة حاسبها المحمول على الصور التي صورها أنس ويتفحصانها بشيء من التركيز، حتى تكسر هيلين هذا الصمت بسؤال لأنس:

- أنت من رايت مسرح الجريمة، ما هو انطباعك؟

أمسك أنس كوب القهوة الذي أمامه ثم ارتشف قائلا في شيء من الثقة:

- هناك عدة احتمالات عن الدافع لمثل هذا النوع من الجرائم، ومما رأيت استنتج أن الدافع الاكبر هو اكتشاف خيانة زوجية وشك في النسب، ويكون الانتحار هو نتيجة حالة ندم مباغتة.

- سوف افترض معك هذا الافتراض، هل كان على نية مبيتة بالجريمة ومخطط لذلك أم اكتشاف متأخر نتج عنه رد الفعل هذا؟

يهز رأسه أنس قليلا ثم يشير بيده على شاشة الحاسوب قائلا:

- من الفوضى التي لاحظتها أعتقد أنها نتجت عن حالة غضب عارمة، وارجح معك الفريضة الثانية الاكتشاف المتأخر بالخيانة.

وهنا أشار أنس بسبابته على الطاولة وكأنه يرسم شيئا كوسيلة للإيضاح، قائلا:

ولذلك اخترت مقهى بجوار عملك حتى لا أعطلك كثيرًا.

- أنا تحت أمرك في أي وقت، ما عرفته من مكالمتك أن الأمر يخص زوج ريهام الله يرحمها، خيرًا؟

- بالظبط، لقد اكتشفنا أن ياسر كان على علاقة بسيدة في الفترة الأخيرة من حياته، لكننا لم نعرف هويتها بعد، لكن معي صور تجمعهما وأريد منك أن تخبرني من هي؟

يظهر على وجة ملك علامات التعجب والإستغراب وتقول بثقة:

- بالطبع موافقة على مساعدتك، فلقد كانت ريهام دائمة الشكوى من علاقات ياسر النسائية المشبوهة.

يمسك عمر هاتفه حتى يريها الصورة، ولكنه ينفعل على هاتفه ويظهر عليه علامات الغضب ويقول لها:

- لقد تعطل برنامج الصور الغبي لدي، سوف أرسل لك رابط بحساب تلك السيدة على الفيسبوك والذي به صور عدة لها مع ياسر؟

- أرسله بالتأكيد.

يمسك عمر هاتفه ويرسل لملك الرابط على هاتفها وبالفعل وصل لها، ولكن ما إن تضغط عليه حتى تبدأ بالتذمر والتعصب على هاتفها هي الأخرى قائلة:

- لقد تعطل هاتفي أنا الأخرى لقد وصل الرابط ولكن تعطل تشغيله.

يقاطعها عمر وهو يقول بهدوء:

- لا تقلقي، انتظري قليلًا إذ لم يعمل أغلقيه وافتحيه مرة أخرى، معظم المشاكل تُحل بتلك الطريقة.

تقوم فعلًا بتنفيذ ما اقترحه عليها عمر، الذى بادر بسؤالها مستفسرًا:

- هل أخبرتك ريهام بشكها في سلوك ياسر من قبل؟

- نعم وبالأخص في الفترة الأخيرة. ياسر هذا شخصية حقيرة لا يشبع أبدا، دائما يلهث خلف الغنائم مثل الخنازير ولا يقدر قيمة ما بين يديه.

يومئ عمر إيجابا ثم يدنو منها قليلا برأسه وهو يهمس لها قائلا:

- بالفعل، حتى إنه لم يقدرك.

تحاول ملك أن تستوعب ما قاله عمر، ملامحها تعلن الجهل قليلا فتقول متسائلة:

- ما الذي تقوله سيادتك؟ وما علاقتي بياسر؟

تتفاجأ ملك بظهور عبد العزيز موظف شركة التأمين يقف بجانبها وهو يقول لها مبتسما:

- كيف حالك يا ريهام هانم؟ جيد ان اطمانئت عليك لاني سمعت عنك أخبارا سيئة في الفترة الأخيرة.

لم تلحق أن تدرك الصدمة وهي تنظر لعبد العزيز ثم عمر المبتسم لها وتحاول أن تدافع عن نفسها فتقول:

- من؟ ريهام من؟ أنا ملك ولا أعرفك من الأساس.

- كيف هذا أنا متأكد أنك ريهام هانم. فطلة حضرتك يومها لا تُنسى ابدا.

ثم يلتفت عبد العزيز لعمر ويقول:

- هي يا حضرة الضابط التي جاءت مع ياسر وطلبت مني عمل بوليصة تأمين بمبلغ كبير تستحق لأختها بعد وفاتها.

تضع ملك يديها على رأسها محاولة منع تصديق ما تسمعه وتحرك رأسها يمينا ويسارا ويزداد توترها كثيرا ثم تسمع عمر يقول:

- شكرا يا عبد العزيز، أنت تعلم أين تتجه الآن؟

- دعينا نتخيل الجريمة، أنه اكتشف الخيانة الزوجية، فواجه زوجته ثم ثار وهاج وصنع ما صنعه من فوضى حتى انقضّ على زوجته وخنقها حتى الموت، ثم حملها ووضعها بجانب ابنه الذي بالتأكيد شكّ في نسبه له، لكنه لم يمتلك الجرأة ليرى وجهه فضغط بالوسادة على وجهه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، يمكن بعد ذلك جاءت صفعة الندم التي جعلته يقرر الانتحار ويهاتف صديقه عمر ويخبره بما فعله، وأنتِ تعلمين الباقي، ولكن هذا إذا افترضنا أن هذا هو الدافع الوحيد.

- لماذا هل هناك دافع آخر عندك؟

يجيبها بشكل فيه ثقة أكثر:

- نعم، وأظنه الدافع الأقوى وهو أن يكون مريضًا بانفصام الشخصية، فنحن حتى الآن لم نأخذ بجدية العبارة التي كُتبت على المِرآة أو وضعنا لها تفسيرًا منطقيًا، وأين يمكن أن تأخذنا معها؟

يزداد تعجب هِيلِين فتقول:

- هل ترى أنه من الممكن أن يكون حادثة قتل نابعة من مرض نفسي؟ تحليل مبدئي جيد.

يبتسم أنس من استحسانها لتحليله ويكمل:

- لا تنسي أننا في أول القضية وليس لدينا معلومات عن التاريخ النفسي للقاتل، وكيف كانت علاقته بزوجته في الفترة الأخيرة؟ والأهم من ذلك شيئان يجب أن نعرفهما.

- بالتأكيد تقصد ما فعله الضابط عمر وهو منفرد بمسرح الجريمة حتى قدوم رجال الإسعاف، ولماذا فعل ذلك؟ ولماذا هاتفه رؤوف من الأساس؟

ينير وجه أنس بابتسامة ماكرة قائلًا بكثير من الخبث:

- واضحٌ أن مَن يُدعَى عمر هذا يشغل حيزًا من تفكيرك، نعم هذا فقط أول شيء.

تضحك هِيلِين من ذكاء أنس وملاحظته الجيدة، وتجيبه قائلة في شيء من الهروب:

- عمر؟ مَن عمر هذا حتى يشغل تفكيري؟ هيا أخبرني بثاني شيء.

يومئ أنس رأسه وكأنه يصدقها، ويخرج من ظهره الكتاب المشقوق الذي أخذه من مسرح الجريمة، ووضعه على المائدة قائلًا بنشوة المنتصر:

- هذا هو ثاني شيء، لا أعرف لماذا أخذته، وكأن شيئًا بداخلي حثني على ذلك، فبعد أن أوشكت على مغادرة مسرح الجريمة عدت مرة أخرى من أجله.

تمسك هِيلِين الكتاب وتحاول أن تتصفحه ثم تنظر لأنس بكثير من الريبة وهي تقول:

- هل أخذته من مسرح الجريمة بالفعل! سوف أبدأ أخاف منك بعد ذلك، فلقد فاجأتني بجرأتك يا أنس.

- لا أعرف ماذا حدث لي يمكن جذبني عنوانه الملفت، ولماذا يملك ضابط شرطة كتابًا مثل ذلك؟ ولماذا مشقوق نصفين بهذا الشكل؟

تثبت عين هِيلِين في عين أنس ثواني وتشعر بتغيُر نمط حديثه، فتقول وهي تمسك الكتاب بين يديها:

- «الإسقاط النجمي» اسم غريب فعلًا أتفق معك في ذلك، ولكن لماذا افترضت أنه ذو أهمية، يمكن أن يكون مُزق أثناء ثورة رؤوف مع زوجته وكان من ضمن أشلاء المعركة.

يمسك أنس الحاسب المحمول ويمر على الصور حتى يصل لصورة معينة ويتوقف عندها:

- أترى تلك الفوضى التي في الصورة؟

- نعم، ما بها؟

- إذا أمعنتِ النظر فيها سوف ترين هذا الكتاب يعتلي قمة الأشياء المنثورة على الأرض، وهذا يعني أنه آخر شيء كان في يد القاتل قبل أن يلقيه ويسقط هناك، ويمكن أن يكون قد حدثَ هذا بعد قتله للضحايا.

تُستثار هِيلِين من هذا التحليل فيأتي فضولها بهذا السؤال:

- ولماذا افترضت هذا؟

- لأن الفوضى الموجودة نتجت عن عملية رمي أو كسر، ولكنه يبقى الشيء الوحيد الذي تم قطعه لنصفين، وهذا لا ينتج إلا باستخدام اليدين معًا، مما يعني نية القاتل على قطعة ليس كسره أوإلقائه فقط

قامت بالتصفيق له وقالت وهي تميل برأسها لليسار قليلًا:

- لا أنت حقًا فاجأتني، يجب أن تترك قسم التدوين وتنضم معي في قسم التحقيقات، أعلم أنك ستكون منافسًا شرسًا، ولكني بالتأكيد سأستفيد منك.

يشعر أنس بالفخر لما قالته هِيلِين وعندما أراد أن يرد لها هذا الاستحسان، يأتي لها رسالة على هاتفها تجعله يصمت ولا يخبرها بذلك لانشغالها بقراءة الرسالة والتي قلبت دفة الحوار كله بِرد فعلها غير المتوقع وهو وقوفها وقفل حاسبها المحمول وجمع أغراضها استعدادًا للمغادرة، وقالت في سرعة دون النظر له:

- أنا آسفة يا أنس، يجب أن أرحل الآن، آسفة إذا عطلتك اليوم عن عملك، ولكني أريد منك طلبًا أخيرًا.

يتفاجأ أنس من رد فعلها وانصرافها المفاجئ وهو يحاول أن يجيب تساؤلها:

- لا تشغلي بالك بعملي، أؤمري.

- أشكرك بشدة، أنا أريدك أن تكون معي في هذا التحقيق.

لم يطل أنس التفكير فأجابها بالموافقة، فغادرت هِيلِين المقهى وتركت

أنس يتابعها بنظرة ثاقبة حتى ركبت سيارتها وهي في شيء من قلة التركيز، فتدور بداخل أنس عدة تساؤلات، مصدرها قلبه وليس عقله.

***

تدخل هِيلِين منزلها وتلقي حقيبتها عند أول منضدة وهي تنادي على أختها ريهام، فتسمع صوتًا من داخل غرفة ريهام يجيب عليها:

- تعالي يا هَيلَين، ريهام معي بالداخل.

تهرول هِيلِين بين ممر الغرف فتدخل غرفة أختها ريهام لتجدها نائمة على الأرض تحتضن قدميها في رعشة وفي حالة بكاء هيستيري، وتحتضنها صديقتها وزميلتها بالعمل «مَلَك» تحاول أن تهدِّئها، تفزع هِيلِين من هذا المنظر ولكن مَلَك تشير لها أن تهدأ وتتماسك قليلًا وتساعدها في حملها ونقلها لفِراشها، تتمالك هِيلِين أعصابها وتبدأ في حمل قدميّ ريهام كما أشارت لها مَلَك وهي سوف تحملها من ظهرها، وبالفعل تحملانها وهَيلَين تتأمل ريهام المرتعشة من كثرة البكاء، لاحظت أنها تمسك في يديها اليسرى جهاز اختبار الحمل فأيقنت سبب هذا الانهيار. تضعان ريهام على الفِراش وتحاول هِيلِين أن تغطيها، إذ بريهام تستفيق من غفلتها وتمسك يديها وعينيها، تبدأ بالبكاء مرة أخرى وتقول بأسى يحتل ملامحها الذابلة:

- أنا لست حاملًا يا هَيلَين، لماذا؟ أريد أن أرى آدم مرة أخرى.

تحاول هِيلِين أن تهدئها وتضمها في حضنها وهي تطمئنها قائلة:

- بإذن الله سوف تحملين وتنجبن آدم مرة أخرى، ولكن يجب أن تتناولي الدواء وتستريحي الآن.

تقول مَلك في حزن:

- لا أعرف كيف تتحملين كل هذا يا حبيبتي؟

تنظر لها ريهام وتنتحب بشدة فتمد مَلَك يديها لتقدم لهَيلَين حبوب المهدئ

وكوبًا من الماء حتى تعطيها لريهام، ولكن هِيلِين تستغرب نوع المهدئ الجديد، لكن سرعان ما رأت سوء حالة ريهام فأدركت بأن حالتها بالتأكيد أدت لتغيير طبيبها المهدئ بشيء أقوى عن سابقه، فتلك ليست أول مرة فهو يتابعها بالهاتف بين الحين والآخر، بدأت في إعطائها الدواء فتشير لها مَلَك أنها ستنتظرها بالخارج حتى تنام ريهام وتستريح.

لحظات قليلة وبدأت ريهام بالاستجابة للمهدئ واستسلمت له فغفت وهي في حضن هَيلَين، مسحت هِيلِين وجه ريهام بيديها وهي تحبس البكاء والصراخ بداخلها حزنًا على الحالة المزرية التي وصلت لها أختها، تطمئن أنها قد خلدت للنوم وتكمل غطاءها عليها وتعطيها قُبلة على جبينها داعية الله أن يشفيها ويهديها، ثم تخرج بهدوء لتجد مَلك واقفة تنظر لصورة زفاف ريهام منذ أربع سنوات المعلقة على الحائط في منتصف الردهة الخارجية، تلتفت لها مَلَك وتتنهد في حزن ثم تسألها:

- هل نامت؟

فتجيبها بـ «نعم» في آسى، ثم تلتفت لمَلَك وتسألها بحزن:

- ماذا حدث بالضبط؟

- أنتِ تعلمين أني أمُر كل يوم كي أطمئن عليها وإذا قررت أن تذهب للعمل آخذها معي، فهي زميلتي في الشركة وطريقنا واحد، فلقد منعها الطبيب من مخاطر القيادة في حالتها تلك. ما إن وصلت أمام المنزل إذ بياسر يخرج من الباب متجهًا نحوي ثائرًا ويصيح فيّ قائلًا: «اصعدي لصديقتك المجنونة، لقد تركت الباب مفتوحًا لكِ، فأنا لا أطيق هذا الجنون على الصباح». وبالفعل صعدت لها وكانت في حالة سيئة جدًا هدأتها قليلًا، وبعد مرور ساعتين تركتها لأعد لها شرابًا باردًا، ولكن عندما عدت كانت قد غادرت الفراش، فبحثت عنها حتى وجدتها بالحمَّام وقد أغلقت على نفسها الباب ولا تريد أن تجيب توسلاتي كي تفتح لي، فحاولت أن أهاتفك، ولكني لم أصل لكِ فاضطررت أن أرسل رسالة في النهاية.

ترد هِيلِين وهي تومئ برأسها مؤيدة لحديثها:

- آسفة لقد كنت في مكان الشبكة فيه ضعيفة جدًا.

- استمررت في ندائي عليها حتى تفاجأت بأنها تفتح الباب بأعصاب واهنة ما إن دخلت حتى سقطت مكانها، فاقدة للوعي، حاولت إفاقتها حتى جئتِ أنتِ.

ترد هِيلِين وهي غاضبة:

- ياسر هذا ليس سوى حيوان، ماذا يريد منها؟ ظلّ يطلب منها أن تنجب له ولي العهد، وما إن كرمهما الله حتى أخذ أمانته بسبب عيب خلقي في القلب أدى للوفاة، ومن يومها وهي تحاول أن ترضيه بأي شكل، وظل في إلحاحه عليها بالإنجاب مرة أخرى، فكررت محاولات الحمل وهي في حالة صحية مزرية فكانت النتيجة هي الإجهاض لخمس مرات في ثلاثة أعوام وفي النهاية فقدت الرحم للأبد.

هنا تنفجر هِيلِين بالبكاء فتقترب منها مَلَك وتجلس بجوارها لتهدئتها فتكمل حديثها:

- ولا زالت تعيش على أمل كاذب أن تنجب له مرة أخرى، وهو لم يُقدّر كل هذا، لأنه فقط حيوان.

- ولماذا لا يطلّقها؟ فأنا لا أخفي عليكِ فريهام أصبحت كزهرة زبلت في طور ربيعها.

تضحك هِيلِين ضحكة استنكارية وتجيبها:

- يطلّقها! ويخسر كل تلك الثروة؟ لا يستطيع، فوالدي كتب كل شيء باسمي أنا وريهام، هذا غير أنها للأسف تحبه، وهو يعرف ذلك ويستغله جيدًا.

تبدأ هِيلِين في مسح وجهها من الدموع، وتقوم بحمل حقيبتها من على المنضدة، وتقول وهي منفعلة:

- يجب أن أضع لهذا الحيوان حدًا، سوف أذهب للمصنع الآن، يجب أن يعلم قيمتها ويحترمها، ويعلم أن ما هو فيه من خير فهو بسببها ليس إلا.

تحاول مَلَك أن تجنحها عن هذا القرار، ولكنها لمحت في عينيها إصرارًا على ما نوت عليه فدعمتها ثم قالت قائلة:

- سوف أستأذنك الآن يجب أن أذهب للشركة، وسوف أقدم للريهام طلبًا بالراحة لليوم كالعادة.

***

«الإسقاط النجمي هو حالة خروج الروح من الجسد وذلك بافتراض أن الهيئة النجمية الأثيرية تنفصل عن الجسد الفيزيائي، وتستطيع السفر خارجه، وبذلك يستطيع الإنسان في لحظات من التأمل النقي والصفاء الذهني أن يترك جسده ويسافر عبر الجسم الأثيري لأي مكان يريده، وفكرة الإسقاط النجمي موجودة منذ القدم في العديد من الديانات حول العالم؛ مثل البوذية وأشهر الحضارات الصينية القديمة، وتوجد صور تبين ذلك مثل صورة «الفصل بين الروح والجسد» من «سر الزهرة الذهبية» وهو كتابٌ صينيٌ قديم في الكيمياء والتأمل، وتجربة «إنجو سوان» عام 1978 في العصر الحديث والتي سنتناولها بشكل من التفصيل لاحقًا، ويوجد للإسقاط النجمي عدة صور مثل تجربة الخروج من الجسد وهي أعلاهم، والاستيقاظ داخل الحلم، والتخاطر، والرؤية عن بُعد».

يصل أنس لتلك النقطة من قراءته لكتاب «الإسقاط النجمي» بعد أن حاول إصلاحه وتجميعه مرة أخرى، يقرأ وهو في حالة من الاستغراب والاندهاش هل هذا العالم حقيقي، يذكر أنه قد قرأ من قبل عن «البرمجة اللغوية العصبية» ولكن لم يصدقها أو يقتنع بها، إنها تُعتبر علمًا للعلاج النفسي، ولكن هذا الكتاب يدخل بتعمق في هذا العالم، أثناء ذلك جاءه مكالمة من الأستاذ علاء رئيسه بقسم التدوين وأخبره كذبًا أنه مريض بشدة ولم يستطع أن يأتي للعمل اليوم، ولكنه بعد تفكير تذكر أنه من الممكن أن تقابله هيلين بالجريدة وتخبره بأنه كان معها، فأدرك أن لا مجال

غير أن يتصل بهيلين ويحذرها ألا تخبر الأستاذ علاء بأنه كان معها ولسبب أكبر يريد أن يطمئن عليها، وما سبب مغادرتها المفاجئة للمقهى؟

أمسك الهاتف واتصل بهيلين مرتين دون جدوى، انتظر دقائق قليلة ثم اتصل للمرة الثالثة فردت على آخر رنة للمكالمة، يأخذ تنهيدة كبيرة ويقول:

- ألو، كيف حالك الآن؟

- آسفة يا أنس لن أستطيع أن أحادثك الآن لأني أقود سيارتي وغاضبة بعض الشيء.

يشعر أنس بالإحراج ويقرر أن ينهي المكالمة:

- كما تريدين، ولكني أردت أن أخبرك ألا تبلغي أحدًا من الجريدة أني كنت معكِ اليوم، لقد أخبرتهم أني مريض.

- وأنا مثلك لن أذهب اليوم، سلام.

زاد قلق أنس وكثُرت علامات الاستفهام في عقله، وكان أغرب الاحتمالات، وهو أنه يظن أن الرسالة التي جاءتها، أنها من الضابط عمر الذي لم يفهم حتى الآن ما العلاقة بينهما.

يظل أنس في هذا الشرود حتى يسمع جرس باب منزله يرن، فيعيده للواقع مرة أخرى ويذهب وهو مستغرب مَن سيأتيه في هذا الموعد وهو من المفترض أنه في عمله ولا يعلم بغيابه سوى هيلين والأستاذ علاء، فيذهب ليفتح الباب ليجده عم أمين قد باغته برفع عكازه عاليًا محاولًا ضربه فيمسكها أنس بيده ويقول مبتسمًا:

- ما كل هذا العنف يا عم أمين؟

يأخذ عم أمين نَفسَه من المجهود الذي بذله وهو ينظر له بدهشة ثم يتفحصه جيدًا بعينيه قائلًا:

- إنه أنت يا أنس، لقد ظننتك لصًا يا بني.

يضحك أنس ويقبّل رأسه ويدخله منزله ويقرب له مقعدًا لكي يستريح، ويجلس هو على الأرض أمامه ثم يقول ساخرًا:

- يا لك من مغامر خَطِر، سوف تضرب اللص بعكازك؟ ألا تعتقد أن تلك قسوة مفرطة منك يا فتوة هذا العصر.

يضحك عم أمين ثم يجذب رأس أنس ويلف ذراعه حول رقبته ويقول مازحًا:

- أترى قسوتي الآن، هل تكفي للإمساك باللص؟

يرفع أنس يديه ويعلن استسلامه لقبضته مازحًا معه، ويتركه عم أمين، فيبتسمان هما الاثنان ثم يقول أنس ساخرًا:

- ألا ترى أنك جئت مبكرًا بعض الشيء للإمساك به، فأنا هنا منذ ما يقرب من ساعة يا رجل.

- ما إن سمعت صوت باب شقتك يفتح وأنا أيقنت أنه لص، فاتخذت قراري أن أباغته، فلبست معطفي وجئت مسافة الطريق ليس إلا.

- هي بالفعل مسافة بالنسبة لك، وباغتّه برنك لجرس الباب؟! أرجوك بعد ذلك إذا شعرت بأي شيء غريب بشقتي، لا تغادر شقتك وهاتفني فقط، فنحن يجب أن نحافظ على لياقتك يا فتوة هذا العصر ولا تهدرها في أشياء تافهة مثل هذه.

- أتسخر من عمك أمين؟ صحيح لماذا عدت الآن من العمل؟

- بسبب شيئين أولهما هذا الكتاب.

وهنا اتجه نحو كتاب الإسقاط النجمي ورفعه لأعلى قائلًا:

- أعلم أنك قارئ نَهِمْ وأرشيف كبير هل يمكن أن تخبرني أكثر عن الإسقاط النجمي؟

نظر له عم أمين مستغربًا ثم تقدم نحوه وأمسك بالكتاب ونظر للغلاف وتصفح صفحاته سريعًا وهو مستند على عكازه ثم قال:

- غريب أنت اليوم، لم أعرف أنك مهتم بقراءة تلك الأشياء؟

- إنه الفضول الذي يتعلّق بالشيء الثاني الذي سوف أخبرك به بعد أن تجيبني عن سؤالي.

جلس عم أمين على المقعد الذي بجانبه وبدأ حديثه وهو يربت على غلاف الكتاب بيد مرتعشة:

- ألم أقل إن بك شيئًا غريبًا اليوم، الإسقاط النجمي يا أستاذ أنس موجود في عدة ثقافات مختلفة، وهي أن تفصل روحك عن جسدك وتتحكم فيها داخل رحلة لها عدة أغراض مثل السفر لمكان معين أو مقابلة روح مسافرة مثلك، وأثناء ذلك يبقى جسدك في حالة خمول حتى تنتهي رحلتك، الكثير يظن أنه خرافة وغير واقعي والقليل من يؤمن به ويجزم بأنه مارسه عدة مرات، فإذا افترضنا وجوده فلن ينجح كل من يقوم بالتجربة فهي تحتاج صفاء ذهني بدرجة عالية لا يأتي إلا بعد أربع أو خمس جلسات ناجحة على الأقل، هل تعلم أن هناك فئة من الصوفيين يعتقدون أن رحلة رسول الله محمد صل الله عليهم وسلم للسماء نوع من أنواع الإسقاط النجمي ويلقبونها برحلة العروج، ولكن أجمع الفقهاء أن الرسول سافر بروحه وجسده وليس روحه فقط كما ادعوا

نظر له وهو ينصت له باهتمام ثم سأله في توئد:

- لقد جاوبت سؤالك يا أستاذ أنس هل يمكن أن تروي فضولي وتخبرني بالشيء الثاني؟

ابتسم انس وقال ساخرًا:

- أنا تحت أمر معاليك، فالشيء الثاني هو القضية التي طلبت زميلتي بالصباح مساعدتي فيها وهي جريمة قتل حدثت اليوم، رجل قتل زوجته

وابنه ثم انتحر.

داعب عم أمين ذقنه بأنامله مفكرًا ثم قال:

- الانتحار بعد القتل إما أن يكون نتيجة أو قرار مسبق.

- الانتحار جنون فقط، هل يوجد أحد يضحي بنفسه إلا إذا كان مجنونًا مهما كان يشك في زوجته، فلا يضحي بمستقبله وحياته من أجل شخص لا يساوي ربع هذا، لا يوجد في هذا الزمن ما يسمى بالتضحية، يجب أن يوجد ثمن بالمقابل، فالجميع يبحث عن مصلحته فقط.

يحتل ملامح عم أمين الغضب وينهض من جلسته ليعود إلى شقته وكأنه رافض أن يسمع المزيد، ويقول له وهما في طريقهما لها:

- لا يا أنس يا بني، أعظم شيء في الدنيا أن تضحي بشيء غالٍ عليك من أجل شيء أغلى منه عندك، غدًا ستعرف مقصدي بالتأكيد.

يزبح عم أمين يدًا أنس معلنًا غضبه، فيعاود أنس المحاولة ويمسك ذراعه مرة أخرى حتى يتعكز عليه قائلًا:

- أين تذهب؟ أخبرني مقصدك.

- عن قريب إن شاء الله.

أدخله أنس حتى غرفة نومه، وقبل أن ينصرف أخبره أنه سوف يأتي ليلًا ليكمل تدوين كتابه، لحظات ويسمع صوت غلقه لباب شقته فيمد يده أسفل وسادته ويخرج محفظته وينظر لصورة الفتاة بها وهو يقول بحزن وعينيه تلمع بريقًا:

- لا يعلم معنى التضحية، أتصدقين ذلك؟

***

تمر هيلين وسط الآلات والماكينات الضخمة تكاد لا تسمع أنفاسها من علو صوت المحركات، يتوجه لها الغمال القدامى في المصنع ليسلموا عليها

وهي تحاول أن تخفي الغضب الدفين بداخلها وترسم ابتسامات خفيفة لهم فهم يعملون منذ زمن ورأوها في طفولتها، وكان أقربهم لها عم «سالم» الذي جرى عليها ليرحب بها بشكل أفضل يليق بها، وما إن رحب بها حتى انتقل حديثه ليشكو لها مما آل له المصنع من حال لا يرضي أحدًا، تميل هِيلِين رأسها لتوضح له تفهمها للواقع المزري، وربتت على كتفه في ودٍّ ثم تقدمت بخطوات مسرعة بين طرقات المبنى الإداري حتى وصلت إلى مكتب مدير الإدارة، ولكنها لم تجد السكرتيرة بمكتبها، فاتجهت مباشرة إلى باب مكتب ياسر، لتسمع أصواتًا لم تُرِحها تأتي من الداخل كأنها «همهمات ساخنة»، فطرقت الباب لتسمع صوت ياسر من الداخل يصيح قائلًا:

- مَن؟؟

ترد هِيلِين وهي في قمة غضبها:

- أنا هَيلَين.

يرد بنبرة أقل حدة عن سابقتها:

- ثواني يا هَيلَين.

تهدأ الأصوات قليلًا حتى تسمع صوت حركة المفتاح بالباب، ويفتح الباب ليظهر ياسر، ويفضح ترحيبه الزائف لهَيلَين تقطُّع أنفاسه والذي بالتأكيد لم تقبله أو تصدقه حتى، شردت لحظات فيما وصل له مكتب والدها من فوضى حتى قطع تلك الحالة سؤال ياسر:

- ما سبب زيارتك تلك؟

- ما هذا التبجح! أتترك أختي منهارة وكأنها أحد جواربك القذرة، كيف تعاملها بتلك الطريقة؟

- هَيلَين، اهدئي ولا يعلو صوتك في مكتبي، تذكّري ذلك جيدًا.

- لا أعلم ما مدى دناءتك؟ ولكن أتمنى أن تكون رجلًا ولو لمرة واحدة في

حياتك، وترحمها وتطلقها.

يعود ياسر ويجلس على مقعد مكتبه، وتظل هِيلِين واقفةً أمامه معلنة غضبها؛ فأجابها بكل برود يملكه:

- أأنتِ قادمة من أجل ذلك؟ ريهام زوجتي ولن أطلقها.

يعلو صوتها ويكاد يصل للصراخ:

- ماذا تريد منها؟

- الولد، أريد الولد، واضحة بالتأكيد إجابتي.

- كيف بعد أن قضيت عليها، جعلتها تضحي وتخسر تاج أنوثتها، كل هذا من أجل أن تُرضي غرورك ورغبات والدتك.

يشير ياسر بسبابته لها محذرًا:

- أنا حتى الآن لم أخطئ فيكِ، لأن أريدك أن تهدئي فحل كل هذا في يدك أنتِ.

تنظر له باستغراب دون أن تنطق بكلمة، حتى أكمل ياسر حديثه بهدوء قائلًا:

- هكذا أفضل، اهدئي وأنصتي لي حتى النهاية، أنا لا أنكر أني لا أحب أختك، فلقد ضحيت بحب عمري من أجلها، فعندما فَرَض علي والدي أن أتزوج ابنة عمي حتى لا يخرج الورث عن عائلتنا، كنت أظن أنه سوف يطلبك أنتِ لأننا في مثل عمر بعض، ولكنه طلب ريهام لأنها الأخت الكبرى، المهم من تلك الزيجة أن أرضي أهلي بولد يثبت تركة عمي في يدي، ولكن ما إن جاء الولد حتى توفى، وما بيني وبين ريهام هو إنجاب طفل يحمل اسمي وكفى، والآن حالتها تسوء ولا تسوى في عيني سوى حَذأة بغيضة.

أشعل سيجارته ثم أردف قائلًا

- أنا لدي حل يرضي جميع الأطراف، أنتِ تريدين أن أطلّق أختك، وأنا أريد ولدًا يرث تركة عمي، إذًا نتفق، وبما أن معي توكيل عام بنصيب ريهام، إذًا يبقى نصيبك فقط.

هنا ينظر لها وتلمع عيناه وهو يتفحص جسدها ويكمل مبتسمًا:

- نقضي أنا وأنتِ ليلتين خاصتين جدًا تحملين مني على أثرهما، ونكتب المولود باسمي واسم ريهام، وهي في حالة تصدق أي شيء، وحينها سوف أطلقها وأترك الابن في حضانتها كرم أخلاق مني حتى تنتهي فترة حضانته ويعود لي مرة أخرى، وأنتِ تتنازلين عن نصيبك، أما عن العملية التي سوف تعيدك عذراء كما كنتِ فسوف أتكفل بها كاملة لا تحملي هم ذلك فالتطور العلمي الآن أصبـ...

ثفاجئه بمِرمدة السجائر الزجاجية تمر أمام عينيه، فأحدثت خدوشًا نتج عنها نزيف دم بسيط وكسرت النافذة التي خلفه وهيلين واقفة أمامه تقول:

- كلمة حيوان قليلة على حقارتك.

تقول تلك الجملة ثم تبصق عليه وتدور لتخرج من المكتب، ولكنها تكشف قذراته بفضح السكرتيرة المختبئة في الحمّام والتي تحاول أن تهندم ملابسها في تعجل فتسبها وتسبه وتخرج أمام الموظفين المراقبين لهذا الشجار من بعيد، حتى تصل لسيارتها، فيرن هاتفها عدة مرات لتجده أنس فتُدير محرك السيارة وتتحرك، ثم تفتح المكالمة وترد على أنس وتخبره بأنها في حالة مزاجية سيئة، فتغلق الهاتف وتقود سيارتها وهي لا تعرف ماذا تفعل، لم تستطع أن تخبر ريهام بأي شيء مما رأته اليوم أو سمعته، كيف تسطيع أن تعيش معه تحت سقف بيت واحد، يجب أن تغادر المنزل، ولكن كيف تترك ريهام مع هذا الكائن القذر، إنه يعلم أنها لن تقول لريهام شيئًا أو تتركها لتدهور حالتها، يعلم هذا الحقير نقطة ضعفها جيدًا، وهذا ما جعل هيلين تتوقف بالسيارة تحت المنزل فور وصولها وانفجرت بالبكاء، وهي تتحسر على حال أختها ومدى ضعفها في الدفاع عنها وهي

تقول:

- أنا آسفة يا ريهام، سامحيني.

***

يقف عمر بجوار نافذة مكتبه وهو ينظر لشاشة هاتفه ينتظر اتصال متولي وهو أمين شرطة عمل تحت إدارته سابقًا، ولكنه الآن يعمل تحت إدارة الضابط طارق المكلف بقضية رؤوف، لم يطل انتظاره حتى رن هاتفه بالفعل ففتح المكالمة بحماس قائلًا:

- مرحبًا يا متولي، أخبرني ما الجديد لديك؟

- ما إن جاء قسم البحث الجنائي والوضع تفجر بعد اكتشاف دخول شخص ما مسرح الجريمة مدعيًا أنه مصور تابع للبحث الجنائي وقام بتصوير مسرح الجريمة بالكامل أمام نظر أفراد الشرطة، والضابط طارق عَنَف الجميع والوضع ازداد توترًا فأنت تعلم بأن الجاني والضحية أبناء قيادات كبيرة بالداخلية هذا بالإضافة إلى أن الجاني ضابط شرطة أيضًا، ولكن تم الاتفاق على كتمان هذا الأمر وستره عن عيون الصحافة، حتى يتبين هوية هذا المصور المزيف، وتابع لأي جريدة لعينة.

- هل يمكنك إخباري أوصافه؟

هنا أنصت عمر بتركيز وعيناه تجحظان غِلًا، وأغلق المكالمة ثم ضرب الحائط بقبضة يده غضبًا.

***

كوب من القهوة يرشف منه أنس كل حين وهو يحاول التصدي لمحاولات «المخترق الإلكتروني» الفاشلة للاستيلاء على الموقع الرسمي للجريدة، والذي صممه منذ أكثر من خمس سنوات، ورغم أنه خريج كلية الإعلام إلا أنهم لم يروا فيه سوى خبرته في مجال تصميم المواقع، فتم تعيينه مسؤولًا عن الموقع ومدؤنًا لحسابات الجريدة على مواقع التواصل

الاجتماعي.

ورغم تأقلمه على هذا العمل إلا أن حادثة الضابط رؤوف التي حدثت منذ أسبوع غيّرته، فمن يومها ظلّ يتابع تحقيقات المباحث وما وصلت له من نتائج بشغف كصحفي متمرس، حتى تفاجأ بمن يمد يده على كوب القهوة ليجدها يد هِيلِين التي لم يرَها منذ يوم الحادثة، نظر لها وهي تنظر على شاشته وتظهر على عينيها علامات التعب والإجهاد برغم محاولة اصطناع ملامح التركيز، لكنهما أجمل عينين مجهدتين رآهما، ترفع بيديها كوب القهوة وتحتسي منه، ثم ترمي بعينيها نحوه فتجده ينظر لها فتقطع هذا الصمت بقولها:

- هل ستغضب مني لأني سرقت رشفتين من قهوتك؟

يعدل جلسته وهو يقول مبتسمًا:

- لا بالطبع تفضليه عن آخره، حاولت مرارًا الاتصال بك فمن يوم حادثة الضابط وأنتِ لم تأتي للجريدة.

- كنت بالفعل لا أستطيع القدوم، فلقد كانت أختي مريضة بعض الشيء، وكنت يجب أن أرافقها حتى تتحسن.

- ألف سلامة عليها.

تحاول هِيلِين أن تغيير الحديث فتنظر نحو شاشة حاسبه الآلي وتشير لها قائلة:

- ولكني قادمة وأريد أن أغرق في العمل، ماذا لديك عن مجريات حادثة الضابط؟ وهل وصلت لشيء من الكتاب؟

تظهر عليه السعادة ويشكر بداخله تلك الحادثة التي كانت السبب في أن يتقربا لبعضهما قليلًا فقال:

- لقد جَمّعت الكتاب وقرأته، موضوعه غريب بعض الشيء، هل تعلمين ما هو الجسد الأثيري؟

تضيق عينيها وهي تنظر له باستغراب ثم تردف قائلة:

- أتمنى أن توضح أكثر.

يضحك أنس ويعرف أن محاولة جذب انتباهها نجحت فيرد عليها وهو يشير لها بأن تجلس على المقعد الذي بجانبه حتى يتسنى له إكمال حديثه، وبالفعل بدأ في شرح ما توصل له من الكتاب، حتى تشير له بيديها مقاطعة قائلة:

- لحظة، هل تصدق هذا؟

كانت إجابة هذا السؤال مؤجلة لنهاية حديثه، ولكنها عجّلتها قليلًا فأجابها مقتضبًا:

- والله يا هيلين أنا لدي مبدأ مؤمن به «لا تحكم على شيء قبل أن تجربه»

تستغرب كثيرًا من رده فتلفظ تلقائيًا بسؤالها:

- معنى كلامك أنك سوف تقوم مثلًا بتجربة ممارسة السقوط أو الإسقاط النجمي؟

- بالتأكيد سوف أجربها حتى أقيم هذا الأمر هل هو حقيقة أم خرافة؟ برغم أني أظن أنها من الممكن أن تنجح التجربة معي وذلك لأني أمارس اليوجا منذ فترة طويلة، وهي تساعد كثيرًا في الصفاء الذهني، ولذلك يجب أن تقرأيه أنتِ أيضًا.

تتفاجأ هيلين من اقتراح أنس وترد غاضبة:

- أنا؟ بالطبع لا، تخرج روحي وجسدي يبقى! ما هذا العبث.

- ألم تقولي لي «أريد أن أغرق في العمل» وهذا دليل في قضية نعمل عليها ويجب أن نعرف كل شيء عنه، ولا تنسي العبارة التي كتبت على المرآة يمكن أن يكون حلها في هذا الكتاب، أو حل القضية برُمتها، يجب أن نجرب فلن نخسر شيئًا، أنا لم أرفض طلبك الأخير وأتمنى ألا ترفضي

طلبي هذا

تصمت قليلًا وهي تحدق في عينيه ثم تقول وشفاها تنم عن ابتسامة صغيرة:

- موافقة هل الكتاب معك هنا؟

- لا في منزلي، أخبريني متى تستطيعين أن تمري عليّ كي أعطيكِ إياه.

تنظر في ساعتها ثم تقول:

- الساعة السادسة مناسبة معك؟

- مناسب جدًا.

يبتسما هما الاثنان وتقوم هِيلِين بسؤاله بحماس:

- فيما يخص نقطة الكتاب فلقد أبليت بلاء حسن فيه، يبقى نقطة التحقيقات والتي كانت من نصيبي وللأسف خذلتك فيها بسبب عطلتي هذا الأسبوع، فهل لديك أخبار أم أهاتف حامد

يرد أنس مستاءً وكأنه يقول ليس وقت هذا السؤال:

- ليس ضروريًا، ما أعرفه يكفي على ما أظن فلقد قمت ببعض التحريات بنفسي

- هيّا أخبرني؟

- الداخلية تسعى لغلق تلك القضية بأسرع وقت ممكن لعدم تشويه صورة الضباط هذا، بالإضافة إلى أن والديّ الضحية والجاني لواءان بالداخلية وهذا أزاد الأمر ضغطًا، الضابط رؤوف مات في العناية المركزة بعد أن وصل المستشفى بساعة واحدة، والتحليل المبدئي للعينات والجثث أثبت أن القاتل رؤوف قد خنق زوجته بيده وخنق ابنه بالوسادة.

- هكذا القضية قد أغلقت قبل أن نبدأ بها، ولكن يبقى السؤال لماذا قتلها؟ وبالتأكيد إجابة هذا السؤال مع عمر.

حان وقت معرفة إجابات بعض الأسئلة التي تتصارع داخل عقل آنس عن علاقة هِيلِين بعمر، وسيكون رد الفعل شِبه إجابة عن تلك الأسئلة فاستغل الفرصة قائلًا:

- أتقصدين أن يكون شريكًا في الجريمة بشكل ما؟

تابع حدقتي عينيها اللتين اتسعتا ثم أردف مستمتعًا:

- الضابط عمر مطلوب للتحقيق في النيابة، ولكن لا أعرف هل كشاهد أم كمتهم؟ وهل هناك أدلة ضده أم لا؟ وضعه في الجريمة مريبٌ جدًا، ماذا فعل بمسرح الجريمة قبل أن يصعد له حامد؟ لماذا ظلّ في مسرح الجريمة 15 دقيقة منفرد بالقاتل؟ وما الذي قال له القاتل عندما هاتفه أو عندما أنفرد به؟ لا أعرف ولكن عمر هذا غير مريح.

- وماذا قال في التحقيق؟

حاول آنس أن يخفي مشاعر الغضب التي اجتاحت قلبه، ولكنه لم يستطع فنظر في الساعة وأجابها مقتضبًا في حنق

- يجرى معه التحقيق الآن.

تنهض هِيلِين سريعًا وتمسك حقيبتها وتجمع باقي أغراضها وهي تقول بعدم اكتراث:

- يجب أن أعرف بنفسي ما حدث، هل سوف تأتين معي أم لا؟

يجيب آنس بالموافقة دون أن يعطي مجالًا للتفكير.

الفصل الثالث

بداخل مكتب وكيل النيابة يقف عمر وهو يأخذ نفسًا عميقًا يهدئ به أعصابه الثائرة ويوقع على دفتر أقواله ويفتح الباب ويخرج ليجد أمامه هِيلِين تنظر له وبجوارها أنس، هذا الشاب الذي أوقفه يوم الحادث وتركه ليجده معها بعد ذلك في سيارتها؛ فيقف أمام هِيلِين وهو ينظر لأنس بعدم ارتياح، ويبادله أنس نفس الشعور ثم ينظر لها ويقول:

- هل يمكن أن نتحدث سويًا أستاذة هَيلَين؟

ثم نظر لأنس وأكمل بغطرسة:

- على انفراد.

تقول هِيلِين مبتسمة:

- موافقة ولكن على حسابك يا حضرة الضابط.

فيجيبها عمر بنشوة الانتصار:

- بالتأكيد.

تميل هِيلِين على أنس وتستأذن عمر لتقول له شيئًا، وتتنحى عنه قليلًا وتهمس لأنس قائلة:

- آسفة يا أنس، أعلم كم هو مستفز، ولكن الفضول يقتلني لمعرفة ما حدث معه، لن أتأخر على موعدنا اليوم لا تقلق سلام.

يميل أنس رأسه بالموافقة الآتية عن عدم رضا، وتتحرك هِيلِين بجوار عمر أمامه وهو يسير خلفهما؛ حتى قرر أن يتوقف كأنه يربط حذاءه حتى يبتعدا عنه، وبعد عدة لحظات نهض فلم يجدهما أمامه، ذابا وسط الزحام وأدرك أنه يجب أن يضع حدًا لمشاعره التي تسوقه دون أن يتحكم بها.

وبعد ما يقرب من ساعة في أحد المقاهي الهادئة يجلس عمر على طاولة بجوار الزجاج الخارجي للمقهى، الذي ينظر من خلاله صامتًا شاردًا في

حركة السيارات ذهابًا وإيابًا وأمامه تجلس هِيلِين تنظر له بملل، ولكنها لم تستطع أن تتحمل أكثر فتقول بجدية مزيفة:

- لا تقلق سوف أدفع أنا.

كان سؤالها كصافرة الحَكم التي أعادت عمر مرة أخرى للواقع، فنظر مستغربًا سؤالها وهو يقول:

- تدفعين ماذا؟

- لا يصمت شاب أثناء جلوسه مع فتاة إلا إذا كان يفكر كيف سيدفع الحساب.

تنجح تلك الدعابة في تخفيف الحدة التي تملكت ملامح عمر وجعلته يأخذ قراره في التحدث فيما كان قادمًا من أجله، فيبدأ بالاعتذار لها، ثم طلب النادل وأبلغه بطلبهما وحين انصرف بدأ حديثه وملامحه تعلن استسلامها للراحة قليلًا:

- أود أن أشكرك لقبولك دعوتي تلك لأن عقلي سوف ينفجر من التفكير، ويجب أن أتحدث مع أحد قبل أن أجن.

- كُلّي آذان صاغية.

- «غدًا سوف تجد مَن حولك لن يتعدوا عُقلة الإصبع الواحد، فأرجوك لا تتفاجأ» كانت تلك حكمة عمي قالها لي في آخر زيارة له ببيت المسنين قبل وفاته، والآن أنا على يقين أني أعيش تلك الحكمة هذه الأيام، فلقد فقدت الجميع ولا أحد في حياتي سوى العمل فقط الآن، لا أعرف لماذا اخترتك أنتِ بالأخص، ولكن يكفيني أني مرتاح الآن، أنا أعرفك منذ فترة طويلة وجذبتني شخصيتك المختلفة وهذا سبب معاملتي المتميزة معك، وفي هذا الوقت الحالك بسبب قضية أخي رؤوف أريد شخصًا مثلك يفكر معي، أرجو أن تنصتي لي للنهاية ولكن بشرط ألا يخرج حرف واحد عن جلستنا تلك.. أنا أثق بكِ وأتمنى أن تستحقي تلك الثقة.

- اطمئن يا عمر باشا سوف تجدني أستحق تلك الثقة، ولكن عِذني أن تسمح لي بنشرها في الوقت الذي تحدده ويكون هذا بشكل حصري معي... اتفقنا؟

- أوافق ولكن يجب أن تسجلي وعدك هذا على هاتفي بصوتك.

تندهش هِيلِين من هذا الطلب الغريب بعض الشيء، ودون تفكير تمد يديها لتمسك هاتف عمر الذي يتابعها وهو مبتسم فتقول له بتحفظ:

- هل يمكنك كتابة كلمة السر كي أسجل وعدي؟

- أكتبه أنا أم تكتبينه أنتِ؟

- تضحي به بكل سهولة هكذا، أم تريد سحب بصماتي من عليه، اطمئن فأنا مَن نفّذ الجريمة الكاملة، ولن تصل لشيء.

كان هذا الرد له تأثير السحر على عمر فتلك أول مرة تراه هِيلِين يضحك بهذا الشكل وحين تمالك أنفاسه من الضحك، ثم نظر لها في تحدٍ وقال متسائلًا:

- أتعرفين ما هي كلمة السر؟

- ما هي؟

صمت لحظات وهو يراقب عينيها الهاربتين منه ودنا منها قليلًا وقال بصوت يملأه الشجن:

- كلمة السر «.«Helen

توقف الزمان عند هِيلِين وتجمدت مكانها من هول المفاجأة، لم تدرك هل سمعت جيدًا، فإذا بها تحرك أصابعها المرتعشة لتكتب حروف اسمها فتتفاجأ بأن الهاتف قد فُتح بالفعل، تشعر وكأن نبض قلبها توقف، وترفع عينيها رويدًا وتنظر بخجل مخلوط بدهشة نحو عمر المتأمل وجهها، فتبلع ريقها وتعود بسرعة لتحرك أصابع يديها على الهاتف، وتختار برنامج المسجل وتسجل وعدها لعمر، وهي لم تستمع لما تقوله من توترها وسرعة

إلقائها؛ ثم تضع الهاتف مرة أخرى كما كان بجانب عمر على الطاولة، في محاولة فاشلة منها لتهرب بعينيها عن عينه، فهي لا تزال تحت تأثير الصدمة، فسكن الصمت المكان لحظات حتى كسرته هي بقولها:

- يمكنك البدأ الآن يا عمر باشا.

أدرك عمر أنها تحاول أن تهرب من هذا الموقف بهذا الرد فلم يرد أن يضغط عليها وأكمل حديثه وكأن لم يحدث شيئًا، وبالفعل روىَ لها ما قاله في التحقيق، ودرجة قُرب رؤوف له وأنه غير مصدق بأنه قتل زوجته وابنه الوحيد ثم يُقدِم على الانتحار، وهذا ما جعله يجلس في مسرح الأحداث أطول فترة ممكنة حتى يجد أي ثغرة تثبت عكس ما حدث، لكنه لم يلحظ سوى تلك العبارة الغريبة المكتوبة على المِرآة، ما سرها؟ لا يعرف، ولكنه لم يخبر النيابة بكل ذلك واكتفى بأن أخبرهم أنه كان بجوار رؤوف ولم يتحرك، وهم ليسوا أمامهم إلا أن يصدقوه فهُم لا يمتلكون دليلًا ضده ولهذا هو معها الآن، وأضاف لها ما حدث معه عندما وصل لرؤوف بالمستشفى وقال له «هو من جعلني أقتلهما بيدي، وكان يجب أن أقتله»، مَن دفعه لفعل ذلك؟ أسئلة كثيرة تجتاح عقله أفرغها جميعها أمام هَيلَين، وهي تحاول أن تتجاوب معه وتشعره بالاهتمام بأنها تفكر معه بقولها:

- كيف كانت حالة رؤوف النفسية في الفترة الأخيرة؟

- لا أنكر عليكِ أنه في الفترة الأخيرة كان يتهرب من مقابلتي ولم يرد على اتصالاتي به للاطمئنان عليه وفي آخر اتصال قبل الحادثة بيومين، وذلك بعد أن علمت أنه قدَّم على عطلة أسبوع من العمل، فردت عليَّ حينها شروق وكان صوتها مرتبكًا جدًا، أخبرتني أن رؤوف في حالة غريبة أصبح عصبيًا ومخيفًا، لا ينام ويتناول القهوة بشراهة، ثم قالت بكثير من الخوف إنه حاول خنقها من يومين وهي نائمة وأفلتها بأعجوبة، تمت تلك التغيرات بسبب كتاب معين كان يرافقه في الفترة الأخيرة وفجأة أغلقت المكالمة، حاولت معاودة الاتصال، ولكن لم يرد على أحد، لا أعلم ما سبب

هذا التغير؟ وما سر الكتاب الذي ذكرته؟ والعبارة التي على المِرآة؟ وما أخبرني به رؤوف قبل وفاته؟ ليس لدي أي إجابة لكل هذا.

- لماذا لا يكون السبب في كل هذا أحد أنواع الشيزوفرينيا انفصام الشخصية؟ هو ما وصله لتلك المرحلة وما أخبرتك به زوجته يثبت ذلك.

يبتسم عمر حزنًا ويجيبها بثقة:

- كنت أتوقع استنتاجك هذا، ولكني أعرف رؤوف جيدًا، شخص هادئ الطباع طيب النفس، مارس الكاراتية للدفاع عن النفس ليس أكثر، دخل كلية الشرطة كي يرضي والده اللواء أحمد منتصر، ما إن تخرّج حتى طلب نقله للعمل الإداري لكره للعمل الميداني وما يحدث من أمور يبغضها، بعد هذا كله من المفترض أن أقتنع أن رؤوف جُن جنونه وفعل ما فعله.

تحاول هِيلِين أن تهدئه وتتجاوب معه لكنها تتفاجأ بأن الساعة السادسة، فتبدأ في جمع أغراضها وهي تقول لعمر بكثير من العجلة والحرج:

- أنا آسفة جدًا فأنا مرتبطة بموعد الآن، حاول أن تفكر بهدوء أكثر وأنا سوف أفكر أيضًا وبالتأكيد سوف نكمل حديثنا هذا.

يمد عمر يده محاولًا ليمسك يديها وهو يقول لها بكثير من الولع:

- أتمنى ذلك.

تسحب هِيلِين يديها في عنف وتخرج من المقهى دون أن تنظر خلفها، وتسأل نفسها هل كانت تستحق تلك المعلومات هذه التضحية بأن تسمح له بأن يتجاوز معها لهذا الحد.

***

الساعة الآن 6:25 وآنس يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا غاضبًا فيمسك بهاتفه ويتصل بها لا يكاد يسمع رنين الاتصال حتى قَطع فصرخ قائلًا:

- لقد رفضت الاتصال، هل لهذه الدرجة هي مشغولة؟

اشتعل غيظه فلقد شعر أنه أهين منها، فهى حتى لم تتصل لتعتذر عن تأخيرها وعندما يحدثها تقطع الاتصال، وأثناء ذلك يرن هاتفه، فيجري عليه ليجد المتصل هَيلَين، فيقع صراع بين عقله الرافض للرد حفاظًا لكرامته وقلبه الملهوف ليطمئن عليها، وهنا قلبه ينتصر ويفتح المكالمة بلهفة:

- ألو، ما كل هذا؟ أين أنتِ؟ لقد هاتفتك ولكنك أغلقتِ الاتصال.

- أنا آسفة جدًا، عندما أقابلك سوف أخبرك بكل شيء.

تزيد نبرة أنس قلق قائلًا:

- المهم أنك بخير.

يسمع أنس صوت توقف محرك السيارة فيجد هِيلِين تخبره أنها وصلت وتنتظره بالأسفل، وقف أمام المِرآة ليتأكد من أناقته، ثم أخذ الكتاب بيده ثم تحرك ونزل لها بسرعة تكاد قدمه تلمس الدرج، حتى طَرقَ لها على زجاج السيارة، ففتحت له ليجلس بجوارها محاولًا التظاهر بالضيق منها لكن بشكل باهت؛ ولكنها بادرته بحديثها في تودد كقطة تعرف كيف تطلب طعامها:

- أنا آسفة جدًا جدًا جدًا على تأخيري، لكن عندما تعرف ما لدي سوف تعذرني.

- لا ولا يهمك المهم أنك بخير، ما الجديد لديكِ؟

فتبدأ هِيلِين حديثها بحماسها المعهود وتخبره بما أخبرها به عمر كنقط محددة ومنظمة، أدرك أنس أن بالفعل لديها حُجتها في التأخير وذلك لحجم المعلومات التي حصلت عليها من عمر، ولكن جاء بخاطره سؤال أراد أن يسأله لها، لكنه قرر أن يؤجله لنهاية حديثهما، ويبدأ معها في تحليل النقاط التي وصلت لها بنفس الحماس والاهتمام:

- جيد جدًا ما توصلتي له، إذًا الحقيقة الواضحة للجميع أن رؤوف القاتل

حتى من أقرب الناس له، وأنه أخذ عطلة من العمل لمدة أسبوع قبل الحادث، وأثناء تلك الفترة لم يرد على اتصالات عمر، هذا غير أنه حاول قتل زوجته بالخنق قبل الحادث بيومين، وزيادة احتمال أن يكون مريضًا بانفصام في الشخصية، هذا غير العبارة التي قالها لعمر نصًا بالمستشفى «هو الذي جعلني أقتلهما بيدي» والتي تعتبر لغزًا ثاني بعد لغز عبارة «أنت ملكي» وشك زوجته بأن كل تلك الأحداث بدأت مع ظهور هذا الكتاب معه، إذًا يمكن إن يكون حل تلك الألغاز في هذا الكتاب.

وهنا ضرب بأصابع يده اليسرى الكتاب ضربات واهنة قليلة ثم أردف

- وكما أخبرتك سابقًا يجب أن نجرب ونحكم، اقرئيه فلن نخسر شيئًا.

- موافقة سوف أقرأه وأبلغك غدًا برأيي.

- أنا مستعد لتلك التجربة اليوم، ولكن بعدما أنتهي من تدوين كتاب جاري عم أمين أولًا.

ترد هِيلين عليه مازحة:

- تكتب له كتابًا؟! أتقوم بعمل خارج الجريدة يا أستاذ؟

يجيبها مبتسمًا:

- عمل؟ إنه الرجل الذي تكفل بتربيتي بعد وفاة والديّ، بطل من أبطال الحرب المنسين، وأريد أن أجعله يشعر بالدعم النفسي من خلال كتاب عن سيرته المليئة بالمفاجآت، لكِ أن تتخيلي أنه لم يتزوج حتى الآن وضحى بكل شيء وفاءً لحبيبته التي توفيت في شبابه.

- يجب أن أقابل عم أمين هذا، إنه عملة نادرة في هذا الزمن.

- تُشرفين في أي وقت.

يخرج أنس من السيارة وقبل أن يقفل باب السيارة يخفض رأس قليلة لتكون قُبالة نافذة السيارة اليمنى ليسألها في توجس السؤال الذي أحّره

لنهاية حديثهما:

- ممكن سؤال بعد إذنك، وأتمنى أن تجاوبي عليه.

- تفضل اسأل بالطبع يا أنس.

فيحدق أنس في عينيها لحظتين ثم يقول مترددًا:

- إذا كان عمر أخبرك بكل تلك المعلومات بسهولة، فلماذا كنتِ تلجئين لحامد وأنتِ لديكِ مصدر معلومات أقوى؟

تصمت هَيلَين، فيلاحظ أنس ذلك فيعير وجهه نحو الناس المارة من حوله وهو يقول:

- لا يجب أن تجيبي، تلك أسرار عملك وأنا جديد معك، ولكن لا تنسي أن تقرئي الكتاب اليوم.

تشكر الله في سرها أنه أخرجها من هذا المأزق، فهي لا تريد أن تكذب على أنس. بعد أن ودعها وضعت الكتاب على المقعد بجوارها وتحركت بسيارتها حتى خرجت من الشارع الذي يسكن فيه وهي تسأل نفسها قائلة:

- ما الذي أفعله؟ هو لديه الحق في سؤاله عن عمر؟ فسؤاله منطقي جدًا.

أثناء هذا التشتت تفاجأت بظهور سيارة أمامها كادت تصدم بها، ولكنها خرجت عن الطريق بسلام، ولكن انقلب كل شيء بالسيارة وتبعثر فبدأت في جمعهم مرة أخرى لتتفاجأ بأن كتاب الإسقاط النجمي مفتوح وفي وسطه وردة حمراء طَبعت على الكتاب لمستها ورائحتها، فابتسمت وأدركت أن هناك مَن أرسل لها شيئًا يعلن به عن حبه الذي لم يجرؤ على أن يبوح به حتى الآن، فتضعها بالكتاب مرة أخرى وتربط حزام الأمان وتحرك سيارتها وهي تخاطب عقلها «ما هذا اليوم الغريب؟ عمر وأنس؟ الاثنان مفاجآة كبيرة لي، كيف أستوعب كل هذا؟»

تصل هِيلِين لمنزلها وتحمل حقيبتها والكتاب وتتجه نحو المنزل لتتفاجأ

بياسر يقف أمام صندوق البريد ممسكًا بخطاب ما، ولكنه ليس أي خطاب إنه هو، تستطيع أن تميزه، إنه خطابها الأسبوعي من العاشق المجهول، فتشتعل غضبًا وتتجه نحوه مسرعةً صائحة:

- اترك رسالتي يا حقير.

يومئ ياسر وكأنه غير مهتم بما قالته ويرمي الخطاب بداخل الصندوق، ثم يرحل للخارج فتمد يديها لتأخذ الخطاب وتتأكد أنه مغلق وعندما تطمئن من ذلك، تنظر له وهو عند سيارته وتصرخ فيه:

- لا تلمس شيئًا لا يخصك بعد ذلك.

ينظر لها ياسر ويشير لها أن تهدئ من صوتها حتى لا تسمعها ريهام النائمة وهو يضحك ويركب سيارته وينطلق بها، تمالكت نفسها ودخلت المنزل اطمأنت على أختها ريهام، ثم جرت على غرفتها لتضع أغراضها وتحضر اللوحة التي تجمع عليها قطع «البازل» التي قاربت على استكمالها، فتمسك الخطاب وتتأمله بجمال لونه الأبيض وخط العاشق عليه باللون الأحمر الذي اعتادت على حروفه وعنوان هذا الخطاب «القطعة 81 « فتفتحه بسرعة متلهفة لقراءته لتجده كالمعتاد ورقة وقطعة واحدة من البازل، فتأخذ القطعة وتنظر للوحة بتمعن، وبعد القليل من بحث تصل لها وتضعها مكانها، وتفرح كأنها طفلة بعمر ست سنوات، فتُقبِّل الخطاب وتفتح رسالته وتقرأها بانسجام وهدوء وهي نائمة على فِراشها؛ ترفعه بيدها وتتأمل كل حرف فيه، وكأنها تتذوقه، ولكن هناك من جعلها تقفز من مكانها عندما رأت في نهاية الرسالة لأول مرة ملحوظة بعد إمضائه بكلمة «المجهول» تقول:

- ملحوظة سيدتي: انتظري اعترافاتي بشكل يومي فلم أستطع أن ألتزم بوعدي، فقلبي لم يتحمل بُعد لحظة اللقاء، انتظريني بعد تسعة عشر يومًا من الآن.

لم تتحمل هِيليِن هذا الخبر فظلت تقرأه أكثر من مرة محاولة تصديق ما قرأته، وهي تقفز من الفرح غير مسيطرة على عواطفها وكأنها عادت لفترة

المراهقة مرة أخرى، فتقفز على الفراش وهي تحتضن الخطاب ثم تقبله وتعود لقراءته لمرات عدة، وظلت هكذا حتى نامت.

***

يغلق أنس باب منزله بعد أن أمضى مع عم أمين نصف ليله يكتب له كتابه عن قصة حياته، فذهب إلى المطبخ ليشرب كوبًا من الماء البارد، وبعد أن رطب جسده من حرارة الجو ذهب إلى غرفته استعدادًا لتجربة الإسقاط النجمي التي وعد هِيلِين بأنه سيقوم بها اليوم، نظر للساعة ليجدها «الثانية عشر ودقيقتين» أطفأ الإضاءة ونام على الأرض، ثم وضع رأسه على الوسادة ويداه ممدودتان بجانبه، أغمض عينيه وبدأ يتنفس بشكل بطيء، لقد كانت لتدريبات اليوجا التي يمارسها الفضل في أن يتقن تلك الأمور، فهو يريد الرؤية في الظلام خلف الجفون المغلقة كما يفعل المكفوفين، ولكن الإجبار على تخيُّل شيء معين لا يثمر على نجاحها، فيجب أن يتخيل الأحاسيس على جسده ويشعر بها بوعي كامل.

يستمر أنس بالتخيل وكأن هناك إسفنجة مبللة تتحرك على أصابع قدميه ثم كعب رجليه ثم ركبته ثم أردافه حتى يقف الإحساس بتخيُّلها عند منتصف بطنه، ويكرر تلك الخطوات على قدمه الأخرى، ثم يمررها على أطراف يديه حتى كوعه وكتفه؛ ثم تقف عن منتصف البطن هي الأخرى، وللأسف لم يشعر بشيء فعاد التجربة من البداية بتركيز أقوى عدة محاولات حتى المحاولة الخامسة الذي شعر فيها بذبذبات بسيطة في بطنه وهي ما تسمى بـ «شاكرَا»، فأجمع تركيزه ووعيه الكامل بتلك الطاقة لينقلها إلى منطقة الصدر، وأحس هنا أنها تمر بين رئتيه وقلبه فشعر بدفئها، استمر بدفع تلك الطاقة إلى رأسه من بين حاجبيه بعد أن مرت على حلقه وزادت شعوره بالاختناق المؤقت الذي زال بعد مرورها مباشرة، وعند وصولها لبين حاجبيه تخيل أنس بأن الإسفنجة المبللة انقسمت وانتقلت لتكون موجودة على جانبي وجهه بين الحاجب والأذن وتدور بشكل حلزوني بطيء.

وخلال ذلك رأى أنس أمامه إضاءة عالية تضيء وتطفئ كإضاءة سيارات الشرطة، ولكن لونها أبيض وبشكل أسرع، حتى ثبت هذا الضوء وبدأ يتسع أمامه، وهنا شعر أنس وكأن هذا الضوء يمتصه داخله ودون أي مقاومة منه يدخل أنس فيه؛ فيشعر كأنه يهوى من ارتفاع كبير حتى يسقط على أرضية سوداء ليرى نفسه بداخل غرفة تتلوَّن جدارها الأربعة باللون الأسود وبها باب واحد، يقف ويتفقد باقي الغرفة لا يجد سواه، بابٌ أسود كُتبت عليه حروف منقوشة باللون الذهبي لعبارة «أنتَ مِلكي»، يدرك هنا أنس أنه قد نجح أخيرًا في إتقان الخطوات التي قرأها في كتاب رؤوف وأداها بشكل جيد لأنه قد وصل لما يريد، وهذا بسبب أنه نصب تركيزه على قضية رؤوف من معلومات وأدلة، وشعر أن الباب هو بداية الخيط وذلك لمعرفة تفسير العبارة التي كُتبَت على المِرآة، يتجه أنس للباب ويمسك بمقبضه وهو يتأمل عبارة «أنتَ مِلكي»، وفجأة يسمع صوتًا يصرخ فيه يأتي من العدم يصيح قائلًا:

- لا تفتح هذا الباب، أنا أحذرك من فعل ذلك.

يترك أنس مقبض الباب وهو ينظر حوله لا يرى شيئًا، ولكنه يسمع خطوات ثقيلة تضرب الأرض بقوة قادمة من بعيدٍ صوتها يعلو ويعلن اقتراب هذا الكائن الثائر المجهول وهو يكرِّر تحذيره، ولكن بثورة أكثر وغضب أشد، فيرتعب ويمسك بمقبض الباب بكل خوف وسرعة، فيدخل مسرعًا ويغلق الباب خلفه، وعندما أغلقه ظلّ ينصت لهذا الكائن الثائر بالغرفة السوداء التي كان فيها منذ لحظة محاولًا للبحث عنه، وفجأة توقف صراخه فتنهد ثم التفت ليكتشف الغرفة التي دخلها ليجد نفسه بداخل غرفته، ولكن لون حوائطها أصبح أبيض مضيئًا ومشعًا، تخلو الغرفة من أثاث غرفته المعتاد، ولكن محيطها وحجمها يكاد يطابقها، لا يوجد بها سوى باب غرفته الملون في تلك الغرفة باللون الأبيض أيضًا ومِرآته ولكنها الوحيدة التي بقيت كما هي بإطارها المعدني الفضي اللون، وعلى الأرض لا يوجد شيء سوى كتاب الإسقاط النجمي في منتصف الغرفة موضوع في نفس مكان نومه لأداء التجربة، تحرَّك نحوه وأمسكه

ليجده نفس الغلاف، ولكن المحتوى أصبح ضخمًا؛ فعدد صفحاته تكاد تكون تصل للألف صفحة، وتوقفته صفحة وهو يقلب الكتاب سريعًا، كانت بعنوان «صُحبة الرّوح» كان مكتوب فيها:

«يمكنك أن تطلب روح وتكون رفيقة لك في رحلتك، تُريك ما تسمح لك هي برؤيته، وتخبرك بما تريد هي أن تقول لك، ولكن اعلم ليست كل الأرواح تريد صحبتك، وإن أردت أن تجلبها رغم إرادتها فيجب أن تتحمل عواقب فعلتك تلك، فهذا اختيارك أنت»

بشكل تلقائي التفت نحو المِرآة التي يقف أمامها ليتفاجأ بعدم وجود انعكاسه عليها، فهي ليست عاكسة له أو للغرفة بلونها الأبيض الزاهي، ولكنها تعكس غرفته، ولكن وهي تكتسي باللون الأسود، وتعكس وجود نافذة خلفه رغم اختلاف موضع نافذة غرفته في الواقع وكأنها انتقلت لتكون مقابل المِرآة فقط.

يقترب من المِرآة محاولًا رؤية تفاصيل أكثر؛ فيلاحظ أن النافذة هي بوابة كبيرة بعيدة يفتح بابها ببطءٍ، وما يدهشه أكثر أن مصدر صوت فتح البوابة يأتي من خلفه ولكنه عندما يلتفت لا يرى شيئًا، فيعود لينظر لتلك المِرآة الغريبة ليجد بأن البوابة تستمر في حركتها، المشهد كصورة تتحرك أمامه والصوت يصدر من خلفه. ظل أنس يلتفت بين الاثنين، ليجد أن تلك البوابة قد فُتحت على مصراعيها لتكشف خلفها سُحبًا متساقطة من الضباب الكثيف، وظهر مِن بين هذا الضباب ظِلّ لشخص يقف بثبات لا يتحرك ولا تنعكس عليه أي إضاءة حتى تفضح أي شيء عن معالم وجهه أو هيئته، يحاول أنس أن يلتفت خلفه لعلّ الوضع يكون قد تغير أو ظهر أي شيء مما يراه في المِرآة قد حدثَ خلفه، ولكن يبقى خلفه فقط صوت الهواء والرياح القادمة من وسط هذه البوابة، وهنا يسمع صوت هذا الشخص يقول له في هدوء مُخيف:

- سبع معالق سكر سقطوا في الوعاء، الأولى ذابت وباقي ستّ.

لم يفهم أنس معني هذا النداء، ليجد هذا الشخص يكرّرها مرة ثانية

وثالثة، فيوقفه أنس مازحًا في تردُد:

- توقف، لقد سمعت ولكن لم أفهم.

يجد الصوت يرد عليه، ولكن يلاحظ هذه المرة أن صوت هذا الشخص هو صوته هو، نفس نبرة صوته قائلًا بثقة:

- سوف تفهم يا أنس ولكن ليس الآن.

- مَن أنت؟

يرد الآخر في صرامة واقتضاب:

- ليس من حقك أن تعرف الآن.

يشعر أنس بالغيظ فيحاول أن يستفزه قائلًا:

- وهل ستظل تقلد صوتي كالببغاء؟

يجد أنس هذا الشخص في المِرآة يرفع يده في اتجاهه ويسمع صوته من خلفه وهو يقول في حدة ونبرة صوته أعلى عن السابق:

- أنت ماذا أتى بك إلى هنا؟

- جئت هنا كي أعرف لماذا قتل رؤوف زوجته وابنه ثم قتل نفسه.

هنا يسمع ضحكات متفرقة تتناثر حوله جعلته يلتفت في كل جانب حول نفسه، حتى سمع صوت ضربة شديدة قادمة من باب الغرفة.

الفصل الرابع

يجلس الضابط طارق على مكتبه يمسك بين يديه عدة أوراق، وأمامه يقف متولي منتصبًا ينتظر أوامره، حتى تنهد قائلًا:

- تقرير الطبيب الشرعي أثبت إدانة رؤوف بقتل زوجته وابنه، بصماته وُجدَت على عنق زوجته وعلى وسادة ابنه ولا توجد بصمة غريبة سوى بصمة وجدت على مِرآة غرفة النوم وهي تعود لعمر، ولكنها صعب أن تدينه بشيء أمام إدانة رؤوف، هذا غير العلم بتواجده في مسرح الجريمة وهو من أبلغ عنها بشكلٍ ما، هل استلمت النيابة نسخة من هذا التقرير؟

- نعم سيدي.

- إذًا أوقفوا المراقبة خلف الضابط عمر ليس منها جدوى الآن.

خرج متولي من مكتب الضابط طارق وتحرك عدة خطوات بعيدًا وهو يمسك هاتفه ويقول:

- تمام يا عمر باشا، المراقبة توقفت.

***

زاد طَرق الباب بقوة حتى سمع الكائن الثائر مرة أخرى يصرخ فيه، من فزعه قفز من مكانه ليجد نفسه ملقىً على الأرض في غرفته، ولكنه لا يعلم هل هو في عالمه الحقيقي أم ما زال في العالم الآخر؟ ينظر إلى الساعة ليجدها «الثانية عشرة ودقيقة» مساءً، فيستعجب هذا فيذهب لهاتفه المحمول ليجد به عدة مكالمات فائتة 8 مكالمات من هيلين و10 مكالمات من عم آمين، فينظر لتاريخ اليوم الموجود على الهاتف ليجد الصدمة، إنه نام يومًا كاملًا، كيف وهو لم يشعر سوى أنه نعس ما لا يقرب من ساعة أو ساعتين فقط، كيف هذا؟

لم يستوعب آنس سبب هذا التفاوت الزمني، وفي ظِل هذا كله كان واعيًا بكل ما حدث معه في تلك التجربة وقرَّر أنه سوف يبحث في الكتاب الذي

معه عن أي تفسير لما رآه أو مدة تجربته تلك، ولكن تذكر أنه أهمل عم أمين دون أن يطمئن عليه وهو بالعكس حاول أن يطمئن عليه وهاتفه عشر مكالمات، فذهب ليطمئن عليه وهو في طريقه أرسل رسالة لهيلين ليطمئنها ويخبرها أن تحدثه صباحًا ليعلمها بما حدث معه.

يفتح الباب ليتفاجأ بعم أمين جالس على درج المنزل بجوار باب شقته نائم ويسند رأسه على عكازه، يرتدي عباءته الشتوية المُموهة التي يحتفظ بها من فترة الحرب التي خاض أهوالها في شبابه، يحزن أنس ويغضب من نفسه جدًا فيما فعله بعم أمين ويجلس بجانبه ويحتضنه ويقبّل رأسه ليجد جبينه باردًا كالثلج، يفزع ويحاول أن يُوقظه ويناديه وهو يهز جسده حتى يستفيق، ولكنه لا يستجيب، يقترب من صدره ليسمع دقاته تدق ولكنها بطيئة بعض الشيء فيحمد الله، ويقرر بأنه يجب أن ينقله للمستشفى، ولكن أين سيجد سيارة أجرة تمر الآن في هذا الحي القديم، ويرن هاتفه في تلك اللحظة ليجد إنها هَيلين، فيفتح المكالمة لتسبقه هِيلين بسؤالها:

- ألو، أنس هل أنت بخير؟ أين كنت منذ أمس؟ ولماذا لا ترد عليَّ؟

- آسف يا هِيلين سوف أخبرك ولكن الآن أنا أحتاج منك أن تساعديني، فعم أمين مريض ولا أعرف أأذهب به إلى المستشفى أم أطلب طبيبًا؟

- لا تقلق، أنا قادمة لك وسأحضر معي جاري فهو طبيب جيد.

بعد أقل من ساعة جاءت هِيلين ومعها الطبيب، أسرع أنس لأن يفتح لهما، فتعرّفه هِيلين على جارها الطبيب معتز، والذي يدخل معه غرفة عم أمين وظلت هِيلين بالخارج تتأمل هذا البيت الأثري المحافظ على كل شيء مهما كانت صلاحيته، وأثناء تأملها للمكان وجدت على المكتب بعض الأوراق فلفت انتباهها المدوّن في ورقة منهم، وكان هذا جزءًا من كتاب عم أمين عن سيرته الشخصية الذي يكتبه له أنس، ويعتبر من الجزء الذي انتهى وتم طباعته للمراجعة، فمسكت الورقة التي أثارت فضولها وبدأت في قراءتها:

4» يونيو1967

بعد غروب الشمس ببضع ساعات وأنا في خندق على بُعد أمتار من القنال على الضفة الشرقية، أؤدي خدمتي الليلية، أضع يدي بداخل جيبي أتأمل عينها التي من صغرها وأنا أعشقها، ملامحها التي رسمتها في ذهني وكُراستي منذ أن كان عمري سبع سنوات وهي لا تكاد طفلة ذات أربع سنوات، لكنني رأيتها في حينها ملكة الأطفال، فعيني لا ولن ترى سواها ولقد أقسمت عيني على ذلك، قرَّبت صورتها من أنفي حتى أستنشق الترياق الذي يعيدني للحياة وقبلتها وأرجعتها مرة أخرى مسكنها في جيبي فوق قلبي، واطمأننت عليها بيدي.»

وهنا تفاجأت هِيلِين بصوت أنس والطبيب معتز على باب غرفة عم أمين فتركت الورقة مكانها، وجلست بأقرب مقعد بجانبها حتى خرج الطبيب وأخبر أنس أن عم أمين أصابته حالة هبوط شديدة بمعدل السكر في الدم وذلك لعدم تناوله لدوائه في موعده، لكنه سيكون بخير بعد أن أعطاه دواء يرفع تلك النسبة، وأوصى أنس براحته وعدم إجهاده بأي حركة فَسِئُه في حالة حرجة وأنه قد عبر تلك الأزمة بسلام والحمد لله، تملك الحزن والأسى على ملامح أنس وهو يستمع للطبيب، تتقدم هِيلِين لإيصال الطبيب مرة أخرى لمسكنه كما وعدته فيسبقها إلى السيارة وتقف هِيلِين مع أنس أمام باب الشقة وهي تحاول أن تطمئنه وتواسيه وأخبرته أنها سوف تأتي صباحًا لتطمئن عليه، ولكن تفاجأت بيد أنس الذي تشبث بيديها وهي تسلم عليه وقال وهو ناظر في عينيها متأملًا:

- الآن أيقنت أن لي شخصًا آخر يهتم بي بعد عم أمين في تلك الدنيا الظالمة.

نالت الدهشة من ملامحها، فحاولت أن تسحب يديها خجلًا لكنه ظلّ متمسكًا بها، مرة ثم مرة حتى استطاعت أن تفلت يديها منه، وانصرفت مسرعة.

***

يستيقظ عم أمين وهو يحمد ربه على أنه أمدَّ عمره يومًا آخر، ويحاول أن ينهض من فِراشه فيختل توازنه قليلًا ويقع أرضًا، فيستيقظ أنس مفزوعًا يبحث عنه ليجده قد وقع على جانب الآخر من الفراش؛ فيقول:

- خير؟ هل أصيبت؟!

يسرع أنس نحوه ويرفعه من على الأرض فيمد عم أمين يده ويربت على خد أنس قائلًا:

- آسف سامحني، كنت أريد أن أدخل الحمَّام دون أن أقلق نومك.

- اصفعني على وجهي، أيقظني كما تريد، أؤمرني أن أحملك للحمَّام حتى، ولكن لا تجهد نفسك أرجوك.

يترك أنس عم أمين كي يتوضأ ويصلي وهو ذهب ليعد لهما الإفطار، وأثناء سيره للمطبخ سمع طرقًا على باب الشقة، فذهب وفتح الباب ليجد الطارق هو هَيلَين، فسلمت عليه وسألته عن صحة عم أمين فطمأنها عليه وطلب منها أن تستريح في الصالون حتى ينتهي عم أمين من صلاته وسألها أن تفطر معهما، تحاول هِيلِين أن ترفض طلبه ولكنه يصر عليه حتى وافقت، ويذهب وهو في قمة سعادته، وعندما تتأكد هِيلِين أن أنس بداخل المطبخ تتحرك في اتجاه المكتب لأن الفضول يقتلها منذ ليلة أمس، فإن حسها الصحفي جعلها تنجذب لقصة هذا الشخص وما هذه المشاعر النقية؟ فتمسك الورق وتبدأ في إكمال ما قرأته بالأمس وتنسى نفسها بين طيات القصة عدة دقائق حتى تتفاجأ بصوت يسألها:

- مَن أذن لكِ أن تلمسي شيئًا ليس ملكك؟ ثم مَن أنتِ؟

تفزع هِيلِين وتترك ما بيدها ليسقط ويتناثر على الأرض وتلتفت لتجد خلفها عم أمين ينظر لها بريبة وتقاسيم وجهه تتقلص غضبًا وهو ينتظر أن تفسر له وتجيبه عن سؤاله، فتحاول هِيلِين أن تستجمع ما تبقى لديها من شجاعة فتقول له:

- أنا هِيلِين زميلة أنس بالجريدة، أنا آسفة جدًا، ولكني انجذبت ولم

أستطع أن أمنع فضولي من قراءة مسودة كتابك، أرجو أن تسامحني.

يقطع هذا التصادم دخول أنس وهو يحمل أطباق الإفطار، فينقذها مازحًا بقوله:

- ارحم الأستاذة من غضبك فهي ليست في طاقة له، فهي كما أخبرتك زميلتي، وهي من لجأت لها بالأمس وأحضرت لك الطبيب، وجاءت اليوم لكي تطمئن عليك، وكتابك مثير لفضول أي شخص، أما مع صحفية بكفاءة هِيلِين فالفضول أصبح أضعافًا، فلها عذرها يا أطيب القلوب.

يحضن أنس عم أمين الذي زال الغضب عن ملامح وجهه تدريجيًا، وشعر بحسن نيتها، فأمسك عكازه جيدًا وجلس بالمقعد الذي بجانبه وهو يقول:

- سامحيني يا ابنتي، وزاد خيرك خير بما فعلتِه معي.

تهدئ هِيلِين من روعها وتبتسم له وتنزل متكئة على ركبتيها لتلتقط الورق الذي سقط منها بيدها اليمنى وباليد الأخرى تعيد خصلات شعرها خلف أذنها وتقول ووجهها أعلن استسلامه للراحة أخيرًا:

- المهم أنك بخير وعافية أدامهما الله عليك.

- لن تجدي جنديًا شارك بحرب ولم تقتل الحرب فيه الشعور بالأمان حتى لو كان منتصرًا، أنا لم أتعوّد بوجود أحد آخر بالمنزل سوى أنس، فاعذريني.

- لم يحدث شيء للاعتذار، وآسفة على فضولي.

- إلى أين وصلتِ من قراءة المسودة؟

ترد في حماس سؤال عم أمين وتخبره إلى أين وصلت فيها، فيومئ لها رأسه ويبتسم قائلًا:

- جيد، أنتظر تشريفك لي اليوم بزيارة ثانية مع أنس تُكملين معي تدوينه لباقي قصتي، لأن يهمني أن يكون هو أول من يقرأها.

تفهمت هِيلِين رغبة عم أمين وتحمست كثيرًا لمقابلته مرة ثانية ثم دعاها للفطار معهما ولم تستطع أن ترفض طلبه وبالفعل تناولت الفطار ثم غادرت وانتظرت أنس حتى يجهز ويقابلها بسيارتها والذي وصل بالفعل وركب بجانبها وهو يقول في نشوة:

- لدي أخبار جيدة، دعيني أحدّثك عنها ونحن بالطريق؟

تنطلق هِيلِين بسيارتها وهي تستمع لأنس وحديثه بشكلٍ جيدٍ، وبدأ هو برواية ما حدث معه بكل التفاصيل، ظلت تسمعه ويتقلب تعبيرات وجهها بين دهشة واستغراب وصدمة، عقلها لا يستوعب ما يقوله حتى أنهى حديثه بسؤاله:

- ولكِ أن تتخيلي أني استيقظت وكنت قد نمت يومًا كاملًا، وأنتِ كيف كانت قراءتك للكتاب؟

تصمت هِيلِين وترد دون النظر له:

- لم أقتنع بشيء فيه، وهذا ما جعلني أستغرب ما قُلته، هل أنت متأكد مما رأيته ألم تشك أنها مجرد حلم عادي؟

- أنا متأكد أنها لم تكن حُلمًا فلقد كنت واعيًا بكل حواسي ومتحكمًا في كل شيء.

وهنا يدير بجسده نحوها قليلًا ويعدل من جلسته ويردف قائلًا:

- المهم أننا أمسكنا بطرف الخيط الأول بعبارة المِرآة «أنتِ مِلكي»، وأنها رسالة موجه لشخص ما، فهل كان رؤوف المرسل أم المُتلقى؟ ومن الشخص الذي رأيته في المِرآة؟ أسئلة كثيرة تحتاج لتكرار التجربة مرة واثنتين وثلاثة للوصول لإجابتها.

- وهل الكتاب به شيء يخبرك باحتمالية حدوث مثل هذا أو أنك تنام ليلة كاملة في جلسة واحدة؟

ينظر لها أنس وعينيه تترصدها بهوان مستغربًا ما قالته فيردف بنبرة

يشوبها الكثير من الغضب:

- بالطبع يوجد به، ولكن ليس بمثل ما حدث معي، وهذا ما سيجعلني أعيد قراءته بتركيز، ولكن من الواضح أنك لم تقرئي الكتاب بعد، وبالتالي كنتِ تكذبين عليّ.

تذهل هِيلِين من غباء سؤالها؛ لقد أعطت لأنس اعتراف ضمني بأنها أهملت، وعدها له ولم تقرأ الكتاب، تقف بسيارتها أمام الجريدة فكانت قد وصلت مقرها بالفعل، وتحاول أن تجاوبه وهي في وضع لا تحسد عليه قائلة وبشرة وجهها ترتدي الرداء الأحمر من الخجل:

- لقد وعدتك أن أقرأ الكتاب، ولكن لا أنكر عليك لقد انشغلت عنه ولم أستطع قرأته، أعلم أني مخطئة ولم أصارحك بالحقيقة، أنا آسفة.

فتح باب السيارة بعنف وخرج منها وهَيلِين تنادي عليه وهو لا يرد، حتى التفت لها ومد يده من خلال النافذة وهو يقول غاضبًا:

- أعطيني الكتاب بعد إذنك!

تحاول أن تكرر اعتذارها ولكنه يمد يده ولا يعطي أدنى تعبير، أيقنت أن لا مفر سوى أن تعطيه الكتاب، فيحاول أن يأخذه منها تتمسك به قليلًا وتنظر له وتقول بخجل متستر:

- أتمنى أن تقبل اعتذاري.

هنا يحاول أنس أن يتماسك ويظل على موقفه حتى يتفاجأ بمن يضع يده على كتفه وهو يقول:

- آخذه أنا وأريحكما.

يلتفت أنس ليرى مَن هذا فيجده عمر يميل برأسه ويرسم ابتسامة زائفة، فينتصب أنس بظهره واقفًا وهو يمسك الكتاب بعد أن أفلتته هِيلِين من صدمة ما رأت، ينظر أنس في عين عمر الذي يبادله النظر متحديًا، ثم يمد عمر يده ليمسك الكتاب الذي تشبث به أنس حتى لا يفلت من يده، ولكن

مع شد وجذب بينهما يستسلم أنس لإصرار عمر على أخذه، ثم يلتفت عمر لهَيلَين قائلًا لها:

- لم تخبريني أن الكتاب بحوذتك، وأنك جندتِ هذا اللص لتلك المهمة.

لم تستطع هِيلين أن تجاوبه وتجمدت في مقعدها، وظلت تنقل نظرها بين أنس وعمر دون أن تتحرك، وكانت تلك النظرة كطلب استغاثة من أنس، فبدأ بقوله بشيء من الاستغراب:

- كتاب؟ ولص؟ هذا كتابي وكان في رحلة استعارة معها وهي الآن تعيده لي.

يبتسم عمر، فيبدأ باستغلال تلك الإجابة بسأله:

- هل يمكنك أن تخبرني من أين اشتريته؟

- من مكتبة بالأزبكية.

فيضحك عمر ساخرًا ويرتفع حاجبه وهو يقول له:

- اشتريته بالتأكيد من مكتبة عم رؤوف.

ينظر أنس لهَيلَين الجالسة بالسيارة وهي خائفة، فهي لم تنجح في إخفاء توترها وأنفاسها المتسارعة، وعمر يستمتع بنظراتهما وتوترهما فيصمت لحظات وهو يشاهد هذا حتى نظر لهما وهو يقول بثقة:

- يا أيها اللص الفاشل ويا رئيسة العصابة الفاشلة، لقد اكتشف أن هناك مصورًا مزيفًا دخل وصوَّر مسرح الجريمة والداخلية تبحث عنه في سرية شديدة، ولكن تم اكتشاف سرقة شيء من غرفة النوم وهذا باعتراف فرد الشرطة الحارس على الغرفة بعد انصراف لصك بدقائق وملاحظته اختفاء هذا الكتاب المشقوق الذي لفت انتباهه منذ استلامه حراسة الغرفة، ورغم جهلنا ماهية الكتاب إلا أنها صفعة للداخلية لن ترحم مرتكبيها، والآن معي الكتاب واللص ورئيسة العصابة في ضربة واحدة.

وهنا نظر لهَيلَين التي لا تعرف ماذا تفعل وما هو مصيرها بعدما سقطت

كل أوراق التوت، فيكمل وهو ناظر لها بنفور:

- من يومها وأنا غير مصدق بأنك تفعلين ذلك، حتى عندما طلبت أن أتحدث معك وأضفت كذبًا في حديثي أمر الكتاب في مكالمة شروق، فلقد كنت أنتظر منك أن تعترفي لي قبل أن أواجهك، كانت فرصة غالية وللأسف أهدرتها.

يصمت برهة ثم يردف في حسرة قائلًا:

- لماذا؟!

يلتفت لأنس ويصيح فيه أن يركب السيارة، ويفتح له الباب الخلفي ويشير له أن يدخل، وبالفعل يستجيب أنس وهو لا يدري ما يريده عمر أو ماذا سيفعل بهما؟ وهو معه كل الأدلة على إدانتهما بسرقة أدلة من مسرح الجريمة وتضليل العدالة، فينظر لهيلين في مرآة السيارة وهي ترتجف من الخوف والتوتر وعيناها تقولان له ماذا نفعل؟ يفتح عمر الباب بجانبها، ويجلس وهو ممسك بالكتاب، فينظر له ويتأمل غلافه الذي تم صيانته وعلاجه من تهتكه، ثم يلتفت لها وينظر لها بغضب ويصيح فيها:

- هيا تحركي.

ينظر أنس لهيلين مشيرًا لها أن تطمئن ثم وجّه حديثه لعمر وهو يدنو منه قائلًا في تحدٍ واضح:

- لحظة! الرسالة وصلت يا باشا، وأنا وهيلين تحت أمرك فيما تريد، سواء معلومات أو مساعدة.

تنظر له هيلين باستغراب؛ ثم تنظر لعمر الذي يرفع حاجبه وينظر هو الآخر بتعجب ثم يبدأ حديثه:ح

- واضح أنك أفضل قليلًا من التحريات التي جاءتني عنك، ولكني لم أسمع بعد رأي الأستاذة.

تنظر له هيلين وهي غير مقتنعة بما يحدث، ثم تقول بنبرة يكسوها

التردد:

- موافقة على قرار أنس.

وجّه عمر هِيلِين للطريق حتى وصلت بهم لمنطقة خالية من الازدحام، أرض فضاء بالمقطم فأشار لها عمر أن تتوقف بالسيارة وتطفئ المحرك، ثم التفت وهو ينظر لهما ويقول:

- ها هاتا ما لديكما؟

سرعان ما يجاوب عليه أنس في ثقة:

- ألن نتفق أولًا، ونفهم ما المطلوب منا؟

هنا تخرج هِيلِين من صمتها أخيرًا:

- نعم ما المطلوب منا بشكلًا واضح؟

ينظر لها عمر ثم يردف والضحكات الساخرة تتخلل حديثه:

- أخيرًا الأستاذة نطقت، جيد سوف أخبركما بطلبي، وبالتأكيد ستخضعان له دون نقاش.

يمرر عينيه الصارمة لتحدق في عينيهما ثم يردف:

- أريد منكما أن تخبراني بكل ما توصلتما له، وبالمقابل لن أبلغ عنكما باقتحام مسرح الجريمة وسرقة أحد الأدلة منه.

يبتسم أنس وهو يومئ برأسه رافضًا ما قيل؛ فيجيبه قائلًا بثقة:

- لا أنت تحتاجنا أكثر، وما يثبت ذلك أننا نجلس معك الآن، فكان يمكنك بكل سهولة الإبلاغ عنا، ولكنك انتظرت وراقبت وتحريت والآن جئت لنا كاشفًا أوراقك لإكمال ما ينقصك، أليس هذا صحيحًا يا باشا؟

يلتفت عمر إلى هِيلِين ثم ينظر للأمام للصحراء الفارغة ثم يخرج من صمته بابتسامة مزيفة مجيبًا:

- معك حق أنا بالفعل أحتاج مساعدتكما، لأن رؤوف كان صديق عمري، وأريد أن أعرف لماذا فعل ذلك؟ ولذلك أريد أن أعرف ما توصلتما له، من الممكن أن تكون رؤيتكما للأمر مختلفة عني، ساعداني وأنا على وعدي معكما، موافقان؟

تنظر هيلين لأنس الذي يومئ برأسه موافقًا، تزفر في هدوء بعض الشيء، وتقول رافعة سبابتها:

- موافقان، ولكن بشرط.

- ما هو؟

- تجري معنا لقاء حصريًا بعد أن تغلق القضية، حتى لا نهدر مجهودنا في شيء لا يعود بالمنفعة علينا، موافق؟

- موافق.

وتبدأ هيلين في رواية ما حدث معهما من يوم الحادث حتى الآن، وبالطبع ساعدها أنس بتجربته الغريبة والألغاز الجديدة التي ظهرت بها، حاول الثلاثة ربط الأحداث والخيوط مع بعض، حتى وجَّه عمر سؤاله لأنس ساخرًا:

- ما يجبرنا أن نلهث وراء هذا الكتاب على أنه دليل، ونغرق في أحلام وخرافات لا يقتنع عاقل بها، هل أنت تصدق هذا؟

فجاوبه أنس بثقة:

- لن تخسر شيئًا، ألم تبحث في الأدلة المادية الملموسة العاقلة ولم نصل لشيء، وبرغم أنك تراه خرافة وغيبيات فلا تنكر أنه وضعنا على أول الطريق، وسوف نعرف أكثر بإعادة التجربة مرة واثنتين، أما عن اقتناعك فهناك مقولة أحب أخبرك بها «اقتناعك بشيء أو عدمه لا يثبت عدم وجوده» ولذلك سوف أقوم ببعض البحث في الكتاب فمن الممكن أن أصل لشيء جديد.

هنا يمد أنس يده نحو عمر ويقول بنِدّية واضحة:

- صحيح، ممكن الكتاب بعد إذنك.

ينظر عمر ليد أنس الممتدة له وبعد بُرهات قليلة من التفكير يعطيه الكتاب وهو ينظر له نظرة يملؤها الحقد، فهو مجبر على ما يفعله، يتفقون على موعد آخر بعد عدة أيام ليناقشوا ما استجد من نتائج وأحداث في تلك القضية، وقرروا الرجوع مرة أخرى لمقر الجريدة، فهناك قد ترك عمر سيارته. وبالفعل يصلون لهناك وينزل عمر ويركب سيارته مرة أخرى، وهنا تتنفس هِيلِين بصوت عالٍ وتزفر قائلة:

- يااااااه ما هذا اليوم؟ ولكن الحمدلله أنه مر بسلام.

تنظر لأنس الناظر إلى سيارة عمر التي تختفي في زحمة الطريق وهو مبتسم، فتسأله في فضول:

- هل تثق به؟

يضحك أنس وهو يقول بثقة:

- لا، لا تقلقي منه، افتحي هاتفك واستقبلي ما أرسلته لكِ.

- ما هذا؟

- إنه تسجيل صوتي لعمر باشا وهو يتفق معنا، احفظيه عندك كي تطمئني.

***

ينتهي عمل اليوم فيغادران هما الاثنان الجريدة حتى يصلا إلى سيارة هَيلَين، ويقول لها أنس بحماس محذرًا:

- لا تنسي موعدنا مع عم أمين ليلَا، لا تتأخري حتى لا يغضب منك.

- بالطبع قادمة.

بعد أن تبادلا السلام استدارت هيلين لتركب سيارتها وتدير محركها، ثم نظرت لأنس الذي يقف على بُعد خطوات منها ينتظر مغادرتها حتى يتحرك هو، تُنزل زجاج سيارتها من جهة أنس وتنادي عليه، فيدنو متسائلًا، فتتردد في الإجابة ثم تقول في هدوء:

- لا... نعم نسيت أن أقول لك لا تغضب مني.

- ثقي تمامًا أنه من الصعب أن يحدث ذلك.

ينير احمرار خديها فتحرك تلقائيًا خصلات شعرها خلف أذنها، يسلم عليها وينصرف وتتحرك هي في اتجاهها إلى منزلها، ومن على مسافة ليست ببعيدة كان عمر يراقبهما من بعيد وهو يستنشق كرهًا ويزفر غضبًا، حتى إنه فكر في أن ينطلق بالسيارة ويصدم أنس الذي كان يعبر الطريق أمامه دون أن يلاحظ وجوده. وبالفعل أقدم على ذلك وأراد تحريك السيارة ولكن لم تسعفه سيارته فعاندته وكأنها تريد أن تعصمه من أن يرتكب خطأ يندم عليه طيلة حياته، فلقد تعطل محركها فجأة، حاول عمر مرارًا مع هذا المحرك العنيد لكنه لم يستجب، ظل يضرب عجلة القيادة بيده ويلكمها بحنق، وهو يرى أنس قد عبر بسلام الطريق وأوقف سيارة أجرة وذهب واندثر بين زحام الطريق، وهو ظل حبيس تلك السيارة التي لعنها بأقذر الألفاظ.

***

يراقب عم أمين بنظرات باسمة لهفة أنس أمامه واستعداده للضيف القادم كعروس تنتظر عريسها، فيقترب منه ويقول ناظر في عينيه:

- أول مرة أرى تلك اللمعة في هاتين العينين، أعلم سببها وسعيد من داخلي ويمكن أكثر منك، ولكن الأهم هو اختيارك لمن يستحق تلك اللمعة، حتى لا تتبدل من عينك وتسقط على خدك وحينها تندم على إهدار لمعة صادقة.

- لا أعرف بدونك كيف تكون الحياة.

- بدوني ستبقى الحياة حياة، ولكن الأهم أن تُحيي الذكريات فالذكرى تبقى والموت يزول.

يقطعهما جرس الباب فيقف أنس مرة أخرى منتصبًا سريعًا، وهو يقول لعم أمين مازحًا:

- العريس وصل.

يضحكان هما الاثنان ويذهب ليفتح الباب للضيف المنتظر هَيلَين، ولكنه يتفاجأ بأن الزائر هو عمر الذي ينظر له باستحقار وغضب، ظل الاثنان ينظران لبعضهما في صمت ثم بادر أنس بقوله:

- اتفضل يا عمر باشا.

- ما تفعله من أفعال تودد تافهة ومزيفة لن تفيد مع هَيلَين، احفظ ما سأقوله لك ورددده دائمًا حتى وأنت في غفلة المجانين التي تعلمتها من الكتاب وتريد أن أصدقها، ابتعد عن هَيلَين، أظن أن حديثي واضحٌ لا يحتاج لأن أكرره.

يردُ أنس في ثقة ساخرًا:

- إذا كنت واثقًا لهذا الحد، فلمَ أرهقت نفسك بمجيئك لي؟

يزداد غضب عمر ويحمر وجهه فيسمعا قول عم أمين من الداخل مناديًا أن يدخلان ظنًا منه أنه هَيلَين، فيضحك أنس ساخرًا وهو يشير بسبابته للداخل ويقول هامسًا:

- سمعت؟ أستأذنك أن أغلق فنحن ننتظر ضيوفًا الآن، وأتمنى عندما تكرر زيارتك أن تبلغني قبلها حتى أعد استقبالًا يليق بك.

ينظر له عمر وكأنه يريد أن يمسكه ويهشم رأسه، ولكنه يتمالك أعصابه بأعجوبة ويدور وينزل على الدرج ويترك أنس الذي يسمعه وهو يقول قبل أن يغلق الباب خلفه بعنف مخاطبًا عم أمين:

- لا، لم تكن هيلين، إنه مجرد شخص محتاج وأخذ مني ما استطعت.

يضرب عمر بعدها الحائط الذي بجانبه لكمة قوية تنزف على أثرها يده من شدتها ثم يكمل نزوله حتى يخرج من الباب، وأثناء عبور للشارع ليصل لسيارته التي أنهى صيانتها منذ وقت ليس ببعيد، ليكون حظه أسوأ ما يكون، فلقد كان عبوره أمام سيارة هيلين التي تبحث عن مكان تركن فيه سيارتها، فيعبر أمامها وهو يحدق في عينيها بغضب وهي تنظر له مصدومة.

يفتح أنس الباب لهَيلَين التي تفحصه من خصلة شعره حتى أصابع قدميه، لتجده بصحة جيدة، ولا توجد آثار ضرب أو عراك، فتتنهد بزفرة قوية وهي واضعة يديها على صدرها وتقول:

- الحمد لله.

يستغرب أنس من قولها ويحاول أن يمازحها:

- هل كنتِ تائهًا لهذا الحد؟

- لا، ولكني رأيت عمر خارج من باب العقار ويده تنزف، ونظر لي بحنقٍ وهو يعبر الطريق أمامي ثم أخذ سيارته وأنصرف، دون أن يتفوه بحرف، فظنيت أن يكون قد تشاجر معك، ولكن الحمدلله أراك سليمًا.

- نزيف بيده؟ غريبٌ هذا، ولكن الأغرب أنك تتوقعي أن يتشاجر معي، ما الذي سيدفعه لذلك؟

- لا أعرف شيئًا محددًا، لكن خروجه من باب مسكنك ويده تنزف، جعلني أشك في ذلك.

يجيبها بعدم اللامبالاة:

- يمكن أن يكون قادمًا لأحد الجيران.

- هذا ما تأكدت منه عند سماعي لضحكتك بالداخل، ورأيتك الآن

واطمأننت عليك.

- برغم أني لا أطيق عمر هذا وأراه غير مريح بالمرة، إلا أني سوف أغير فكرتي عنه، لأنه جعلك تقلقين عليّ بهذا الشكل.

تخجل هِيلِين وتحاول أن تهرب بعينيها في الأرض، إلا أن ظهور عم أمين خلف أنس كان هو المنقذ لها وهو يقول مازحًا ووجهه ينير بشاشة:

- هل سنكمل جلستنا على عتبة الباب؟ أين الذوق يا أنس بك، هيًا ادخلي يا ابنتي أم أدركتِ أن أنس بخيل لهذا الحد؟

تزور السعادة شفاة الجميع، ويدخلون المنزل ويجلسون في الصالون، وكان أنس خلال تحضيره للمشروبات ينصت لحوار هِيلِين مع عم أمين الذي كان يدور عن عمله وحياته ولماذا لم يتزوج حتى الآن؟ وحديثه عن فقدانه حبيبته وإخلاصه لها، وهنا يدخل أنس وهو يحمل ما صنعه من مشروبات ساخنة مقاطعًا الحوار:

- لا أخفي عليكِ حاولت إقناعه كثيرًا أن يتزوج لكنه يرفض بشدة، فلقد ضحى بعمره من أجل فتاة أحبها في شبابه، أي شخص آخر خلال تلك الفترة سوف تتغير اهتماماته وفكره وأولوياته، لكنه مصمم على رأيه بشكل يزعجني أحيانًا، فأنا لست مقتنعًا أن أضحي بشيءٍ من أجل شخص لن تُدر منه منفعة، التضحية بدون مقابل ملموس هو إهدار حق بين.

ترد عليه هِيلِين مستغربة ما قاله:

- أحيانًا لا تنتظر مقابل التضحية التي تقوم بها، التضحية شيء جميل، ولكني أتفق معك في نقطة هل مَن أضحي من أجله يستحق تلك التضحية أم لا؟

ينظر لهما عم أمين وهو يبتسم ثم يغمض عينيه بضعة ثوانٍ، ويفتحها وهو يتنهد مبتسمًا ويقول لهما:

- ردي على حديثكما سوف يكون في نهاية قصتي وحينها أنتظر رأيكما

النهائي في تلك النقطة.

يستغربان أنس وهَيلَين هذا الرد وهما يتبادلان النظر لبعضهما ثم يقول أنس بغيظٍ مزيفٍ:

- هذا أسلوب تشويقًا أدبي، وأشهد قد أنتج ثماره معنا، هيًا ننهي كتابك الآن.

يذهب أنس على المكتب الذي بجواره وهو يشير بيديه لعم أمين وهو يقول راسمًا لملامح الجدية:

- سيدي فلتبدأ حكايتك.

يضحك عم أمين ثم يردف:

- أين توقفنا؟

تسبق هِيلين أنس في الرد وتقول بحماس الأطفال:

- عندما ألقيت قذيفة بجوار زميلك.

تزداد سعادة عم أمين فيشير لأنس ليستعد للكتابة، وهَيلَين تجلس في صمت وانتباه لعم أمين الذي بدأ حكايته قائلًا:

«استيقظت من غفلتي المؤلمة وأمسكت سلاحي، وحاولت أن أستجمع قواي أو ما تبقى منها، وأنا أتحرك بين جثث زملائي وأشلائهم، حاولت أن أنظر حولي فلم أجد أحدًا حيًا، لا أعرف كم من الوقت قد فقدت وعيي، المعسكر أصبح قطعة من الصحراء تغرق في أطلال من الحطام المتناثرة، استمررت في السير كطفل يتعلم أن يخطو لا يعرف أين يذهب ولكنه يتحرك، وظلت أصوات الطائرات فوقي مصدر فزع لي، حينما كنت أسمع باقترابها كنت أرتمي على الأرض أو أختبئ خلف أى شيء يسترني عن نيرانهم؛ فكانوا لا يرحمون أي شيء حيًا كان أو ميتًا، فعندما حاولت أن أختفي بين جثث الجنود المنثورة في كل مكان لم يشفع موتهم عند هؤلاء الطيارين الذين كانوا يمطروننا بنيرانهم، وكان الله حافظي في ذلك،

قادتني قدمي في محاولة للهروب من طائرتين قادمة نحوي ودخلت كهفًا صغيرًا لأجد مَن يجذبني بقوة إلى الداخل، فالتفت مفزوعًا لأجده النقيب محمد قائد وحدتي يختبئ فيه هو وثلاثة من زملائي، وبرغم الغبار والعتمة ولكن شمس الظهيرة أنعمت علينا بقليل من ضيها داخل الكهف، وقد لاحظت إصابة النقيب محمد في قدمه حاولت أن أساعده، ولكنه رفض متعففًا بيأس، فسألته في حسرة:

- ماذا حدث يا افندم؟

حاول أن يمنع دموعه وهو يقول:

- هُزمنا، هُزمنا قبل أن نحارب، وعندما سألت القادة ما العمل؟ أمروني أن أنسحب، كيف؟ ثم انقطع الاتصال.

سمع أصوات حركة كثيرة بالخارج وإذ هي صوت لخطوات جنود إسرائيليين يمشطون ويتفحصون المكان، ولكنهم لم يعثروا علينا بعد فتوجهت للنقيب محمد لأسأله في جدية:

- يوجد ما يقرب من اثني عشر جنديًا إسرائيليًا يحومون بالخارج، بما تأمرني يا افندم؟

أجاب ونبرة صوته يملؤها الخزي:

- ليس لدينا أسلحة، فماذا نفعل؟

- لا ما زال سلاحي معي، سوف أقوم بما يلح عليا ضميري، والأعمار بيد الله.

- عندك حق.

أمسكت سلاحي وزحفت أرضًا بشكل بطيء في اتجاه فتحة الكهف وأخذت وضع الاستعداد لضرب أي جندي يحاول أن يدخل الكهف علينا حتى أموت، وبالفعل اقترب أحدهم وكان في مرمى بصري؛ فلقد اتضح أمامي شيئًا فشيئًا وساعدتني الشمس في ذلك، كانت عيناي ترصدان

تحرك هذا الجندي عن كثب، وأثناء تصويبي نحوه قلت بسم الله وأقفلت فمي وضغطت على الزناد، إذ أجد أن سلاحي فارغ بلا ذخيرة، نظرت للنقيب محمد بحسرة وحزن شديد لأننا يجب نرضى بالأمر الواقع ونستسلم فلم تكن بيدينا حيلة حينها، وتقدمت للنقيب محمد وضعت يده على كتفي وساعدته أن يقف حتى نسير سويًا لخارج الكهف، وبالفعل خرجنا وكانت من أصعب لحظات حياتي، فلقد شعرت أني قد تركت كرامتي وما يسترني بهذا الكهف، وخرجت وكأني جسدٌ تم سلخه حي وسوف يعيش الباقي من حياته هكذا، خرجت لأجد الجنود الإسرائيلية تقترب منا بحذرٍ ونحن رافعون أيدينا، نعلن استسلامنا للذل والهوان؛ فلقد وقّعت بيدي التي تستحق الحرق ألف مرة على صك عبوديتي على باب هذا الكهف لهولاء النخاسين، وهم لم يفوّتوا هذه الفرصة فلقد تم ركلنا على الأرض، وتفتيشنا بكل وقاحة ثم تم ربطنا بحبل خلف بعض وسيرنا هكذا كأغنام عشية عيد الأضحى، فلم نستطع أن نرفع رأسنا لسببين؛ أولهما من حرارة شمس هذه الأرض، وثانيهما نار شمس الذل التي نراها في أعين بعضنا البعض.

حتى وصلنا لسيارة نقل عسكرية كبيرة تابعة لجيش العدو وكانت مُحمَّلة بمذلولين أسرى مثلنا، ركبنا معهم وبعد مُضي أكثر من ساعتين ونحن نسير بهذه السيارة، وعظامنا تستغيث من تلاحمنا وتزاحمنا فكنا أجسام يفصل بينها أجسام، توقفت السيارة لنسمع الجنود الإسرائيلين يضربون نارًا فوقنا ويصيحون بأن ننزل منها، وبالفعل نزلنا لنجد أنفسنا في معسكر جديد لهم تحت الإنشاء لم يكن قد انتهوا من بنائه بعد، وكنا سيارتين تحملان أسرى، أمرونا أن نصطف بجانب بعضنا، ونفذنا هذا الأمر ثم طلبوا أن نجلس جميعًا في وضع القُرفصاء ويدينا فوق رأسنا.

وعندما نفذنا هذا الأمر، وجدنا سيارة دفع رباعي صغيرة تمر أمامنا يقودها جنديٌ إسرائيليٌ وبجواره قائد برتبة عقيد في الأربعين من عمره تنير بشرته الميتة بلونها الأبيض كبياض الجثث، وينظر لنا مبتسمًا سعيدًا بصيده الثمين، ثم توقفت سيارته ونزل منها ومر أمامنا ببطء وتفحصنا

جميعًا، حتى صاح فينا بلغة عربية مهلهلة ليست جيدة، وهو يأمر بأن يتقدم كل الضباط الموجودين بيننا، كلّ من يحمل رتبة يتحرك خطوة للأمام، ورأيت الضابط محمد من بين من تقدَّم بكل شجاعة وهو يكاد يستطيع أن يقف، ولكنه يحاول ألا يُظهِر عجزه عن الوقوف أمامهم؛ فكان يتصبب عرقًا ويشتد وجهه احمرارًا، وفجأة صاح هذا القائد الإسرائيلي في جنوده وهو يأمرهم بقتل كل الضباط أمامنا لحظة أصابتني بالتصلب، فانطلقت صرخات بنادقهم برصاصاتها القذرة سريعًا نحوهم لتلوث جسدهم الطاهر؛ فتلك اللحظة كانت صدمة لي لن أنساها طيلة حياتي، وشعرت بأن كل تلك الرصاصات تعبر جسدي أنا الآخر، ثم جعلنا ننتظر حتى ينهي تدخين سيجارته وهو يتأمل جثثهم، ثم التفت نحونا وهو يراقب ويتفقد كسرة أعيننا وحسرتنا واحدًا تلو الآخر.

وعندما أنهاها قذفها في وجهنا وأمر جنوده أن يعودوا بنا إلى السيارة مرة أخرى وعندما صعدنا في أول سيارة، قال لجنوده بالعبرية ما معناه «تكفي سيارة واحدة اقتلوا الباقي» لأننا فوجئنا بصراخ بنادقهم مرة أخرى تمطر رصاصها علينا، وتقتل كل من يقف على الأرض ولم تسعفه قدمه وصعد معنا على هذه السيارة، ودامت رحلتنا ليلة كاملة في هذه السيارة التي فاحت منها رائحة القهر والذل؛ حتى شعرت بتوقفها وكنا بعد الفجر بقليل، فرفعت رأسي لأرى أين نحن؛ لأجد لوحة مكتوب عليها باللغة العبرية والإنجليزي التي استطعت ترجمتها وهي «معسكر عتليت.»

هنا توقف عم أمين وتنهد ثم أردف قائلًا:

- نكتفي بهذا اليوم، لا أنكر عليكما أنا مرهق بعض الشيء.

لم يكتفِ أنس وهَيلَين مما قاله عم أمين من روايته فزاد تشويقهما وإثارتهما لمعرفة المزيد، ولكن حجة عم أمين وكبر سنه وحالته الصحية كانت أسبابًا مقنعة لهما بأن يقبلا إنهاء جلسة اليوم، ولقد طلبت هِيلين بأن تحضر مع أنس كل يوم لتسمع تدوينه لكتابه؛ فهي لا تستطيع أن تنتظر حتى ينتهي منه ويطبعه لتقرأه، ولقد وافق على طلبها ورحب بها في أي

وقت، فأغلق أنس حاسبه المحمول وأدخل عم أمين لفراشه واطمئن عليه، ثم خرج هو وهَيلَين من المنزل، وذهب ليوصلها إلى سيارتها وأخبرها حينها كم كان هذا اليوم غريبًا ومليئًا بالأحداث إلا أنه أحبه، فأكدت قوله بشيء من الخجل، ثم أخبرها أنه سيقوم بتجربة ثانية اليوم في محاولة للوصول لمعلومات أكثر حتى تعلم وتعتني بعم أمين إذا حدث مكروه له فتجيبه بابتسامة تزيدها إشراقًا:

- بعد الشر عليك، عم أمين في عيني، لا تقلق.

- لن أقلق وأنتِ بجانبي.

الفصل الخامس

لم ينتظر أنس كثيرًا بعد أن غادرت هَيلَين. صعدَ مسرعًا إلى منزله، تصفح سريعًا الكتاب مرة أخرى لعله يجد ما يثبت وجود إمكانية أن تطول تجربته ليوم كامل، ولكنه لم يجد شيئًا يتعلق بزمن التجربة، بدأ في التحضير للتجربة مثل المرة السابقة ونظر للساعة ليجدها 9:15 مساءً، أخفق في البداية عدة مرات، ولكنه ظل يجمع الطاقة وتكرر معه نفس الشعور ومراحل الإحساس السابقة حتى ظهر له نفس الضوء الذي سحبه بداخله ليجد نفسه قد سقط على نفس الغرفة السوداء، تحرك وفتح الباب ليجد غرفته البيضاء تنتظره لم يتغير فيها شيء، ظل الكتاب مكانه فتحرك نحوه فسمع صوته وهو ينادي عليه ويقول:

- سبع معالق سكر سقطوا في الوعاء، الثانية ذابت وباقي خمس، كيف حالك يا أنس؟ وما الذي جاء بك إلى هنا؟

يترك أنس الكتاب مكانه ثم يقف ويتوجه إلى المِرآة محاولًا رؤية هذا الشخص الذي كان يقف المرة السابقة في المِرآة ويتحدث بصوته، نظر فيها ليجدها ما زالت تعكس غرفته ولكن باللون الأسود، وهذا الشخص يقف أمام البوابة التي أغلقت هذه المرة، وما زال أمامه كما هو أسود مُعتم لا تظهر أي ملامح له، بدأ أنس بالحديث معه:

- إذا كنت تريد أجابتي فيجب أولًا أن أعرف مع مَن أتحدث؟

يسمع أنس ضحكات قادمة من خلفه يلتفت فلا يجد أحدًا كالعادة، ولكنه عندما يعود فيجد هذا الكائن قد ظهرت عيناه وكأن أنارت هالتين صوب عينيه، كائن أسود لا يظهر منه سوى عينين تضيئان من صفاء لونهما، ثم فجأة ردَّ عليه هذا الكائن بقوله:

- لم يحن الوقت لتعرف مَن أنا، المهم الغرض من الزيارة؟

- لقد قرأت في هذا الكتاب أن يمكنني أن أكون بصحبة روحٍ أعرف منها عدة معلومات، وعلى ذلك فأنا أريد أن تكون روح رؤوف أحمد منتصر في

صحبتي، أيمكنك فعل ذلك؟

- لم تصل بعد للمستوى الذي يؤهلك لصحبة روح، ولكن من الممكن أن أجعلك ترى مشاهد من ذاكرتها.

هنا يظهر ضوء قوي في عين أنس وكأنه مصباح سيارة كبيرة يضيء في طريق مُعتم، بالفعل أرهقت عينه من شدة هذا الضوء حاول أن يضع يده أمامه حتى يقلل من حدته، ولكن فضوله لم يمنعه ليسرق نظرات له حتى أنار هذا الضوء وملأ المِرآة وبعد ثوانٍ اختفى الضوء ليرى بداخل المِرآة شروق زوجة رؤوف تقف أمامه وتضع أحمر الشفاه وتتجمل وهي لا تراه، تقف أمام مِرآتها وخلفها فراشها ورؤوف نائم عليه، وضعت العطر على رقبتها ثم تحركت ونامت بجوار رؤوف، ثم اقتربت منه محاولة أن تؤقظه بدلال ولكنه لا يستجيب، حاولت مرارًا وهو لا يشعر بها أو بإلحاحها في أن ينهض وحينما شعرت بالفشل والحسرة سحبت الغطاء عليها بعنف وتقلبت على جانبها الآخر ونامت.

ظلّ أنس يشاهد هذا المشهد وهو لا يصدق أنه يشاهد ذكريات روح رؤوف، ثم وجد عقارب الساعة المعلقة على الحائط المقابل له فوق الفراش تتحرك بشكل أسرع من الطبيعي وشروق تتقلب سريعًا ورؤوف ظلّ ثابتًا وكأن الزمن يُحرك كل شيء في الغرفة عدا هو حتى توقفت عقارب الساعة بعد أن مرت أكثر من ساعتين، ينهض رؤوف من سباته فجأة جالسًا علي السرير ثم يرفع من عليه الغطاء ويتوجه نحو المِرآة وعندما يصل لها يبقى صامتًا دون أن يبدي أي تعبير، حاول أنس أن يقترب من المِرآة لعلّه يستطيع أن يرى أي تفصيلة تفيده وكانت المفاجأة؛ تحرك رؤوف معه وهذا جعله ينتفض للخلف ليجده يُقلده، أصبح كل ما يفعله أنس ينعكس على رؤوف وكأنه يتحكم فيه يفعل مثلما يفعل هو، حتى توقف رؤوف فجأة عن أن يكون انعكاسًا لحركة أنس ونظر له وهو مبتسم وازدادت لمعة عينه كثيرًا وكأنه يراه بالفعل، ثم استدار وعاد لفِراشه مرة أخرى ورجع لوضعه السابق في النوم لا يتحرك يكاد يكون

محنطًا، ولكن لحظات ولاحظ أنس تحرك يد رؤوف اليسرى نحو زوجته.

جسمه ثابت ويديه فقط هي ما يتحرك حتى وصلت لرأس زوجته شروق نزل بيديه من على شعرها وجبينها وباقي وجهها وهي يبدو عليها أنها مستمتعة بتلك اللمسات حتى وصلت يده لرقبتها وفجأة بدأ يعتصرها بقبضة يده، تستيقظ شروق مفزوعة تحاول أن تفلت من قبضته القوية لكنها تفشل، أصبح وجهها شديد الاحمرار بجحوظ عينيها المرعب، تحاول أن تبعد يديه عنها تضربه بكلتا يديها ورجليها وهو لا يشعر بشيء، جسمه مفصول جزئين، يده تقبض على رقبة شروق، وباقي جسمه في ثبات لا حركة ولا انفعال ولا ردة فعل.

لم يتحمل أنس أن يشاهد هذه الجريمة، يرى شروق تستغيث بزوجها النائم من يده القاتلة، لم يشعر أنس بنفسه إلا وهو يضرب بيده الحائط بجوار المِرآة وكان لتلك الضربة تأثير كبير ليس فقط على يد أنس، ولكن على رؤوف الذي كانت ردة فعله وكأنه سمع تلك الضربة، نهض من مكانه جالسًا ويده ما زالت تقبض على رقبة شروق وهو نظر بغضب نحو المِرآة التي يشاهدهما منها أنس، ثم سقط مرة أخرى مكانه وكأنه غاب عن الوعي أو أصيب برصاصة ما أفقدته الوعي، ارتخت يده من على عنق شروق التي سقطت من على الفراش زحفًا بعد أن فلتت من قبضته وظلت تسعل وتتنفس بأعجوبة، يستقيظ أخيرًا رؤوف من سباته غير المفهوم وكان هذه المرة طبيعيًا جدًا، يبحث عن زوجته التي تسعل بشدة ليجدها واقعة بجوار الفِراش، يحاول أن يطمئن عليها لكنها للأسف تخاف منه ومن يديه وتبتعد عنه وهي تزحف في اتجاه الحائط الذي خلفها وهو يحاول أن يطمئن عليها فتنهره أن يقترب منها أو يلمسها حتى.

تدلك شروق بيديها رقبتها المصابة بلطف وتجيبه وعيناها يملأها الهلع، تصرخ فيه ثم تشير بيديها نحو شيء في الجهة المقابلة فيتبعها أنس ليجدها تشير لكتاب الإسقاط النجمي المتروك على المنضدة بجوار الفراش، يندهش رؤوف مما يسمعه وينظر ليديه التي بالفعل يشعر بألم طفيف فيها ولكنه لا يعرف السبب، ظلّ ينظر ليديه وهو يبتعد عن شروق

وفي عينيه نظرة رعب مما فعل بزوجته وكأنه أدرك السبب، خرج من الغرفة وترك شروق تبكي وهي جالسة على الأرض تحتضن قدميها لا تصدق ماذا فعل بها رؤوف.

ظلّ أنس يتأمل هذا المشهد وأنفاسه تتسارع، لقد شعر بسخونة هذا المشهد وإثارته وكأنه كان بالغرفة معهم بالفعل وفي تلك اللحظة ظهر في الحائط خلف شروق نقطتين يتسعان يحاول أنس أن يقترب أكثر ليرى تفاصيل أكثر، ولكن سرعان ما اتسعت تلك النقطتان لتكون مصدر الضوء الأبيض الساطع الذي يتسع حتى يملأ المِرآة مرة أخرى ولا تتحمله عين أنس من قوتها، ثم تعود مرة أخرى بحجم عين الشخص المُعتم المنتظر في نفس مكانه كما تركه، وبعد أن تأكد أنس من زوال حدة الضوء الساطع، ينظر له وهو يقول:

- أريد أن أرى روح رؤوف أين ذهب؟ هيّا أنا مستعد.

يسمع ضحكة الكائن الذي يجيبه بحدة:

- ليس لديك سوى طلب واحد فقط في كل زيارة لك هنا، حتى أخبرك بأن زيارتك انتهت مثل الآن، كل هذا مدوَّن بالكتاب خذه أكمله ولا تنس صفحة 914 سوف تخبرك بالكثير.

يذهب أنس بالفعل ليمسك الكتاب وينفذ طلب هذا الشخص أن يفتح صفحة 914، وبالفعل يحاول أن يفتح هذه الصفحة، وعندما يصل لها يختفي الكتاب من يديه ويجد نفسه نائمًا في غرفته يذهب ليمسك هاتفه ليعرف كم غاب في تلك التجربة ليجد الساعة 9:14 دقيقة، لقد نام يومًا كاملًا مرة أخرى مثل التجربة السابقة، ولكنه عندما ينظر للتاريخ على هاتفه يجد أنه نفس تاريخ اليوم وليس تاريخ الغد، معنى ذلك أن تلك التجربة بكل ما فيها من زمن وأحداث أرجعته بالزمن دقيقة واحدة! كيف هذا؟

يقف أنس في منتصف غرفته ممسكًا هاتفه وينظر له محاولًا أن يستوعب ما حدث، كيف يقوم بجلسة إسقاط نجمي تجعله يعود بزمن

دقيقة واحدة، ذهب إلى الحمّام ووضع رأسه تحت الماء حتى يُنشط عقله ليستوعب ما حدثَ، يمد يده وهو تحت الماء ليمسك بالمنشفة ويضعها على وجهه ويقف وهو يمسحه وعندما يزيح المنشفة من على وجهه ينظر في المِرآة ليجد نفسه غير متواجد بها وكأنه فراغ بالحمّام، يحاول أن يحرك يده أمامها لا شيء يظهر، بدأ في ضرب وجهه بيده ليتأكد من وجوده، حالة من الجنون تجتاح أنس.

وصل لغرفته وظلّ يدور حول نفسه حتى قرر أن يتصل بهَيلَين ليخبرها بما حدث معه لتأتي وتنقذه، يمسك الهاتف ليتفاجأ بأن الوقت فيه توقف عند الساعة 9:14 منذ أن استيقظ لم يتحرك ثانية واحدة، زادت ضربات قلبه فعقله ما زال لم يستوعب ماذا حدث وماذا فعل في نفسه، حتى رن هاتفه في يده فسقط منه لشدة فزعه، نزل ليلتقطه ويعرف من المُتصل ليجده غير معلوم؛ يفتح المكالمة ويده مرتعشة ليتفاجأ بصوت الرجل الثائر الذي كان هرب منه التجربة السابقة يصرخ فيه فينتفض أنس ليجد نفسه يستيقظ مرة أخرى من مكانه يجري ليمسك الهاتف ليجد الساعة فيه 11:15 بنفس تاريخ اليوم، أي أن مدة جلسة الإسقاط النجمي هذه المرة ساعتان، لم يصدق أن هناك شيء طبيعي يحدث، هرول نحو مِرآة غرفته ليكسر شكوكه فيجد نفسه يظهر بشكل كامل، ضرب وجهه بيده ليتأكد من وجوده وعندما شعر بيده وشاهدها أمامه اطمأن أخيرًا، قرر أنه يجب أن يُهاتف هِيلِين ويخبرها بكل شيء فتلك التجربة كانت غريبة وعجيبة بكل المقاييس، يمسك هاتفه ويتصل بها وأنفاسه تتلاحق مسرعة حتى ترد عليه ويجدها ما زالت مستيقظة فينتهز الفرصة ويبدأ في رواية ما حدث معه بكل التفاصيل بحماس كبير وهَيلَين تنصت له بكل تركيز وتعَجُب شديدين حتى أنهى وقال لها:

- هل لديكِ تفسير لما حدث معي؟

- لا يوجد تفسير واضح، لكن ما قُلت يثبت حديث عمر عن مكالمته الأخيرة مع شروق، وأن رؤوف حاول خنقها بالفعل ثم بدأ في عزل نفسه، ولقد وعدك الملثم هذا أنه سوف يجعلك تقابل روحًا لشخص متوفٍ

وسوف يكون رؤوف حسب رغبتك وهذا الأمر بِرُمته رغم غرابته لكنه يحل كل شيء إذا صدق.

يقاطعها أنس وهو سعيد بما أنجز ويقول بثقة:

- هل تظنين أننا من الممكن أن ننهي القضية بتلك السهولة، ويمكنك بعد ذلك استغلال هذا الأمر في حل قضايا أخرى.

- ولكن هناك ثلاثة أشياء يجب أن نصل لحل لهم، أول شيء ما سر رقم 914؟ هل هو رقم يخص رؤوف أم شروق؟ رقم سري خاص - تاريخ ميلاد - رقم سيارة، أي شيء مثل ذلك، من الممكن أن نصل منه لشيء جديد، ثاني شيء مَن هذا الملثم المجهول الذي يقابلك في تجربة إسقاط نجمي خاصة؟ وما سر عبارته الرقمية؟ ولماذا تغيرت وكأنها عدٌّ تنازليٌ؟ يجب أن تحذر منه، أما ثالث شيء سر الكائن الثائر الذي يصيح فيك فتفزع منه وتهرب من التجربة للواقع.

يصمت أنس قليلًا وهو لا يعرف كيف يبدأ ويقول لها بتوتر:

- الكائن الثائر ليس له علاقة بقضية رؤوف بل بي، منذ طفولتي وأنا أحلم بكوابيس كان بطلها هذا الصوت المفزع لم أرَه أبدًا، كان يكفي أن أسمع صوته حتى أنتفض من نومي، أعلم صوت أنفاسه، خطوات أقدامه، مهما كان الحلم بدايته جميلة كان صوته يدخل فأخرج منه وأنهض مفزوعًا مهرولًا في حضن والدي أحتمي فيه، ظل هذا معي حتى توفي والدي وأنا في عمر تسع سنوات، وتكفل بي عم أمين. ومن أول ليلة نمت بحضنه وهو يقرأ لي القرآن ويداعب شعري حتى أغفو وأنا لم أسمع هذا الصوت أو يقتحم أحلامي، وكنت نسيته بالفعل حتى جاءت تجربة الإسقاط النجمي ليعود كابوسي القديم للحياة.

تؤثر تلك الكلمات على هِيلِين فتحاول مواساته قائلة:

- سوف يأتي اليوم وتواجه مخاوفك أنا أثق في ذلك، اذهب استرح ونِم، فقد كان يومًا طويلًا وشاقًا وغدًا نكمل ونحلل ما توصلنا له حتى الآن.

- تمام، آسف إذا أقلقت منامك، فلقد أوشكنا على الفجر.

- لا ولا يهمك، فهذا كله في النهاية عمل، تصبح على خير.

تسقط تلك الكلمة كصاعقة كهربية تستطيع أن تنير مدينة كاملة على أذن أنس الذي انقلبت أساريره للحزن وقال مصدومًا

- عمل!! طيب، وأنتِ من أهل الخير.

***

يصعد حامد الدرج مسرعًا حتى وصل لمكتب عمر فطرق الباب مستئذنًا فدخل بعدما سمح له عمر بالدخول ليجد أنه يلهث ويصارع أنفاسه وهو يقول :

- لقد حاولت الاتصال بسيادتك عدة مرات ولكن هاتفك كان مغلقًا.

- نعم لقد أغلقته للراحة فلا أريد أخبار مزعجة مثلك في مثل هذا الصباح، خيرٌ ما لديك يا حامد؟

- لقد أمرت النيابة بغلق قضية الضابط رؤوف لاكتفاء الأدلة ضده ورؤية أنه لا يوجد ما يستدعي أن تستمر التحقيقات أكثر من ذلك.

- تمام اذهب أنت الآن، واطلب كوبًا قهوة لي.

يخرج حامد من المكتب فيقف عمر ويتحرك نحو النافذة وهو يقول:

- الله يرحمك يا رؤوف، لقد أفسدت كل شيء.

***

بعد مرور عدة أيام، بداخل مكتب أنس بالجريدة تجلس هيلين وبجوارها أنس وهو غارق في حاسبه المحمول، فتقول بجدية

- أنا من يومها وأنا أعمل على رقم 914، تواصلت مع موظف صديقي بالسجل المدني، ولم يكن للرقم أي علاقة بميلاد رؤوف أو شروق ولا

ابنهم، رقم سيارته هو وزوجته بعيد عنه أيضًا، هذا ما جاء في رأسي وتوقفت عن التفكير، هل وصلت أنت لشيء؟

يمد يده ويمسك بورقة كان يدون فيها منذ قليل ثم ينظر لها ويقول:

- جيد أنكِ اخترتِ هذا الخط لأني عملت على خطوط أخرى.

- خطوط أخرى؟ كيف؟

يلتفت حوله يمينًا ويسارًا ثم يخفض من صوته قليلًا وهو يقول هامسًا:

- حساباته الشخصية.

- حساباته؟ كيف توصلت لها؟

يدنو منها أكثر وهو يقول:

- أنتِ تعلمين أني تخرجت من كلية الإعلام بتقدير مقبول، فأنا لم أكن مثلك ووصلت لدرجة مُعيد، عندما تقدمت للجريدة توظفت فيها ليس لأني دارس إعلام، ولكن لأني أحمل بعض الشهادات في تصميم وإدارة المواقع، ولكن ما لا يعلمونه أني درست أيضًا القرصنة الإلكترونية وتميزت فيها جدًا، وفي النهاية توظفت كمدوّن بالموقع الرسمي للجريدة وكانت تلك الخطوة قفزة في حياتي العملية، لقد استفزني الوضع المزري للوظيفة وهو مما دفعني لكي أتحدى نفسي وأستغل تكليفي لإنشاء موقع جديد بالجريدة لبناء أكبر شبكة قرصنة، لم يدخل أحد الموقع وسجّل حسابًا عليه إلا وتم سرقة بياناته وحساباته الشخصية وحفظها ويمكنني أن أتحكم فيه بسهولة.

تعود هيلين بالمقعد الذي تجلس عليه للوراء قليلًا فلم تكن تتوقع ما قاله وعلامات الصدمة تسيطر على ملامحها، لاحظ أنس ذلك فعاد لجدية مصطنعة قائلًا:

- المهم دعينا نعود لقضية رؤوف، بالفعل الرقم 914 ليس له علاقة بشيء يخص رؤوف من قريب أو بعيد، لقد بحثت في أرقام الهواتف و «الواتس

أب» هو وزوجته ووصلت لنفس النتيجة، ولكن لن تصدقي ما وجدته على حساب «الواتس أب» الخاص بشروق.

- لقد وصلت لأرقام التليفونات والواتس أب؟! بسم الله ما شاء الله، وعلى ماذا عثرت يا ترى؟

- كان هناك تواصل مع رقم ولكن لم يتم أي محادثة كتابية بينهما، ولكن كانت فقط مكالمات صوتية الخاصة بالواتس آب، وكان مسجل هذا الرقم باسم «نيفين» وعندما بحثت عن هذا الرقم لن تصدق من صاحبه.

يثير هذا الأسلوب استفزاز هِيلِين ويتضح على ملامحها ذلك وتحاول أن تعرف الإجابة بفطرسة قائلة:

- بالتأكيد لن أصدق، مَن هو؟

يقف أمامها أنس وهو يبتسم ثم ينزل برأسه لها ويدنو من وجهها وهو يقول:

- عمر.

تحاول هِيلِين أن تُترجم ما قاله أنس وكأنه تحدَّث معها بلغة ثانية غير العربية، لم تستطع أن تستوعب ما قاله، فتسأله بتلعثم غير مقصود:

- عمر؟ عمر المنياوي؟ صديق رؤوف؟

يحاول أنس أن يخفي سعادته برسم تعبير حزن مزيَّف على وجهه:

- نعم هو، وكان بينهما عدة مكالمات ذات مدة زمنية متوسطة.

أدركت هِيلِين حجم الصدمة الثانية لها على التوالي، فالأولى أنس القرصان المجهول والثانية عمر الخائن لصديقه، ولكن قررت أن تكمل عملها للنهاية سواء كان أنس أو عمر فهُم علاقة عمل فقط والعمل يجب أن ينتهي ويجب أن يتوقفوا حتى هذا الحد ولا يتعدوه مهما حدثَ، فتنظر له في حدة وتقول:

- وما هي الخطوة القادمة؟

يشعر بتغيير أسلوبها مما يجعله أن يعدل من أسلوبه ويتكلم بجدية أكثر:

- هكذا معنا خط آخر غير رقم 914، وهو يرجعنا لفرضيَّة أن تكون الجريمة في إطار «رد شرف»، لكن إذا كان رؤوف على عِلم بخيانة شروق مع عمر، لماذا هاتف عمر من الأساس، أنا من البداية لم أصدق قصة عمر، ومن الممكن أن يكون شريك شروق واغتال الجميع وما يفعله محاولة لإبعاد أن يتلوث اسمه بالقضية، لقد أخبرتك أنه مريب منذ البداية، اعقلي الأمر ولو مرة واحدة.

تحاول هِيلِين الالتزام بجديتها دون أن ينفجر بركانها الثائر من الغضب فتقول:

- من الممكن أن يكون قد شك فيها، ولكن لا يعرف مع من تخونه ولذلك هاتف عمر.

يومئ آنس استحسانًا مما افترضته، فيكمل على نفس الافتراض قائلًا:

- ولذلك قتل ابنه لأنه يشك في نَسبه له، تحليل منطقي وهذا يمكن أن يوضح وجود عمر منفرد لربع ساعة بمسرح الجريمة، يبحث عن شيء أو يخفي شيئًا معين.

- ماذا تقصد بالضبط؟

- أليس من المفترض أن نقابل عمر اليوم على الموعد الذي اتفقنا عليه؟

تجيبه بالإيجاب فيكمل استرساله أمام ملامحها الغاضبة من تلك المحادثة المجبرة عليها فيردف قائلًا:

- هاتفيه الآن وأكدي عليه الموعد ولا تخبريه شيئًا لما توصلنا له، وأننا نريد مساعدته في حل لغز رقم 914.

- هل سيوافق؟

- لن نخسر شيئًا، سوف نكسب في جميع الأحوال، نستطيع أن نثبت هل لعمر يدٌ بالقضية أم لا، هاتفيه الآن.

لم يكن هذا الطلب بالشيء السهل على هَيلَين؛ فهي ما زالت تستعيد رُشدها من صدمتها في عمر ومن قبله أنس والمطلوب منها أن تحدّثه بدون أن يظهر على صوتها أي تغيير، تمسك هاتفها وتأخذ أنفاسها بهدوءٍ ثم تنظر لأنس ويظهر على وجهها ملامح الاستياء، وبالفعل تتصل بعمر برغم توترها لكنها تنجح في إقناعه بالموافقة وتحديد الموعد معه بعد ساعتين. أنهت مكالمتها وهي ترى لمعة عين أنس سعادة بما حدث، وكأنه منسجم ومستمع بحالتها فتقول له:

- سوف يمر علينا بسيارته بعد ساعتين.

يومئ أنس برأسه مستحسنًا ويقنعها أن تكون هادئة وطبيعية معه، فتومئ له إيجابًا وتتحرك متجهةً لمكتبها وهي في حالة صمت وذهول، تسمع أنس ينادي عليها فتلتفت له لتجده يحمل كوب قهوتها ويرفعه عاليًا قليلًا:

- ألن تكملي قهوتك؟

- شكرًا، لا لم أعد أطيق شيئًا.

تصل هِيلين إلى مكتبها تحاول تعيد بذاكرتها تلك الساعة التي مرت عليها بكل ما علمت بها من صدمات كسرت تخيلها عن شخصيات كانت تعتقد أنها تعلمها جيدًا، ثم نظرت بشيءٍ به عُمق أكثر لتجد أن جميع الرجال الذين تعرفهم لا يصلحون ليكونوا في حياتها سواء كان عمر أو أنس أو كارثة الكوارث ياسر، جميعهم أشباه رجال، لم يبقَ في تلك الدائرة بعد وفاة والدها إلا طيف رجل يأتي لها على شكل حروف في ظرف، لا تريد رجلًا سواه، حتى وإذا لم ترَه وظل مجرد حروف فلقد استسلمت لهذا المصير فلعله جاء ليُحسن صورة أبناء آدم أمامها.

***

وصل عمر في موعده ووقف ينتظر خروج هِيلِين وأنس من الجريدة، لم ينتظر كثيرًا حتى رآها تخرج وتميل برأسها بأنها لاحظته وترسم ابتسامة خفيفة، تحاول أن تخفي ما بها من متاعب وخلفها يظهر أنس الذي ينظر له في تحدٍ ويبتسم له مما استفز عمر أكثر، تقترب هِيلِين من باب السيارة ينزل عمر زجاج سيارته ويرحب بها، ما إن اقترب أنس من السيارة ليسلم عليه فيفاجئه عمر ووجهه يمتلئ بعلامات الضيق بقوله:

- لن نضيع الوقت في السلام والترحاب، أجل...

يقاطعه أنس:

- اجلس بالخلف، أعلم أعلم.

تنظر لهما هِيلِين مستغربة ما يحدث، ولكنها لم تعلق فتركب السيارة ويركب خلفها أنس، يتحرك عمر بسيارته وهو بين الحين والآخر يخطف نظرة ليلمح هِيلِين الشاردة بجانبه لا تتحدث وكأنها ليست معهما؛ ازداد قلقه وحاول أن يطمئن عليها ولكنه يعلم أنه لن يكون على راحته معها فهناك من يدمر مزاجه هذا الجالس بالخلف الذي كلما حاول أن يلاحظه في المِرآة يجده لا يفعل شيئًا سوى أنه ينظر له بثبات وبرود، ظلوا هكذا حتى قطع أنس هذا الصمت بتوجيه سؤاله لعمر:

- هل يوجد جديد بالقضية؟

ينظر له عمر باستحقار شديد ولكنه يلاحظ انتباه هِيلِين لسؤاله وخروجها من حالة الشرود والتفت رأسها بالفعل نحوه، هذا ما حمسه ليجيب على سؤاله حتى لا يفقد تركيزها مرة أخرى قائلًا:

- ملف القضية أغلق، فالنيابة لا ترى مشتبهًا آخر سوى رؤوف وذلك بعد أن تلقوا تقرير الطب الشرعي الذي لم يضع أحدًا آخر في دائرة الشك، حتى مع غياب معرفة الدافع فالقضية أصبحت منتهية، ولكن ما زالت بالنسبة لي مفتوحة حتى أعرف لم فعل رؤوف ما فعله.

هنا يتفاجأ عمر بالتفاف هِيلِين من جلستها نحوه وهي تسأله بكل حدة:

- وماذا عن انفرادك بمسرح الجريمة لمدة ربع ساعة، لم يكن شيئًا كافيًا لكي تدخلك النيابة دائرة الاتهام؟

كان هذا سؤالًا غير متوقع من هِيلِين لعمر الذي استغرب كثيرًا وتعجب حدتها في هذا السؤال وشعر بالإهانة أمام خصمه المتلذذ بما يحدث فما كان منه إلا أن يرد بحدة أكثر:

- لا أحد يستطيع أن يتهمني بشيء، إذا كان لدى النيابة دليل ضدي ما كنت معكما الآن.

تنظر هِيلِين له وتلاحظ تعبيراته ورد فعله جيدًا وهي تحاول أن تصدق كذبه، فهو لا يعلم أن مع أنس الدليل الذي يجعل النيابة تعيد فتح القضية ويدخل في دائرة الاتهامات حتى يثبت براءته، ولكنها تتمالك أعصابها ولا تعترف أمامه بهذا الدليل تريد أن تتأكد منه على الأقل فتحاول أن تعطيه شيئًا من الأمان والطمأنينة وترد عليه:

- أنا متأكدة أنك لم تفعل شيئًا خاطئًا، وأنك كنت تبحث عن دليل يبرئ صديقك وذلك بعد أن تأكدت أن كل ملابسات القضية ضده، أنا أردت فقط معرفة وجهة نظر النيابة من تلك الواقعة، والحمد لله لقد اطمأننت، ولذلك هل يمكننا أن نرى مسرح الجريمة الآن فانا لم أرَه سوى من خلال الصور فقط، أريد أن أراه عن قرب، هل يمكن أن تساعدني في ذلك؟

رغم صدمة أنس من سؤال هِيلِين إلا أنها أراحته بعد أن نجحت في أن تمتص غضب عمر مما دفعه أن يوافق على طلبها ويأخذهما بالفعل للعقار التي وقعت به الجريمة، تنزل هِيلِين من السيارة وتغلق بابها وتنظر لعمر الذي وقف يتأمل العقار ولا يخطو خطوةً حتى قاطعه أنس منبهه بالتحرك، يلتفت له عمر بغضب ويتقدمهما حتى المدخل ثم المصعد وحتى يصل بهما لباب شقة رؤوف ليخرج عمر من جيبه مفتاحًا ويفتح الباب تحت نظرات استغراب وترقب من أنس وهَيلِين، ولكن لم تستطع هِيلِين

أن تكتم سؤالها:

- مِن أين جئت بمفتاح الشقة؟

يقف عمر على عتبة الشقة مراقبًا لها والباب يكشف ما كان يستره ثم يدخل خطوتين للداخل، وهو يجيبها ويشير بيديه أن تتبعه قائلًا:

- بعد أن أغلقت القضية أصبح يمكن دخول الشقة مرة أخرى ولذلك هاتفتني شمس أخت شروق لإعطائي المفتاح كي أجلب لها متعلقات أختها وبعض الأشياء الأخرى لأنها لن تقدر على عبور عتبة الشقة بعد ما حدث، وذلك لأنها تعلم كم كنت صديقًا للعائلة وتثق في، وعندما جلبت لها ما طلبته نسيت أن أعيد لها المفتاح ولكني سوف أعيده غدًا أو اليوم إذا استطعت، ها كيف تريدين أن نبدأ؟

تنظر هِيلِين لأنس المراقب جيدًا لعمر وكأن هذه هي وظيفته اليوم ويسبقها أنس قبل أن تجاوب سؤال عمر بقوله:

- ما رأيك أن تبدأ أنت وتمثل لنا وكأنك تدخل الشقة بعد مكالمة رؤوف الأخيرة؟

يلتفت عمر نحو أنس ويرد عليه بحدة:

- نحن قادمون من أجل أن نصل لدليل جديد، لم نأتِ كي أمثل لك.

- نحن لم نفعل سوى ما قُلته، نسعى كي نصل لدليل جديد، كنت في السابق تفكر وحيدًا والآن أصبحنا ثلاثة وهذا بالتأكيد سيغير النتيجة، ونحن سنراقب ونخبرك بما لاحظنا.

تنجح هِيلِين مرة ثانية في الانتصار على عِند وحِدة عمر وتجعله آلِين في المعاملة، ويبدأ بالفعل في تمثيل دخوله لمسرح الجريمة وتراقبه هِيلِين وأنس في كل خطوة أو حركة حتى وصل لمرحلة طرده لحامد وانتظاره للإسعاف دون أن يدخل عليه أحد. تحركت هِيلِين مع عمر الذي تحرك نحو المِرآة، التي ما زالت تحتفظ بالعبارة المكتوبة عليها بأحمر الشفاة «أنت

مِلكي»، ظلا هما الاثنان يتأملان تلك العبارة لحظات في صمت، حتى فاجأهما أنس بسؤاله وكأنه كان ينتظر تلك اللحظة:

- لمَ أنتم مصدقون ومقتنعون أن هذا هو خط يد رؤوف؟

كان هذا السؤال بمثابة قنبلة على أذن هِيلِين وعمر، جعل هِيلِين تلتفت له سريعًا مستغربة، وما جعلهما في حالة استغراب أكثر هو ثبات عمر وعدم إبداء أي رد فعل لسؤال أنس، حتى نطق وهو ينظر لهما في المِرآة دون أن يلتفت لهما:

- ولمن يكون؟

يبادره أنس بسؤال آخر:

- هل تم الكشف عنها من خبيرًا في الخطوط؟

يلتفت هنا عمر له ويجيبه بثقة:

- هل نسيت أن رؤوف هو من هاتفني وبلغني بقتل زوجته وابنه، والجملة الغريبة « قتلتهما بيدي» التي قالها لي في المكالمة وجعلتني أهرول لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ثم كررها مرة أخرى في المستشفى قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، بالإضافة لبصماته ومحاولة انتحاره، كلها أدلة تدين رؤوف، ورغم غرابة عبارة المرآة تلك إلا أنها لن تدفع النيابة كي تحولها لخبير خطوط بعد كل ما لديها، ولا تنسي أن خبير البصمات لم يجد أي بصمة غريبة، وفرضية أن هناك شخصًا آخر كتب تلك العبارة لن تكون دافعًا قويًا لفتح القضية وهي في طريق غلقها نهائيًا.

لم يظهر على هِيلِين اقتناعها بتحليل عمر، وفي ظل نظرة أنس المتفاخر بنفسه جاء ردها بشكل فاصل:

- لن نخسر شيئًا إذا بحثنا عن أي ورقة بخط رؤوف وتمت المقارنة، أنا أعرف خبير خطوط يستطيع أن يفصل في تلك القضية.

يميل عمر رأسه بالموافقة وهو لا يظهر عليه علامات الشك أو الخوف

ويبدأون بالبحث عن أي ورقة كانت بها خط رؤوف، حتى تجد هِيلِين على مكتبه ورقة كان يدوِّن فيها رؤوف ما ينقص ابنه من متطلباته المدرسية، وبالفعل تنادي على أنس وعمر لتخبرهما أنها وجدت تلك الورقة الصغيرة؛ فيتفقون عندما تصل لها نتيجة تحليل الخطوط أن يجتمعوا مرة أخرى، ولكن عند مغادرتهم للشقة أوقفهما أنس وهو يشير نحو حائط كبير قريب من باب الشقة قائلًا:

- ثوانٍ، هل يمكن أن تركزا معي هنا.

يقترب عمر وهَيلِين من أنس الواقف أمام حائط مُعلق عليه صور لرؤوف وبطولاته وصور شخصية مع عائلته وأصدقائه، ثم وجه سؤاله لعمر:

- ألم تخبرنا بأنك صديق رؤوف منذ الكلية ورفيق عمرك، هذا غير أنك الوحيد الذي هاتفه يوم الحادث، إذا كنت شخصًا عزيزًا عليه بهذا الشكل، لماذا لم نرَ صورة واحدة تجمعكما ببعض هنا برغم أن هناك صورة أخرى معلقة لرؤوف مع بعض أصدقائه من الكلية، وأنت أيضًا لست من ضمنهم، أليس هذا غريبًا بعض الشيء؟

دقات قلب سريعة تفضح سبب أنفاسه العالية وتعرقه، نظرات ماكرة من أنس ونظرات ترقب من هَيلِين، تحرك عمر للأمام خطوتين وأخذ نفسًا عميقًا واقترب لتأمل الصور بشكل أدق ثم أجاب بكثير من الثقة:

- كلامك صحيح غريبة فعلًا، يمكن لأن لا يفرق معي أو مع رؤوف شيء مثل هذا، فلقد كان سرنا مع بعض ولكن اعذرني أنا أجهل ما تريد أن تصل له بسؤالك هذا؟

يبتسم أنس ساخرًا ويجيبه وهو يدور حوله بخطوات بطيئة قائلًا:

- ضع نفسك مكاني، أليس غريبًا فعلًا أن معك أنت وحدك كل خطوط الجريمة، فأنت أول من جئت مسرح الجريمة بناء على مكالمة من رؤوف على حسب كلامك، وبقيت هنا معه حتى اتصلت بحامد، وعندما وصل وجدك تحمل رؤوف، وأنت أيضًا مَن أخبرك رؤوف بجملته الغريبة قبل

وفاته «قتلتهما بيدي»، وأنت أيضًا من أخبرتنا بمكالمة شروق وأخبرتك بمحاولة خنق رؤوف لها وهو نائم بجوارها وكل هذا عرفناه منك أنت فقط ولا يوجد أحد آخر يثبت حديثك هذا ومع كل هذا لا يوجد بالشقة ما يثبت علاقتكما ببعض ودرجة الصداقة العالية، وآخر شيء كيف لضابط مباحث بخبرتك لا يهتم بمعرفة عبارة غريبة كتبت في مسرح الجريمة هل تعود لصديقه أم لا؟ هل ترى هذا عادي يا حضرة الضابط؟

لم يتحمل عمر حرفًا بعد ذلك فلقد استشاط غيظًا من أنس وباغته بلكمة قوية أسقطته أرضًا، فصرخت هِيلِين وبعدت خطوتين عنهما وعمر ينظر له بكل غضب وينحني ويمسكه من تلابيب قميصه ويدنو من وجهه الغارق في دمه قائلًا في غضب:

- لقد تحملت استفزازك هذا بما يكفي، اخرج من هنا.

يحاول أنس أن يقف فتجري عليه هِيلِين لتساعده على الوقوف، ويتحركان هما الاثنان وينظران لعمر الذي اشتد احمرار عينيه من شدة غضبه، وعندما يصلان إلى عتبة الباب، يلتفت أنس ويقول لعمر:

- الشيء الوحيد الذي أريد أن أعرفه، عن ماذا تبحث؟ صديقك وأنت متأكد من أنه القاتل والنيابة أثبتت ذلك، فماذا تريد أنت؟

لم يتحمل عمر أن يسمع أكثر فتقدم بخطوة مسرعة في اتجاهه ليلكمه مرة أخرى، ولكنه تفاجأ بوقوف هِيلِين بينهما وهي تمد يديها في صدره محاولة منعه من أذية أنس والدفاع عنه وأنس يقف خلفها، وكانت بالفعل لكمة قوية ولكن ليست لأنس بل لعمر، توقف وهو ينظر لعين هِيلِين الصارمة في مواجهته ويديها اللتين تغرزان في صدره كانت بالفعل طعنة في قلبه ولكمة لن ينساها. ظل صامتًا ينظر ليديها بصدره، وهي تحاول أن تهرب بنظرها لأي مكان حتى وجدت عمر ثابتًا لا يتحرك؛ استجاب لطلبها دون أي مقاومة فشعرت بالإحراج وسحبت يديها وأمسكت بذراع أنس وأسندته ليتعكز عليها وتمشي وتختلس النظر للخلف لتجد عمر يضع يده على صدره وينظر لها بكل حزن.

الفصل السادس

يصل أنس وهَيلين للشارع وتشير إلى سيارة أجرة فتتوقف أمامهما، تساعد أنس على الجلوس بداخلها ثم تغلق الباب ويستغرب أنس مما فعلت فتسبقه هي وتقول له بجمود:

- عُد أنت لمنزلك وارتَح، أنا أريد أن أبقى لوحدي، ممكن؟

ينظر أنس لأسلوب هيلين في طلبها ويدرك أن لا مفر منه سوى تنفيذه، يستجيب لطلبها ويطلب من السائق أن يتحرك ثم يلتفت خلفه ليلمحها وهي بالفعل تحركت وسارت عكس اتجاه سيارته، ظل يراقبها حتى اختفت، ظل يتذكر ما فعله اليوم مع عمر ورد فعله كان أكثر من ما كان يأمل.

يصل بالفعل لمنزله ويصعد مسرعًا يفتح ثلاجته ويخرج منها كيسًا من الخضروات المجمدة ويضعه على خده المتورم حتى شعر بأنها أصبحت أفضل، دخل ليأخذ حمامًا دافئًا حتى يسرع عملية استرخاء جسده فهو متشوق بأن يقوم بجلسة إسقاط نجمي يريد أن يعرف أكثر، حماسه في هذه القضية هو الأعلى فهي قضية حياته.

ينتهي من استحمامه وينشف جسده جيدًا ويقوم بالاستعدادات المطلوبة لتلك الجلسة، ينظر للساعة أمامه 5:25 ليلًا ثم يبدأ بتمارين الاسترخاء وعمليات تنشيط الطاقة الداخلية حتى يصل لأقصاها مثل المرتين السابقتين ولكن بشكل أسرع، وعندما وصل للغرفة السوداء جرى في اتجاه الباب مسرعًا، وفتحه ليجد غرفته البيضاء كما هي ولكن لم يكن للكتاب وجود على الأرض مثل المرتين السابقتين أو بالغرفة بشكل عام، تحرك للمِرآة والذي بدأ في الظهور فيها هذا الشخص ولكن كما هو معتم التكوين والملامح لا يظهر منه سوى عينيه، ولكن هذه المرة تظهر بوضوح أنفه، أصبح كوجه مُلثم لشخص يعرفه أنس ولكن عقله لم يسعفه في تذكر من هو، يسمع صوته من خلفه ولم يبدِ اهتمام هذه المرة فلقد تعود

عليه:

- سبع معالق سكر سقطوا في الوعاء، ذابت الثالثة وباقي أربع، كيف حالك يا أنس؟

- أنا بأفضل حال، ولا أريد منك سوى أن أقابل روح رؤوف.

- لست مؤهلًا لذلك، ولكني سوف أساعدك بما أقدر عليه.

ينظر أنس حوله ليجد الأرض وقد امتلأت بدخان عديم الرائحة، ينظر أسفله فيجده يتصاعد لأعلى، أصبح لا يرى قدمه، ينظر حوله ليندهش باختفاء غرفته تمامًا من أثر الدخان، أصبح غارقًا في بحر من الدخان إلا أن ذلك لم يكن الأسوأ؛ فقد اجتاح هذا الدخان رائحةُ غاز قوية، ظلّ أنس على أثرها يسعل ويسعل فيزداد اختناقًا وكلما زادت رائحة الغاز زاد اختناقه ثم انسحب الدخان من حوله لتظهر ملامح غرفة نوم رؤوف حوله وهو واقع على أرضية الغرفة من شدة الاختناق، استطاع أن يقف مرة أخرى أمام المِرآة التي لا يظهر فيها انعكاسه، يأخذ أنفاسه في هدوء وهو ينظر حوله يلاحظ وجود شروق على الأرض بجوار الفِراش ويداها ما زالتا مرفوعتين على الفِراش تضعهما على حاسبها المحمول المفتوح، حاول أن يقترب منها فتفاجأ بدخول رؤوف وهو يضع قطعة من القماش على أنفه ويسعل ولقد فزع من منظر شروق زوجته الملقاة على الأرض فيجري عليها ويحاول أن يساعدها على الإفاقة، ولكن لا تستجيب يحملها ويدخل بها إلى الحمّام لكي يغسل وجهها وعندما تفتح عينيها وتسعل يقبلها ويحمد الله على رجوعها له.

يتركها بالحمّام تحت الدش بملابسها ويعود للغرفة مرة أخرى ويفتح زجاج النافذة وأثناء مروره أمام الفِراش ليصل للدولاب حتى يجلب لها ملابس أخرى، لاحظ أنس توقف رؤوف وكأن هناك شيئًا في الحاسب المحمول قد لفت انتباه ينحني ليلتقطه ويمسكه وهو ينظر له وعلامات الغضب بدأت في الظهور على وجهه فيقترب منه أنس ليرى ما أزعجه بهذا الشكل، وجد صورة رؤوف مع عمر مفتوحة من الحساب الشخصي

لعمر على موقع الفيس بوك، يمشي به رؤوف ذهابًا وإيابًا يتذمر من شدة غضبه ثم ينظر لأنس وكأنه اكتشف وجوده بعد كل هذا؛ تزداد عيناه احمرارًا ويزداد تذمره بشكل أرعب أنس كثيرًا، هل لاحظ وجوده بالفعل؟

يجده يجري عليه ويلقي عليه الحاسب المحمول بكل قوة، يصرخ أنس ليجد نفسه قد استيقظ من جلسته فينظر لهاتفه ليجد مدة الجلسة ساعة واحدة فقط برغم أنه شعر أنها أطول من ذلك بكثير، قام وتأكد أنه عاد إلى عالمه ولم يكن ذلك أحد كوابيسه المعتادة، قام بعمل كوب حليب ساخن وهو يفكر بما رآه، لقد زادت انحرافات القضية نحو عمر بشكل كبير ولكن كل ذلك ليس بدليل عليه في شيء، ينهي كوبه ويقرر بأن يقوم بجلسة أخرى يجب أن يصل للحقيقة هذا هو هدفه.

***

تغلق هِيلِين سيارتها وتتحرك نحو المنزل لتجد ظِل شخص يقف أمام صندوق البريد ويداه تتلاعبان بداخل الصندوق؛ لا تعلم هل يضع شيئًا أم يأخذ شيئًا فعتمة المكان تدافع عنه بشكل كبير، حاولت أن تقترب أكثر ببطء وهي تحرص ألا يشعر بها ولكن لسوء حظها تفلت من يديها سلسلة المفاتيح فتقع على الأرض، فتلعنها لقد فضحت تواجدها فتنزل بسرعة على الأرض وتختبئ وراء الشجرة المتواجدة بجوار بوابة المنزل وتحاول أن تختلس النظر مرة أخرى، ولكن كان قد فات الأوان، لقد اختفى لم يكن له أي أثر، تنهض وتتحرك مسرعة في اتجاه صندوق البريد الذي وجدته ما زال مفتوحًا، تبحث حولها فلم تجده، تضيء هاتفها المحمول لكي تنظر بداخل الصندوق فتجده خاليًا من أي شيء، فتحدث نفسها قائلة:

- أيكون العاشق المجهول وخاف أن أراه وكشف هويته مبكرًا؟ أم لص؟ ولكن ما الذي سيعود عليه من سرقة رسائلي؟ إنه هو دون شك، ولكن لمَ رحل؟

تضرب بيديها صندوق البريد غضبًا ثم تقول:

- لا يعرف كم أحتاجه الآن، كم أريد أن أتحدث مع شخص يعرفني جيدًا، أريد البوح بكل ما فيّ حتى يشتكي قلبي من فراغه.

تتفقد بعينيها داخل الصندوق مرة أخرى وتردف بحسرة:

- لم يترك رسالته حتى، الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن يصبرني ليلتي الغريبة تلك، صدمة وراء صدمة، من يرتاح قلبي له قليلًا يفضح أمامي ويُظهر وجهًا آخر له، وجهًا قبيحًا سيئًا لأبعد الحدود، ليس لدي الآن سوى ريهام وحضنها، يكفيني النوم فيه.

تدخل إلى البيت وتمر على الصالون وهي في اتجاه غرفة نوم ريهام فتدخل لتجدها جالسة أمام المِرآة تمسك أحمر الشفاه وترسم به شفتيها، وبجانب تلك الشفتين خط أسود محدد من الدموع بسبب الكحل الأسود يشق وجنتيها نصفين، جسمها ينتفض وهالات عينيها ازدادت سوادًا من البكاء والكحل المنصهر ورغم ذلك مستمرة في تجميل شفتيها، ظلت هِيلِين واقفة على باب الغرفة تضع يديها على فمها كاتمة صرختها ودموعها وهي تشاهد ريهام من ظهرها، ولكن انعكساها في المِرآة قد أوضح كل شيء، فتقرر أن تقترب منها وهي مرتعشة وعندما تصل لها تنحني وتأخذها في حضنها وتقبّل رأسها وتضمها بقوة فهي أيضًا تحتاج لهذا الحضن ولكنها تحاول أن تتمالك أعصابها ولا تنفجر هي أيضًا بالبكاء، فتجد ريهام تحدثها وهي تنظر للأسفل وتقول ويداها ترتعشان:

- لم يعد يراني جميلة، لم يعد يريدني، يقول إني كلما جئت بآدم أقتله، لا يريد آدم مني لأني لست جميلة، أما زلت ترينني جميلة يا هَيلَين؟

تبكي هِيلِين فلم تستطع أن تقاوم أكثر من ذلك، وترد عليها وهي تُقبّلها في جبينها وتبللها بدموعها:

- بالطبع حبيبتي أنتِ مثل البدر، ملكة جمال الجامعة ألم يكن هذا لقبك، وسوف تظلين ملكة جمال طيلة عمرك، هي نستحم الآن لكي نحافظ على

نضارة بشرة الملكة.

تسند عليها ريهام حتى الحمّام وتساعدها في أخذ حمام بالماء الدافئ حتى تهدئ أعصابها، وهَيلَين تنظر لها وقلبها يبكي من الحزن، هل هذه أختها ريهام؟ كيف أصبحت بهذه الحالة؟ من كانت تملأ البيت ضحكًا ونشاطًا أصبحت الآن كالمرأة المسنة ذات أعصاب متهالكة، كان هذا المنزل ممتلئًا بأصدقائها والضحك والغناء تسمعه من خلف أسوار البيت، الآن لا يزورها إلا مَلَك زميلتها بالعمل فقط، لم تستحق ريهام مثل تلك الحياة.

ألبستها ملابس النوم وأوصلتها حتى الفِراش وأمسكت بزجاجة الماء بجانبها وملأت كوبًا من الماء، بحثت بجانبها عن دوائها فوجدت الدواء الجديد الذي كانت شاهدته المرة السابقة في سقطتها الأخيرة بالحمام فأخرجت منه حبة واحدة ومدت يديها لريهام التي نظرت ليديها وتقول وعيناها تكادان تفتحان:

- أن أتناول حبتين وليست واحدة.

- آسفة اعذريني، هل تستريحين مع هذا الدواء الجديد؟

تومئ ريهام برأسها بالإيجاب، ثم تمد يديها لتمسكها هِيلِين وتجذبها نحوها وتقول بكثير من الصدق:

- أنا أحبك جدًا، لا تحرمني منها يا الله.

وتُقبّل يد هِيلِين التي تسبقها لتُقبل رأسها هي الأخرى ثم تضع عليها الغطاء وتجلس بجانبها وهي تداعب شعرها فتنام ريهام بعدها ببضع دقائق، وتظل هكذا هِيلِين حتى يغلب عليها النعاس هي الأخرى وتنام بجانبها دون أن تشعر.

كم كانت هِيلِين تحتاج لمن يحتويها بتلك الليلة، واكتفت بأن تنام بجانب أختها تستعيد طفولتها عندما كانت تستيقظ مفزوعة من كابوس قد زار نومها، فتنتفض وتقفز بجانب ريهام في فِراشها حتى وإذا لم تحتضنها

ريهام يكفيها أنها بجانبها تشعر بأنفاسها ودفء جسمها، ولكن لم يستمر هذا الإحساس طويلًا عندما شعرت هِيلِين بمن يلمس قدمها، لتستيقظ مفزوعة لتجده ياسر ينظر لها وعيناه متسعتان تتفحصان جسدها بكل برود فتركل يده بقدميها وتنهض وتمد يدها وتمسك كوب الماء الزجاجي وترفعه مهددة إياه أن يبتعد عنها، فينصاع لأمرها حتى تغادر الغرفة وتعود لغرفتها وتغلق الباب بالمفتاح وتجلس أسفله واهنة تبكي، وكان على بعد أمتار من منزلها عمر بداخل سيارته يراقب منزلها وهو يقرأ ملفًا رسميًا كبيرًا يضم معلومات كثيرة عن أنس وعائلته.

***

«غريب يا زمن، يا زمان مالكش أمان»

كان صوت المطربة فايزة أحمد وهي تغني تلك الكلمات الشيء الوحيد التي تريد أن تسمعه هِيلِين وهي واضعة السماعات على أذنيها وتمسك بقلم وترسم لوحة لا تنتهي إلا بنفاد الحبر بداخل القلم أو أن تُفصل عن حالة الشرود المسيطرة عليها منذ أن أتت للجريدة هذا الصباح، يقتلها الملل لا يوجد أمامها شيء يدفعها للسعادة أو الأمل حتى حبيبها المجهول انقطعت رسائله لليوم الثالث على التوالي، تتفاجأ بيدٍ تلوح أمام عينيها، فتلتفت لصاحبها لتجده أنس، فتنزع السماعات من أذنيها حتى تسمعه وهو يقول:

- لقد ناديت عليكِ عدة مرات ولكني لم الاحظ أنك واضعة سماعات الأذن إلا الآن.

- آسفة لم ألاحظك، خيرًا أكنت تريد شيئًا مني؟

لاحظ أنس جدية هِيلِين في الحديث معه؛ فأجابها بجدية هو الآخر:

- لا ولا يهمك، يوجد أمور جديدة في قضية رؤوف ويجب أن تسمعيها.

تعود بمقعدها قليلًا تاركة أنس خلفها، ولكنها تجده يمسك مقعدها

ويجذبها نحوه قائلًا:

- لا، يجب أن تسمعيني وللآخر بعد إذنك، من أجلي.

- سوف أنصت لك، ولكن لست مجبرة على التعليق.

يبدأ أنس في سرد ما حدث معه منذ أن دخل في الجلسة وحالة الاختناق التي انتابته، ووجوده في غرفة نوم رؤوف وما اكتشفه من سر غضب رؤوف بعدما اكتشف أن زوجته تتابع حساب عمر الشخصي على موقع الفيس بوك، وأضاف أن من ملاحظته لرد فعل رؤوف لم يكن مفاجأة بالتأكيد كانت نتيجةً لشكوك تسبق تلك الواقعة، يحكي وبدأت ملامح هِيلِين تعلن عن الكثير من الضيق والغضب حتى تقاطعه وتقول له:

- كفى، فهمت، عمر كان يخون رؤوف ولذلك قتل زوجته.. تمام.

يفاجئها أنس مبتسمًا ويقول بثقة وهو يسحب مقعد بجانبها ويجلس قائلًا:

- أنتِ لم تعرفي بعد ما حدث في جلسة الإسقاط النجمي الثانية.

- ثانية؟ أنتِ قمت بجلستين؟

- نعم، كان يجب أن أضغط على نفسي للبحث عن الحقيقة.

تنظر له باستخفاف بما قاله وتجيبه بسخرية:

- الحقيقة! كم هذا شاق عليك، أكمل أكمل.

- دخلت جلستي الرابعة بعد الكثير من المحاولات الفاشلة وتكررت البداية مثل كل جلسة حتى وصلت للمِرآة، وظهر الشخص شبه الملثم وظهر فمه تلك المرة زيادة عن عينيه وأنفه، واستطعت أن أرى حركة شفاه وهو يرفض طلبي على مقابلة روح رؤوف، ومرة واحدة انفجرت المِرآة أمامي ليعبر منها شلال ماء ملأ الغرفة وأغرقني فيه، ولكن كان للماء لون ورائحة وملمس لزج لن تتخيلي ما كان؟ كان حساء دجاج!

هنا تخرج من صمتها وتنفجر بالضحك وتنكشف أساريرها، وهي تقول له:

- هل كنت جائعًا بهذا الشكل؟

ألهبت ضحكتها حماسه أكثر فأكمل:

- اضحكي اضحكي، المشكلة ما حدث بعد ذلك وجدتني أطفوا في حلة صغيرة ورأس رؤوف تنظر لي بوجه شاحب ومتوتر، وفي يده قنينة صغيرة بها سائل أحمر تردد في أفراغه عدة مرات حتى سكبه كله في النهاية، قدَّم طبقين لشروق وعمر الجالسين على الطاولة ينتظرانه، وتحجج بأنه نباتي ولا تناسب تلك الأكلة نظامه الغذائي في تلك الفترة، كانت عين رؤوف تراقب عمر عن كثب، وقبل أن تصل الملعقة لشفاه عمر، صرخ فيه وأخذ الطبقين وأبلغهما أن تذكر أنه وضع السكر بدلًا من الملح، ثم سكب ما في الحلة بالحوض وسمعت وهو يهمس «تستحقان أكثر من السم» لم أستطع تحمل ضغط الماء وابتلعت منها الكثير، حاولت المقاومة حتى خرجت في النهاية من التجربة وأنا أفرغت كل ما في بطني، وبسبب ذلك حلقي جاف حتى الآن.

تصدمه فرحة هيلين التي أنارت وجهها وهي تقول له بعد كل ذلك:

- يعني هذا أن عمر كان صادقًا بعض الشيء في حديثه عن صداقته الوتيدة برؤوف.

ينظر لها أنس نظرة يملؤها الاستياء الشديد، والذي امتدَّ لساعات حتى بعد أن أنهى جلسته الطويلة مع عم أمين وهو يدوِّن له كتابه، وقد لاحظ عم أمين تغيره فحاول معه مرارًا وتكرارًا أن يعرف ما به فما كان أمامه سوى أن يتحجج بأنه يريد أن يستريح ويأخذ قسطًا كبيرًا من النوم، لم يلح عليه أكثر من ذلك وتركه ينصرف برغم أنه غير مقتنع بما قاله، ولكنه أراد أن يبث فيه روح الأمل فقال له قبل أن يتركه:

- ليس من حقي أن ألوم النيران لأنها تحرق ما حولها فلولا ذلك لن تحيا، هكذا بعض البشر يعيشون على التهام الأمل في قلوب من حولهم،

فتجنبهم قدر المستطاع ولا تكن وليمة النيران القادمة، أنت لست وليمة لأحد، ثق بنفسك.

قبَّل أنس يده وجبينه وهو يرسم ابتسامة صغيرة قبل أن يصل لشقته كانت تلاشت، دخل غرفته وألقى بجسده على الفراش مسترخيًا متأملًا ما حوله، لا يشغله إلا التفكير فيها فبرغم حجم المعلومات التي يعلمها من خلال شبكته المقرصنة إلا أن عالم هِيلِين الإلكتروني هو الوحيد الذي لم يستطع اختراقه وذلك لعدم وجوده من الأساس فهي غير معترفة بهذا التقدم التكنولوجي وتميل لطرق التواصل القديمة، ليس لديها أي حساب على أي موقع تواصل اجتماعي، فبالرغم من إمكانياته في اختراق الحسابات إلا أنها ليست لها قيمة معها، لا يستطيع حتى أن يتأمل صورة لها.

قام أنس من صمته وقرر أن يقوم بجلسته الخامسة للإسقاط النجمي هي من سوف تنقذه من تلك الحالة، يقوم باستعداداته المعتادة ويدخل في أعماق الجلسة حتى يصل لغرفته البيضاء أمام المِرآة منتظرًا ظهور الشخص المجهول بها وبالفعل يبدأ في الظهور، وكالمعتاد يظهر به شيء جديد وتكون تلك المرة كفيه بعد العينين والأنف والفم وقبلهم صوته ويبدأ المجهول كلامه:

- سبع معالق سكر سقطوا في الوعاء، الخامسة ذابت باقي اثنتين، أرجوك لا تطلب مني أن تقابل روح رؤوف، ولكن أعدك أنك اقتربت من ذلك.

يشعر أنس بغرابة تلك الجملة هذه المرة؛ فكل مرة تتغير وتتشكل والتي بالتأكيد لها مغزى، ولكن لم يفهمه بعد، فيعبر عما يخطر في عقله من توجس قائلًا:

- رغم استغرابي من حديثك تلك المرة، لكن هناك شيئًا أهم لدي ولا يخص رؤوف، وأعلم أن الإسقاط النجمي يساعد فيما أريد، وأريد منك مساعدتي.

- لا يخص رؤوف فمن يا ترى؟ ماذا تريد بالضبط؟

يبتلع أنس ريقه وينظر له في تحدٍّ ويقول:

- أريدك أن تنقل روحي في زيارة لغرفة هِيلِين.

يسكت قليلًا الشخص الملثم بالعتمة، وتداعب يده أسفل ذقنه المعتم ثم يقول له:

- رغم أنه بعيدٌ عما كان مرتبًا له، لكنه يحقق نفس الغاية، سوف أنفذه ولكن بشرط...

- رغم جهلي بماذا تقصد، ولكن يكفيني أنك وافقت، ما هو؟

يشير الملثم بسبابته محذرًا وهو يقول:

- أنا المتحكم في المدة الزمنية للزيارة، موافق؟

- موافق جدًا، تحت أمرك.

يقف أنس منتصبًا في استعداد لتنفيذ ما طلبه حتى تحدّث الملثم وأمره بحدة:

- أغمض عينيك، وركز في صورة هِيلِين بخيالك جيدًا، وعندما تشعر بأنها قريبة منك، مد يدك في المِرآة.

أغمَض أنس عينيه كما طلب منه، ركز في صورة هِيلِين حتى شعر بأنه يستنشق رائحة عطرها فمد يديه بالمِرآة وشعر وكأنه يضع يديه في حوض ماء فشعر ببرودها على مسام جلده ثم أحس بمن يمسك يده ويجذبه للداخل حاول أن يفتح عينه لكنه لم يستطع، وتقدّم عدة خطوات برغم إدراكه بوجود حائط أمامه، ولكنه لم يشعر أن هناك شيئًا يمنعه عن السير أو يعيق خطواته، أقدامه تشعر بملامسة الأرض، وهو مستسلم لليد التي تجذبه للأمام، حتى شعر بأنها أفلتت يده، سمع صوت المجهول يقول له:

- افتح عينك ولا تحاول أن تغادر الغرفة، والوقت كما اتفقنا

يفتح أنس عينيه ليجد نفسه في غرفة نوم غريبة لم يرَها من قبل أمامه، فِراش ينام عليه أحد وعلى يمينه باب الغرفة وعلى يساره مكتب ونافذة وخلفه مِرآة التجميل الذي بالتأكيد خرج منها، ولكن مع ملاحظته بما حوله أيقن أنه بغرفة هَيلَين، فهي نائمة أمامه يتقدم نحوها، لم يكن يعرف معنى كلمة الملاك النائم إلا تلك اللحظة، الوجه الذي يشع جمال وصفاء، جفون نائمة وسعيدة بما تحرسه، صوت أنفاسها الناعمة، مدَّ يده قليلًا وحاول لمس خصلات شعرها، وبالفعل شعر بها واستطاع أن يمسك البعض منه ودنا منه واستنشق الرحيق به وهو مغمض العينين، كم عَشق تلك الرائحة فهي رائحة عطرها الذي يعشقه، وعندما نزل بعينه على يديها الناعمتين ليجدها تحتضن ورقة، زاد فضوله لمعرفة ما سر تلك الورقة لكي تحتضنها بهذا الشكل، مدَّ يده وحاول جذب تلك الورقة بحرص حتى لا تستيقظ من نومها، أنفاسه تزداد سرعتها وهو يسحبها من يدها وهي قابضة عليها بشكل مُحكم، حاول معها حتى فلتت من يديها، وأخذها بعيدًا حتى يستطيع أن يفتحها دون أن يزعجها، وعندما فتحها قرأ ما فيها وكان:

«رسالة إلى مستقبلي المجهول

.... بعد التحية

لم أعد مستعدة أو مشتاقة للقائك، أصبحت لا تعني لدي سوى عقارب ساعة سوف تمر قريبًا كما مرت من قبل، السعادة والأمل والطموح كانوا بالنسبة لي عابري سبيل في حياتي الماضية، أظن أنهم قد وجدوا سبيلهم، والذي بالتأكيد غير سبيلي، أما عن الحب فأنا أعلنها أمامك لقد مات بالنسبة لي من جنس الأحياء من أبناء آدم، لم يكونوا ولن يكونوا هم سفراء الحب في حياتي، سأظل أنثى أعتز بكوني من بنات حواء، ولكن حواء التي كرهت آدم، لا تطيق أن يكون له أي مساحة في حياتها، فالحب هو خدعة أتقنها الخسيس ابن ادم على البلهاء ابنة حواء، ولقد تعافيت من

بلاهتي والحمد لله، فاعذرني يا مستقبلي المجهول ولا تنزعج مني عندما تراني، فهذه حياتي وأتمنى أن تتعايش معها إذا استطعت.

وشكرًا

هيلين»

لم يصدق ما قرأه، هل وصلت بها الحالة إلى ذلك!! أصبحت لا تحب أحدًا، أغلقت أبواب قلبها واتخذت القرار بذلك، ويحدث ذلك بعد أن أصبحت له كل شيء، حتى إنه لم يأخذ فرصته في الإفصاح لها عن حبه، تم هدم كل شيء من قبل أن يبدأ، يقترب منها ويضع رسالتها بجانب يديها مرة أخرى، يمشي نحو مكتبها ليرى باقي الأوراق الموجودة والتي تخص رسائل عاشقها المجهول، وهو يتصفحها يلاحظ لوحة القبلة الأخيرة لروميو وجوليت المعلقة بجانب مكتبها والتي لم تكتمل بسبب نقص قطع البازل بها، حتى يتفاجأ بصوت خطوات بالقرب من باب غرفتها ويلاحظ أنها توقفت خلف الباب، يحاول من بالخارج أن يفتحه، ولكن لم يستطع وذلك لأنه مغلق من الداخل، يزداد عنفه وهو يحاول أن يفتحه، مما جعل غضبه على الباب سببًا لإيقاظ هِيلِين التي لم تلاحظ أو تلتفت لأنس الواقف خلفها عند المكتب، فلقد قامت مفزوعةً خائفةً تضم قدميها إلى صدرها وهي تنظر بخوف نحو الباب تراقب حركة المقبض وبدأ من خلفه يصيح:

- افتحي يا هِيلِين أريد أن أخبرك بشيء مهم.

تنزل هِيلِين من على فِراشها وتتقدم نحو الباب بتوجس وخوف وهي تقول:

- لا أريد أن أسمع شيئًا يا ياسر، اتركني وارحل.

يحاول أنس أن يتقدم ليخبرها بتواجده وهو يشاهد محاولة ياسر بالخارج قد ازدادت عنفًا وأصبح يضرب بيده على الباب، ولكنه يتفاجأ بمن يسحبه من يده ويدخله للمرآة مرة أخرى، وهو يحاول أن يفلت من تلك القبضة، ولكنه كان أضعف منها حتى يتفاجأ بسقوطه بداخل غرفته

البيضاء مرة أخرى، فيقوم غاضبًا وهو يصيح:

- لماذا عدت بي، كان يجب أن أساعدها.

تميل سبابة يدي المجهول يمينًا ويسارًا عدة مرات وهو يصدر صوت طقطقة منتظمة وسريعة بعض الشيء من فمه قائلًا بكل هدوء:

- ليس من حقك أن تعترض، هذا كان شرطي وقد وافقت.

يحاول أنس أن يمد يده بداخل المِرآة حتى يلكمها من شدة غضبه كما دخل من خلالها من قبل لكنه يتفاجأ بأن قبضته سكنت فيها وكسرتها فيستيقظ من نومه ليجد يده تنزف بالفعل، يذهب لهاتفه دون أن يفكر في معالجة يده ليرى أنه قد استغرق في تلك الجلسة 15 دقيقة فقط بعكس جلسته الرابعة التي استغرقت نصف ساعة، يبحث عن رقم هِيلِين ويتصل بها ليكلمها ويطمئن عليها، هل ما شاهده حقيقة أم خيال؟

يرن جرس الهاتف بغرفة هِيلِين يجعل ياسر يتوقف عن صياحه ومحاولته لاقتحامها، تلاحظ هِيلِين رد فعل ياسر من رنين الهاتف وخوفه أن يفضح أمره، فتجري هِيلِين على هاتفها وكأنه طوق النجاة لها وترد على أنس وكأنها تصرخ من الخوف، ولكنها تحاول ألا يتضح ذلك من صوتها المتردد:

- ألو كيف حالك يا أنس؟

- ألو، هل أنتِ بخير؟

تقترب من باب غرفتها وهي ممسكة بهاتفها وترفع من صوتها حتى يسمعها بوضوح ياسر:

- نعم أنا بخير، اتصلت في الوقت الجيد لقد كنت أود أن أتحدث مع أحد فلقد هاجمني كابوس غريب، خنزير بري قذر يحاول اقتحام غرفتي تخيل كم هذا بشع، هل من الممكن أن تهاتفني وتترك الهاتف بجانبك مفتوحًا حتى إذا حدث شيء أطلب منك المساعدة سريعًا، هل ستوافق على هذا

الطلب الغريب؟

يغمض أنس عينيه ويجيبها قائلًا:

- بكل سرور، تحت أمرك.

يفهم أنس أنها تريد أن تُسمع ياسر الذي بالخارج أن هناك من سيظل معها على الهاتف حتى الصباح، ولكنه لم يفهم لماذا؟ لماذا لا تفضح ياسر زوج أختها؟ كيف تسكت على هذا؟ يرن هاتفه، ويفتح المكالمة ويخبرها أنه تحت أمرها في أي وقت فهو سهران فلا تقلق من شيء، فتنجح محاولة هيلين وبالفعل يبتعد ياسر عن غرفتها وتمسك هاتفها وتضعه بجانبها على الفِراش وعيناها على الباب، تسمع أنفاس أنس وتطمئن أن هناك من يشاركها تلك اللحظات الصعبة، وهو الآخر فتح مكبر الصوت بهاتفه ليستمتع بصوت أنفاسها وقد قرَّر ألا ينام، وكيف يفقد تلك اللحظات وصوت أنفاسها يملأ غرفته فيزيد حرارة الغرفة دفئًا.

***

مر أكثر من عشرة أيام؛ كان المسيطر الأكبر عليها هو الصمت، الصمت الذي تملك هيلين طول تلك الفترة تتقمص حالة الثبات المزيفة، لا تتحدث مع أحد؛ تأتي الجريدة متأخرة وتنصرف قبل موعد الانصراف ويحتل الحزن ملامح وجهها ويستوطنه، لا ترد على الهاتف، لا تتحدث مع أحد؛ وهذا ما جعل أنس يستسلم هو أيضًا للصمت، أصبح المتابع الأول والوحيد لصمتها، لا يعرف ماذا يقول، هل يقول لها إنه يعرف بمضايقات زوج أختها؟ هل يعترف بأنه استغل الإسقاط النجمي كي يقتحم خصوصيتها؟ يعترف لها أنه يعلم بأنها قد يئست من علاقتها بمن حولها! فقدت الأمان والطمأنينة وفقدَ هو أيضًا حماسه في قضية رؤوف؛ كان الحافظ الوحيد هو قربها منه، فعندما ابتعدت ابتعدَ كلّ شيء، كانت عشرة أيام ليس بها أي شيء من قريب أو بعيد عن الحياة.

تنتهي هيلين من يومها الرتيب وتحضر حقيبتها وتنصرف دون أن تنظر لأحدٍ أو تتكلم مع أحد كعادتها في الفترة الأخيرة، تركب سيارتها ولن

تذهب اليوم لمسكنها الجديد المفروش الذي أجرته بعد ليلة محاولة اقتحام ياسر لغرفتها، محاولة منها بأن تستريح من تلك المضايقات التي تخطت كل الحدود، وكانت تزور أختها ريهام كل يوم بعد انصراف ياسر صباحًا لتطبخ لها الطعام كعادتها وترعها، وكان هذا سبب تأخرها عن عملها بالجريدة وتخرج منها قبل موعد الانصراف حتى تعطي الدواء لأختها قبل أن يعود ياسر من المصنع، ولكن اليوم لن تذهب لريهام لأنها علمت منها أن ياسر سيعود مبكرًا ويحتفل معها بعيد زواجهما الخامس وقد قامت بطبخ الطعام احتياطيًا؛ فإنها تعلم أن ياسر لا يُعتمد عليه وليس دائمًا صادقًا بوعوده.

تتحرك بسيارتها التي بها لوحة القُبلة الأخيرة التي أخذتها معها صباح اليوم لتضعها بمسكنها الجديد، وبجانبها صندوق به جميع الرسائل الباقية من عاشقها المجهول التي وجدتهم أثناء خروجها من المنزل بعد الاطمئنان على ريهام، وهي في طريقها للسيارة قد تفاجأت بصندوق البريد أصبح يزدحم بهم، أخذتهم جميعًا ولم تفتح أيّ واحد منها كعادتها أو أن تستقبلهم بالسعادة مثل كل مرة، حملتهم ووضعتهم خلفها بالسيارة بجوار اللوحة، وهذا ما جعلها تحدد خط سيرها لمنزل أنس ولكنها ليست آتية لأنس، إنها آتية لعم أمين من أجل إجابة على سؤال في قلبها تريد أن تعرف إجابته منه.

تطرق الباب وتنتظر حتى تسمع بعد لحظات صوت عم أمين قادمًا من بعيد وهو يسأل عن الطارق بحدة، وما إن يعرف أنها فيهلل بالترحاب، حتى يفتح الباب وهو مبتسم ويقول:

- أنرتِ قلعتي يا ست الحسن.

أشرقت ملامح وجهها بابتسامة فتضحك لمزحة عم أمين في استقبالها، فتدخل وتبدأ في الحديث بطريقة مباشرة؛ فلقد جاءت لتلقي بحمولة أثقالها لكي تستريح قليلًا:

- أعلم أنك تسغرب زيارتي المفاجئة لك، ولكني أبحث عن إجابة لسؤال

وأتمنى أن أعثر على إجابته منك.

- رغم أني لا أفهم شيئًا، ولكني سوف أجتهد في الإجابة.

تبلع ريقها وتقول بقليل من التردُد:

- أريدك أن تكمل لي قصة حياتك، فمنها سوف أبدأ سؤالي.

يبتسم مستغربًا:

- ألهذا الحد هي شيقة؟ كما تريدين يا ست الحسن، وأين وصلتِ فيها؟

- عندما وصلت لمعسكر عتليت الإسرائيلي.

يومئ رأسه بعدما شاهد بريق الحماس في عينها وبدأ يكمل قصته قائلًا:

- تمام، عندما دخلت رأيت انكسار زملائي من حولي لا يمكن أن ترى وجوههم بسبب نظرتهم الدائمة للأرض، وأنت كأسير لا يحق لك أن تحدث زميلك، سواء كان المنع من المحتل أو من كثرة الذل، وبدأوا باللعب بنا وتحطيم ما بقي من كرامة وأخبرونا أن جيشهم وصل للقاهرة وأن جيشنا استسلم، وتم احتجاز الرئيس عبد الناصر في قصره، كانوا يناوبون معنا التحقيق بشكل مستمر ومنفصل حتى أذاوقنا مرارة الهزيمة.

تنقبض ملامحه قليلًا وصمت برهة ثم أكمل:

- حاولوا إقناعي أن أتعاون معهم وأخبروني أني أصبحت للجيش ولأهلي متوفيًا، كانت جملة أننا محسوبون من الأموات تشعرك كأنك ريشة غارقة في عاصفة ترابية لا تطول أن تعود لجناح طائرها ولا تستطيع أن تلمس الأرض، وبالطبع رفضت التعاون، وبدأت مرحلة جديدة من التعذيب والإهانة.

تنير في عينيه لمعة تلاحظها هِيلِين جيدًا ويردف:

- حتى تمت أول اتفاقية لتبادل الأسرى وعدت إلى مصر، على ثلاث مراحل من القهر، المرحلة الأولى عندما استلمني الجيش المصري، وكان

إحساسي حينها صعب الوصف، كنت كأني طفل صغير تبول على نفسه وهو يقف أمام والديه، كنت أرى نظرة الضابط الجارحة لي وأنا أريد أن أصرخ وأقول له لم تكن غلطتي أقسم لك لم تكن غلطتي، نحن جيش قوي يا حضرة الضابط، لقد انكسر ظهري مثلكم تمامًا، كنت أريد أن أقول الكثير ولكن لساني تحجر، استلمت منه ورقة أني غير مسموح لي بالرجوع للجيش الآن لأني كنت أسير وغير صالح نفسيًا لذلك، وسوف أعوّض بمكافأة مالية ووظيفة حكومية.

يبتسم ابتسامة صغيرة ساخرة ويزفر زفرة بحسرة ثم يكمل:

- المرحلة الثانية عندما عدت للبلد، ولقد وجدتها تشبه عتليت فعلًا، معسكر اعتقال كبير يحتوى على الملايين من المنكسرين كالأسرى، الشعب كله أصبح أسير الهزيمة، رأيت كسرة عين والدي وكأني من جلبت لهم العار، دموع والدتي عندما رأتني زجعث لها كانت أكثر عما أخبروها بشهادتي.

هنا تهرب دمعة من عينه فيسرع بيديه ويزيحها من على وجنته المشققة ثم يردف حديثه:

- والمرحلة الثالثة كانت لخطيبتي من كانت حلم عمري منذ طفولتي، عُدت لأتفاجأ بأنها تزوجت وغادرت لبلد آخرى، وأنا لا ألومها على شيء، ماذا كان بيديها أن تفعل بعد أن علمت بوفاتي في الحرب، كان يجب أن تكمل حياتها تبحث عن الراحة والسعادة، فيجب علينا أن نحترم الراحلين في صمت، برغم صدمة الرحيل فهم جعلوا الذكريات الجميلة تعيش، بعكس من يجهر برحيله أمامك فهو يقتل الذكريات الجميلة وتعيش في صدمة الفراق للأبد.

ينظر لأعلى ليهرب من عين هيلين ويضم شفتيه التي ارتعشت وهي تحاول أن تمنع لحظة انفجار بكائه وتنجح قليلًا بعد عدة محاولات ويردف متعصرًا في حديثه:

- عُدت ولقد خسرت كل شيء بدون أي ذنب قد اقترفته، من كسرة

الهزيمة لذل الأسر لجيش أصبحت منبوذًا فيه لعار حملته لأهلي، لجرحي وضياع حب حياتي، كيف لواحد مثلي أن يحيا؟

لم تستطع أن تجيبه فظلت صامتة وعيناها تلمع دمعًا فيسبقها وكأنه لم يكن ينتظر منها ردًا من الأساس:

- سوف أخبرك كيف وأنا أثق في أنك لن تصدقي، استلمت العمل الحكومي وبدأت في رحلة طويلة للبحث عن حبيبتي في محافظات مصر، وأعثر عليها بعد عدة سنوات، وأنقل عملي لنفس البلد وأؤجر شقة قريبة منها. كان يكفيني أن أراها من بعيدٍ دون أن أؤذيها أو أؤذي أسرتها، حتى توفيت وهي في عمر صغير فأصبحت هي حبي الأول والأخير وفعلت ما هو أكثر من ذلك ولكني لا أستطيع البوح به الآن.

تزفر عين هِيلِين الكثير من الدموع وهي تسرع أن تلحقها بيديها وتقول له في حنان:

- ما أجملك يا عم أمين! ما أجمل شيء في الحب من وجهة نظرك؟

هنا يعود عم أمين بظهره قليلًا للخلف وتنير وجهه المبلل بالدموع ابتسامةً قائلًا:

- أجمل شيء في الحب «التضحية»، نحن بشر والبشر بعيد عن الكمال، كل واحد منا ينقصه شيء يجده في نصفه الآخر الذي يبحث عنه هو الآخر، وعندما تقابلينه وتحبينه لن تحبيه لأنه مخلوق كامل أو ملاك... لا سوف تحبيه لأنك تريه كاملًا وملاكًا، ضحيتِ بما ينقصه من أجل حبك كما هو ضحَّى بأشياء فيك لأنه يحبك، الحب بدون تضحية ليس حبًا بل ما يقرب من حالة إعجاب ومع أول خلاف يضيع، نصيحتي لكِ أحِبي من يضحي من أجلك فتضحين من أجله، التضحية من أجل الآخر هي شُريان الحُب، والأهم أن يكون شُريانًا لقلبٍ ما زال ينبض وإلا ستكون التضحية كقرابين تُقدَّم لإله زاهد، أتمنى أكون قد وفقت في إجابتي.

تبتسم وتقف وتقبِّل رأسه وتقول:

- وفقت جدًا جدًا، أشكرك بشدة، غدًا موعد مقابلتي مع شخص كنت أنتظر أن أراه منذ فترة طويلة، وكنت أريد أن آخذ قرارًا في الأمر، وأنت ساعدتني كثيرًا عليه.

تتركه وتنصرف وهو مستغرب مما قالته، أليس ما جاءت تسأل عنه هو أنس، من ذلك الشخص الآخر الذي تنتظر مقابلته منذ فترة وموعده غدًا؟ جلس حينها عم أمين حزينًا على أنس.

لم تستطع هيلين أن تنام ليلتها؛ ظلت تقرأ الرسائل المتأخرة عن موعدها رسالة تلو الأخرى، وتأخذ القطعة التي بها وتضعها في مكانها بلوحة القُبلة الأخيرة والتي لا ينقصها إلا قطعة واحدة، ستكون هي بطاقة التعريف للعاشق المجهول، هذا العاشق التي أخذت من أجله قرارًا أن تعطي لأبناء آدم الفرصة الأخيرة، فيمكن أن يكون هو منقذ أبناء آدم من صورتهم المشوهة عندها، كان لكلام عم أمين السر في تغيير الكثير من معالم الحب عندها، فهناك من ضحى بعدم كشف نفسه أمامها وأن يرسل لها مئة اعتراف بحبه ويرسل لها مع كل اعتراف قطعة لتكوّن لوحةً من أفضل لوحات الرومانسية على مر التاريخ، أليس يستحق هذا أن تعطيه فرصة؟

بدأت الشمس في الظهور لتعلن لهيلين عن بداية يومها المنتظر، ترتدي فستانها الأبيض المطرز بدرجات ألوان الأحمر الدافئة، كانت قد اشترته من قبل من أجل هذا اليوم، حاولت أن تقترب من ألوان فستان جوليت باللوحة، فهي أيضًا تنتظر روميو، تتزين بأدوات التجميل وكأنها أول مرة تستخدمهم، يغلبها التوتر وعدم الاقتناع بأي لمسة بسهولة، تتزين كملكة ذاهبة للتتويج.

تركب سيارتها وتذهب لمنزل أختها ريهام؛ فهو المكان الذي تعهد عاشقها المجهول بأنه سوف يقابلها فيه، تتحرك وهي سعيدة حتى تصل للبيت، تركن سيارتها، وتصل للباب وترن الجرس مرتين كعادتها إذا لم تسمع أحدًا قادمًا لفتح الباب فتخرج مفتاحها الشخصي وتفتحه، تلاحظ أن الصمت هو المخيّم على المكان بعد رنين الجرس فتمسك حقيبتها وتخرج مفتاح

البيت وتدخل وهي تنظر حولها فلا تجد أحدًا فتنادي على أختها ولكن لا يجيب أحد، فتذهب لتحمل الأطباق من على طاولة الطعام التي وجدت الأكل بها كما هو لم ينقص من الأطباق إلا القليل، ملعقتان أو ثلاث، تحمل طبقين وتتحرك للجانب الآخر من الطاولة لكي تحمل الباقي فتصرخ مما رأته ويسقط الطبقان من يديها وتجلس على الأرض من خوفها وهي تزحف للخلف وصراخها يزداد ويزداد، لقد رأت ريهام ملقاه على الأرض جثة صارخة عيناها بها جحوظ مرعب، أطرافها ملتوية على بعضها وينزل من فمها سائل رغوي أبيض يختبئ خلفه لسانها الهارب، وبجوارها ياسر مثلها تمامًا ولكنه راقد على ظهره ويداه تمسكان رقبته وكأنه كان يحاول أن يخنق نفسه.

أمام هذا المنظر تنهار من البكاء خائفة أن تقترب، تحاول أن تستجمع ما تبقى من قواها وتقف بأعجوبة وتذهب إلى الهاتف وتتصل بالشرطة التي أتعبتهم حتى استطاعت أن تملي عليهم ما حدث وأين عنوانها من التلعثم والرعشة اللذين سكنا فمها، وهي في آخر المكالمة تشعر بالدوار وتفقد الوعي.

تفتح هيلين عينيها لتجد نفسها بغرفة بيضاء يتضح من مكوناتها أنها بالمستشفى ويجلس بجانبها عم أمين وبجواره أنس، وعلى الجانب الآخر يقف عمر بجوار النافذة ينظر لها، لاحظوا أنها أفاقت من غيبوبتها فاقترب منها عمر وأنس ولكنها تسمع صوت عم أمين بجانبها قائلًا:

- حمد لله على السلامة يا بنتي.

ويسألها أنس بلهفة:

- كيف حالك الآن؟

ترد وكأنها لم تسمعهما:

- أين ريهام؟ لماذا لم تأتِ؟ إذا كانت تقف بالخارج أخبروها أن تأتي فأنا بحاجة لها.

ثم تنهار من البكاء ويتحرك أنس ليطلب قسم التمريض حتى يأتوا ليساعدوها، ويقترب منها عمر ويمسك يديها بيديه الاثنتين وهو يقول لها:

- بالله عليكِ لا تفعلي هذا، هذا قدر الله.

يدخل أنس مع الممرضة ويتفاجأ بعمر المُمسك بيد هَيلَين، فيتقدّم نحوه ويربت على كتفه بقليل من العنف وهو يقول:

- بعد إذنك الممرضة تريد أن تغير لها المحلول.

يلتفت له عمر بغضب ولكن سرعان ما يلاحظ عم أمين ما يحدث ويتوقع الأسوأ، وهذا ما يدفعه بأن يقول لهما:

- من الأفضل أن نتركها تستريح، والحمد لله أننا اطمئننا عليها.

يقف عم أمين بمساعدة عكازه ثم ينظر لهَيلَين ويقول لها بحنان:

- ألف سلامة عليكِ يا بنتي والحمد لله أنك بخير الآن، ولا تنسي أننا جميعًا أمانة في الدنيا يستردها الخالق وقتما يشاء، وحدي الله، «قل لن يصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا» صدق الله العظيم.

يقول عم أمين تلك الكلمات بعد أن يقبل رأس هِيلِين التي لا تجيب على أحد ويخرج أمامه أنس وعمر وهما يلتفتان نحوها كل الخطوة والأخرى حتى خرجوا جميعًا من الغرفة، وأنس يمسك عم أمين ليستريح قليلًا بالخارج وينظر لعمر الذي يرشقه أيضًا بنظرات الكُره حتى تفاجأوا جميعًا بحضور الطبيب ومعه ضابط واثنان من رجال الشرطة فيوقفهما عمر ويسلم على الضابط ويخبره أنه على معرفة شخصية بهَيلَين، أثناء ذلك يترك أنس عم أمين ويتقدّم نحو الضابط الذي يتحدث مع عمر ويسمعه أنس وهو يقول:

- يا عمر باشا، يجب أن نحقق معها، فلقد أخبرني الطبيب أنها أفاقت وأنا منتظرها منذ ساعتين.

- آسف يا طارق باشا فهَيلَين أنا أعرفها جيدًا، أنا خرجت من عندها الآن

وهي فعلًا فاقت ولكن غير واعية بالشكل الكامل، صدقني أنا مثلك يهمني معرفة ما حدث ولكن للأسف لن يجدي معها الحديث الآن، اصبر عليها تخرج من أثر الصدمة للواقع، وفي الأول والآخر القرار قرارك.

ينظر الضابط طارق لعمر وحاجبه الأيمن مرتفع لأعلى قليلًا ويضم شفتيه ثم يردف قائلًا وهو يومئ إيجابًا برأسه:

- موافق سوف أؤجل التحقيق للغد من أجلك فقط، لكني سوف أترك عسكري على باب غرفتها.

يقاطعهما أنس بغضب:

- هي ليست متهمة كي تعاملوها بهذا الشكل.

ينفعل الضابط طارق عليه، ولكن يمنعه عمر وهو ممسك بأنس ويقول له بصوت خافت محذرًا:

- أنا لا أطيقك ومن الممكن أجعله يسجنك الآن فأنا أعرفه جيدًا، لكن من أجل المسكينة التي بداخل سوف أتركك، وما لا تعلمه أن هِيلِين متهمة، بل المتهمة الأولى يا غبي فهل تصمت الآن؟

***

تجلس هِيلِين على فراشها الصحي وبجوارها الضابط طارق وبجانبه أمين شرطة يكتب على ملف من الأوراق، تلتفت لضابط المباحث وهو يقول:

- أستاذة هِيلِين سوف نبدأ التحقيق معك الأن، وما أريده منك التركيز الجيد في الاجابة حتى نستطيع أن نساعدك، تمام؟

تومئ هِيلِين رأسها بالموافقة فبدأ بسؤالها التعريفي عنها ثم باغتها بسؤاله:

- ما علاقتك بالمجني عليهما؟

تصمت لحظات بعد سماع اسم ريهام وتصارع كي تكمل حديثها قائلة:

- ريهام أختي الوحيدة وياسر زوجها وابن عمنا حسين.

- لقد ذكرتي أن عنوانك هو سكنك الحالي، فأين كنتِ تسكنين قبل ذلك، ومتى انتقلتِ منه؟

- كنت أقيم مع أختي ريهام لأنه في الأساس منزل والدنا، ونقلت منه منذ أسبوعين.

- وما كان السبب؟

تصمت هيلين قليلًا ثم تقول:

- أردت أن أستقل بحياتي، وأتركهما بحريتهما.

يراقب الضابط طارق تغيُر انفعالاتها في السؤالين الأخيرين فيكمل سائلًا:

- ألم تري أن قرارك هذا جاء متأخرًا بعض الشيء، فهما متزوجان منذ عدة سنوات؟ فلماذا الآن بالتحديد؟

- عندما شعرت أنهما يحتاجان لحرية أكثر اتخذت قراري.

يهدئ نبرة صوته لتكون أقل حدة لما لاحظه من حدتها السابقة:

- أفهم من ذلك أن السبب ليس خلافًا بينك وبين أختك أو بين ياسر؟

أجابت بحدة وعنف:

- بالطبع لا، هذه أختي الوحيدة، وأنا عندما انتقلت لسكني الجديد لم أقطع معها بل بالعكس كنت أزورها صباحًا لتحضير الطعام ومساءً لإعطائها الدواء فلقد كانت أختي مريضة وتحتاج المساعدة بين الحين والآخر.

يومئ برأسه متفهمًا ثم يسألها في هدوء أكثر:

- وبالنسبة لياسر؟

تتوتر هيلين كثيرًا قبل أن تجيبه فتصمت لحظات وقالت بشيء من

الثقة:

- لا.

نظر لها بدهشة مستنكرًا إجابتها فباغتها بسؤاله بنبرة حادة مفاجئة لها:

- لكن أقوال أسمهان عبد الحميد الشهيرة بـ «أس» السكرتيرة قالت إنه منذ أقل من شهر جئتِ إلى مكتبه وتشاجرت معه وكانت مشاجرة كبيرة ونعتِه بقولك «أنت حيوان وتستحق الموت» ثم ألقيتِ عليه مرمدة زجاجية أصابته بجرح بسيط في رأسه، وتلك الواقعة أثبتها عدة شهود بالمصنع، فما هو ردك على هذا؟

تشعر هيلين بأن موقفها أصبح سيئًا ويجب أن تقلل من المرواغة، فتقرر أن تقول شيئًا من الحقيقة:

- كاذبة بالطبع، لأني قُلت هذا عندما دخلت عليهما المكتب وكانا في وضع مخل، وردًا لكرامة أختي ألقيت عليه ما كان أمامي، أما عن عبارتي تلك أنا لا أذكر العبارة نصًا ولكني متأكدة أنني لم أقل «وتستحق الموت» هذا ليس من أسلوبي.

- وما الذي جعلك تخافين أن تفصحي بتلك المشاجرة؟

- لم أرغب في أن تلوث سمعة أختي بسبب خيانة زوجها لها، ريهام لا تستحق هذا وبرغم ذلك فأنا أيضًا لم أخبرها في حياتها بشيء عن هذا خوفًا على حالتها الصحية وما آلت له من تدهور ولم أكن أعلم أن من الممكن أن تفيد أقوالي تلك القضية، أنا آسفة.

ومن الخارج يجلس أنس في الممر واضعًا السماعات بأذنه ينصت لما يدور بالداخل من خلال قرصنة هاتف أعطاه لهيلين خلسة صباحًا قبل التحقيق بديلًا عن هاتفها المتحفظ عليه لدى الشرطة، وهو الآن ينصت لحديثهما مستغربًا ومحدثًا نفسه:

- لماذا تدافع عن هذا الشخص الحيوان، بعد أن شاهده وهو يحاول أن يقتحم عليها غرفتها وبعد إضافتها لقذارته مع سكرتيرته، لماذا تدافع عنه؟ لماذا؟

هنا يشير الضابط للكاتب بجانبه أن يتوقف عن التدوين ثم يقول لها محذرًا:

- أتمنى يا أستاذة ألا تخفي عني شيئًا آخر مهما كان صغيرًا بالنسبة لكِ.

تومئ برأسها إيجابًا فيشير للكاتب بجانبه أن يكمل ثم يقول:

- لقد أدليتِ الآن بقولك أنك منذ تغير مسكنك وأنت تذهبين لريهام مرتين يوميًا، هل يمكن أن تخبرينا بآخر زيارة لكِ قبل الحادث؟

تغمض هيلين عينيها فتكرار اسم ريهام في أذنيها يقتلها بعدد حروفه، فتزفر زفرة طويلة ثم تفتح عينيها مرة أخرى وتجيب قائلة:

- عندما ذهبت لها صباحًا كانت مستيقظة باكرًا، وهذا كان غريبًا بالنسبة لي لأني كنت دائمًا أجدها نائمة، كانت تقف أمام خزانة ملابسها تنظر لفساتينها، وعندما سألتها عن سبب التغيير الملحوظ هذا أخبرتني أن اليوم هو عيد زواجها الخامس وقد وعدها ياسر أنه سوف يعود باكرًا من العمل كي يحتفل معها، وهذا ما جعلني أحضر لهما الغداء كما طلبته هي مني وغادرت، وبالطبع لم أعد لها بالليل كي أتركهما بحرية في تلك الليلة.

- وبالنسبة للدواء أنتِ من كنت تعطينه لها؟

تجيبه بثقة وهي تومأ برأسها:

- نعم في الفترة الأخيرة لأنها أحيانًا كثيرًا تنساه أو تكون نائمة.

يحك الضابط طارق أسفل ذقنه بيده ثم يردف قائلًا:

- مع التحقيق مع زميلة ريهام والتي تدعى ملك فتحي، أخبرتنا أن منذ حوالي شهر وبالتحديد يوم مشاجرتك مع ياسر بالمصنع، كانت هي تمر على ريهام كي توصلها في طريقها للعمل وعندما صعدت وجدت ريهام

نائمة على الأرض في أرضية الحمّام، فهاتفتك كي تأتي وتساعديها، انتظرتك وعندما وصلتِ أمسكت الدواء التي تعودت أن تراه مع ريهام، لتفاجئيها بقولك أن هناك دواء أفضل، وبالفعل أعطيته لها وعندما حاولت المناقشة معك غضبت منها وطردتِها.

كانت لتلك الكلمات واقع الصدمة على هِيلِين فتتفاجأ بأقوال مَلك غير الصحيحة، فتحاول أن تنفي ما قالته ولكنها يخونها تركيزها فتنتطق بتلعثم وغضب:

- هذا الحديث بعيد عن الصحة تمامًا، لا أنكر حدوث تلك الواقعة فلقد كانت ريهام في حالة انهيار بعدما اكتشفت أنها غير حامل وذلك بسبب حالتها النفسية السيئة الناتج عن فقدان ابنها الوحيد ومن بعده رحمها، فكانت تتوهم أنها حامل كل الحين والآخر وفعلًا مَلَك هاتفتني وجئت لها بأقصى سرعة ووجدت ريهام مفترشة أرضية الحمّام، حملتها وعدت بها لفراشها.

تعدل من جلستها قليلًا بعد أن زاد توترها وفضحها احمرار وجهها من الغضب وتردف قائلة:

- أما الجزء غير الصحيح من حديثها أني عندما حاولت أن أعطي لريهام دواءها المعتادة عليه فوجئت أنه تغير فظننت حينها أن تغير بأمر الطبيب بسبب سوء حالتها المتصاعد، حتى إني سألت ريهام عنه وأخبرتني أنها مرتاحة معه، أما عن واقعة أني طردتها من المنزل فهذا كذب، ولا أعرف لماذا قالت ذلك؟

تزداد عصبية هِيلِين في نهاية حديثها فيمسك الضابط بملف معه وهو يقول:

- تقرير الطب الشرعي المبدئي أوضح أن الدواء الذي كنتِ تعطينه لأختك هو عقار «زاناكس» وهو من العقاقير المحظورة لأنه يزيد من المزاج الاكتئابي والسلوك غير السوي والهلوسة ومن الممكن أن يدفع للانتحار.

يحتل الصمت المكان ويظهر عليها الدهشة وعدم استيعاب ما سمعته أو محاولة لعدم تصديقه، ظلت هكذا حتى سمع طرق على الباب ليدخل عسكري وفي يده ورق يسلمه للضابط الذي يقرأه وهو يميل رأسه وكأنه قرأ شيئًا توقعه، ثم نظر لها التي ما زالت متفاجئة مستنكرة لا تنطق بكلمة وقال وهو يرفع الورق أمام وجهه في اتجاه هَيلِين:

- ها هو يا أستاذة تقرير الطب الشرعي فيما يخص تشريح الجثة، لقد أمرتهم أن يحضروه لي أينما أكون، والتقرير ينص أن: «سبب وفاة كلٍ من ياسر حسين الأشقر وريهام عابدين الأشقر جاء بسبب حالة تسمم حادة باستخدام مادة «الديجوكسين» السامة في وجبة المكرونة المُعدة والتي كان من تأثيرها أنها تزيد من ضربات عضلة القلب بشكل تصاعدي سريع مما يؤدي لعدة تشنجات عضلية قوية وسريعة لم يتحملها قلب المجني عليهما فتوفيا إثر ذلك.» الطعام الذي اعترفتِ أنك أعددته بنفسك، تسمحين لي بسؤال أخير؟

تومئ هِيلِين برأسها دون أن تنطق حرفًا، فيكمل:

- منذ أكثر من خمس سنوات هل كنتِ تتلقين العلاج في مصحة نفسية من الاكتئاب الحاد؟

تتسع عين هِيلِين وتتصلب ملامحها وهي تومئ بنعم، فينهض الضابط طارق من جلسته وهو يقول محتدمًا:

- تمام هذا يكفي، أظن صحتك أصبحت أفضل اليوم.

نهض من جلسته وتوجه نحو الباب وفتحه ثم أمر العسكري:

- اطلب من الطبيب كتابة إذن بخروج المتهمة، فهي في ضيافتنا من اليوم.

تنظر هِيلِين في ذهول لما تسمعه وتنتقل بنظراتها لأنس وعمر اللذين دخلا من الخارج لا يعرفان ماذا يفعلان أو كيف يستوعبان ما سمعاه.

الفصل السابع

ينزل عمر من على درج مديرية أمن الجيزة ويفكر فيما حدث مع هِيلِين في التحقيق الثاني ومواجهاتها مرة أخرى بأقوال مَلَك وأسمهان وبعض موظفين المصنع ومن بينهم الرجل الكبير الذي يدعى سالم الذي لم ينفِ حدوث واقعة المشاجرة في آخر زيارة لهَيلَين للمصنع، ولكنه حاول أن يدافع عنها بأنها ليست من تفعل ذلك بأختها ولكن ليس هناك ما يثبت صحة أقواله، إلا مع عدم وجود الدافع وهو ما يجب أن يُقنِع به محامي هِيلِين المحكمة برغم قوة الأدلة من اعترافها أنها من قامت بإعداد الطعام وشهادة مَلَك بأنها هي من غيرت الدواء واعترافها بأنها المسؤولة عن تناول أختها لهذا الدواء، هذا بجانب تاريخها في المرض النفسي الذي تفاجأ به.

ظلّ عقله يجوب العالم ذهابًا وإيابًا حتى يحل هذا اللغز وهو في طريقه لسيارته، إنه مقتنع ببراءتها فهو يشعر بهذا من داخله، يركب سيارته وقبل أن يديرها يتفاجأ بباب سيارته الذي بجانبه يفتح ويجلس آنس وهو يقول في حدة وجمود:

- اسمعني جيدًا أنا وأنت لا يطيق أحدنا الآخر ولن نتفق في شيء سوى على هِيلِين يجب أن نفكر كي نخرجها من تلك الكارثة.

- وفي أي شيء سوف أحتاجك أنت، أنا بإذن الله سوف أوكل لها أفضل محامٍ يخرجها من تلك القضية.

لا يبالي آنس بنفور عمر منه وأردف بحدة قائلًا:

- الأمر ليس تحديًا بيننا تكون هِيلِين هي الخاسرة الوحيدة فيه، أنا أريد أن نعمل سويًا حتى تخرج هي لنا بالسلامة، وحينها هي وحدها صاحبة القرار.

يصمت عمر قليلًا وهو يفكر ثم يلتفت لآنس ويقول متشككًا:

- وكيف سوف تساعدني؟

- إذًا اتفقنا بشكل مبدئي، ولكنها تدعى «كيف نساعد بعضنا؟» أهم شيء الآن سوف نفترض أن هِيلِين صادقة في كل شيء.

- تمام.

يتحمس أنس في حديثه فيكمل قائلًا:

- هِيلِين كذَبَت ما قالته سكرتيرة ياسر والتي أضافت عبارة تهديد واضحة في حديث هَيلَين، وهذا أثبت وجود خلاف مع ياسر، يجب أن نعرف لماذا ادعت ذلك؟

يتابع عمر حديث أنس بعناية الذي أردف قائلًا:

- وزميلة أختها مَلَك التي تعتبر شاهد أثبات على نية هِيلِين في إيذاء أختها، بشهادتها أنها تفاجأت بتغير دواء ريهام وعندما استفسرت من هِيلِين كان الرد هو طردها من المنزل، ما صحة تلك الواقعة؟ ولماذا قالت ذلك؟

- أنت تريدني أن أتحرى عنهما، تلك لعبتي لا تقلق.

يتوقف برهة ثم يردف بسؤاله مستعجبًا:

- إذًا ما هو دورك؟

يبتسم أنس ساخرًا وهو ينظر لعمر ويقول له:

- أنا سوف أتركك في تحرياتك وأتابع أنا حسابات ياسر وريهام، يمكن أصل منهما لأي شيءٍ جديدٍ عما لدينا.

يستغرب عمر ما قاله أنس فيسأله مستفسرًا قائلًا:

- حساباتهما كيف ذلك؟

- هذه مهمتي لا تشغل بالك بي.

لا يعيره عمر أي اهتمام ويكمل حديثه:

- تمام، ولكن لا تنسَ أن المتوفر ضدها هم شهود الإثبات، أما الدافع فمختفٍ وتلك نقطة في صالحها.

عندما كان يتحدث عمر مع أنس، لاحظ أن الضابط طارق يشير له من بعيد وينادي عليه ويتقدم في اتجاهه مسرعًا الخطوات حتى اقترب منه وهو يقول:

- جاءتني معلومة، جيد أني لحقت بك قبل أن تغادر.

يخرج عمر من سيارته ويتقدم نحو طارق الذي يتعمد عدم قول أي شيء أمام أنس، ويأخذ عمر بعيدًا عن السيارة بضع خطوات ويقول له بجمود:

- ما إن مسكت تلك القضية وأنت تخبرني مرارًا ما هو الدافع لتفعل ذلك، أرجو أن تعود لمكتبي مرة أخرى وستعرف الحقيقة.

يشير عمر لأنس أن ينتظره خمس دقائق ويعود، فيصعد مع طارق حتى مكتبه ويطلب منه أن يجلس، يجيبه عمر بتوتر في عجلة من معرفة سبب كل هذا:

- لن أستطيع، هيَّا أخبرني، هل لديك بالفعل دافع يثبت جريمتها؟

- بالطبع، إذن لماذا طلبت منك أن تصعد لمكتبي؟

يقع عمر جالسًا على المقعد وهو غير مصدق ما قاله، فهذا ما كان يتخيله أن يعتمد المحامي عليه، حتى يسأله بيأس:

- أين هو؟

يمد طارق يده لعمر بورقة تفيد بأن ريهام قبل وفاتها بأكثر من شهر قامت بعمل بوليصة تأمين على الحياة بمبلغ كبير تستحقها هِيلِين بعد وفاتها، يحاول أن لا يصدق ما يقرأه ويعيده مرة أخرى وثالثة كيف أن تكون على علم بها وتعترف على نفسها، ولكن الواقع يقول إنه دافع قوي سوف تستند عليه النيابة بعيدًا عن أي تكهنات وحسابات منطقية، وهنا

يقول له طارق وهو يشعل لفافة تبغ ناظرًا لعمر بثبات:

- آسف يا عمر باشا لقد راهنت على الفرس الخاسر، أظن بعد ذلك لا يوجد مجال للمناقشة.

يومئ عمر رأسه بالموافقة وهو يقوم من مقعده، ويسلم على طارق ليتركه يرحل، ولكن الأخير يثبت يد عمر في يده ويقبض عليها وهو يقول:

- اليوم سوف تحول للنيابة، لقد أنهيت دوري.

يترك عمر المكتب وهو مشوش التفكير لا يعرف هل يستمر في الاقتناع ببراءتها، عقله يقرأ الأدلة والشهود جميعها تُدينها وجاء هذا الدافع القوي ليكسر كل احتمالات البراءة وقلبه لا يريد أن يسمع المزيد، لا يريد أن يشوِّه صورة هِيلِين الملاك الجميل البريء دائمًا، يتقدم وتزيد خطواته حتى خرج من المديرية واتجه لسيارته وأمسك بأنس الجالس في السيارة وهو يقول:

- يجب أن نخرج هِيلِين من تلك القضية بأي شكل.

***

مر يومان على حجز هِيلِين على ذمة التحقيق بعد إجراء أول تحقيق معها أمام النيابة وخلال هذين اليومين وأنس لم يستطع أن يغفل له جفن يجلس أمام حاسبه المحمول وبجانبه كوب القهوة العشرون، لم يذهب للعمل وقدَّم على إجازة مفتوحة ولم يسأل إذا كانت قُبلت أم لا، الأهم عنده أن يجد أيَّ دليلٍ يُحسن من موقف هِيلِين بالقضية فوضعها في القضية سيئ للغاية وكان تركيزه كله مُنصبًا على حسابات ياسر وريهام البنكية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي وهواتفهما، قد قرصن هواتفهما من قبل عندما كان يبحث وراء هِيلِين فلم يجد لها أي منفذ إلكتروني فحاول مع أقرب الناس لديها ونجح في اختراق هواتفهما، ولكنه توقف ولم يكمل البحث حفاظًا على خصوصية هِيلِين ولكنه الآن مضطر لذلك.

وبالفعل كان يدوّن أشياء بجانبه حتى يستطيع أن يقرأها في النهاية بتركيز أكثر حتى يخرج بخطوط جديدة، ظل هكذا حتى غلبه النعاس، ولكنه لم يكن نومه هذه المرة عاديًا، فلقد دخل جسده تلقائيًا في تجربة الإسقاط النجمي دون أن يتحكم بأي شيء، هناك مَن أدخله هذا العالم ويتحكم به وبتحركاته داخله ليس مثل كل مرة؛ حدث ذلك بمجرد غفوته؛ شعر كأن هناك من يجذبه لغرفته البيضاء ويثبته أمام المِرآة دون أن يقاوم، فجسده مرتخٍ وكأن ليس به عضلات تقاوم، بل تستلم لمن يتحكم بها.

ينظر أنس في المِرآة ليجد الشخص المجهول مع ظهور كفيه يقول كعادته:

- سبع معالق سكر سقطوا في الوعاء، السادسة ذابت وباقي واحدة، حان الوقت لتستحق ما طلبته.

يتقدم الشخص المجهول نحوه بخطوات بطيئة ويظهر شيئًا فشيئًا حتى يقف أمامه بشكل واضح، فتتبدل هيئته ليظهر جسد شخص آخر ويتضح أنه جسد رؤوف، وتختفي من خلفه غرفته السوداء وتظهر غرفة نوم رؤوف وشروق مستلقية على السرير في سبات فينظر له رؤوف ويبتسم ابتسامة يملأها الشر، ثم يدور رؤوف ويتجه إلى الفِراش ويدنو من شروق ويمد يده حول عنقها ويخنقها وهي تستيقظ كفريسة جريحة حاولت كتم أنفاسها فظلت تقاومه وتقاومه حتى إنها غرست أظافر يديها في عنقه ووجهه حتى تركها لحظة فتفلت منه على الأرض بجوار الفِراش فقفز من الفراش نحوها وانقض عليها وجلس على بطنها حتى يحكم قبضته عليها ولا تفلت مرة أخرى ويكمل ما بداه؛ يخنقها بكل قوة لديه وهي تضرب فيه وتضرب حتى تتباطأ سرعة يديها في ضربه ثم تتوقف تمامًا وعندما تأكد من أنها فارقت الحياة، قام وهو مبتسم ثم خرج من غرفته بضع دقائق وظلّ أنس ينظر للغرفة التي تحتضن جثة شروق حتى عاد رؤوف مرة أخرى وظلّ يكسر ما بها وينثر أغراضها يمينًا ويسارًا؛ ثم عاد للمِرآة مرة أخرى ونظر بها وكأنه يُحدث أنس ويراه، ثم مسك قلم أحمر للشفاه

كان ملقى أمامه وكتب «أنت مِلكي» ثم أعاده مكانه، وأخذ نفسًا عميقًا وكأنه لم يتنفس منذ زمن وأغلق الإضاءة بالغرفة وعاد مرة أخرى للفِراش ونام.

تتشوه الرؤية عدة ثوانٍ أمام أنس ثم تعود مرة أخرى ورؤوف يقف في منتصف الغرفة ثائرًا. احمرت عيناه من البكاء وظهرت في رقبته ووجهه بعض الخدوش وجثة شروق ليست بمكانها. ظلّ ينظر حوله وهو يبحث في الفوضى المنثورة عن شيءٍ حتى وجد كتاب الإسقاط النجمي الذي أخذه أنس من مسرح الجريمة ووقف أمام المِرآة وقال بكل حنق وغِلّ يعرفه:

- لقد سلبت مني كل شيء وما تبقى لن تنوله أبدًا، أتسمعني لن تنوله أبدًا.

ثم مزق الكتاب نصفين وألقاه على الأرض بجوار الفِراش، تتشوه الرؤية أمام أنس ليظهر المجهول في هيئته المعتادة مرة أخرى وهو يقول له:

- استعد المرة القادمة فلن تصدق ما في الوعاء، والآن عدت كما كنت، فلقد أصبح الأمر بيدي وليس بيدك.

بالفعل يشعر أنس أن هناك من يجذبه من ظهره ويخرجه خارج الغرفة ثم يسحبه في الفوهة المضيئة، ليجد نفسه نائمًا على لوحة الكتابة بحاسبه المحمول، وأنه غفل ما يقرب من عشر دقائق فقط ولكن ما استغربه أنه لم يقم بتمارين التجربة والاستعدادات المعتادة لخوضها وكأن غفلته تلك أجبرت عليه خوض التجربة، هل أصبح جسده مُهيأ بهذا الشكل ووصل من الصفاء الذهني ما يجعل نومه هو تجربة إسقاط نجمي ولكن في هذه الجلسة شعر وكأنه مُجبرٌ عليها، لم يتحكم بأي شيءٍ فيها ولكن هناك عدة أسئلة تدور في باله، مَن الذي كان يحدّثه رؤوف؟

***

وصل عمر بسيارته لمنزل أنس وصعد الدرج حتى باب مسكنه ورن

الجرس ليفتح له أنس غير مهندم تظهر تحت عينه هالات سوداء، يتضح عليه قلة النوم وهو يبتسم له لأول مرة ويقول:

- شرفت منزلي المتواضع يا جناب الضابط، اتفضل.

يدخل عمر المنزل والذي يعلن من أول متر فيه أنه سكن لشاب أعزب مما يظهر عليه الفوضى العارمة الملابس المنثورة في كل مكان، لا تعرف أين النظيف منهم وأين المتسخ، يشير له أنس بالجلوس في الصالون، فيلاحظ تفقده واستحقاره للمكان فيقول له:

- آسف يا باشا فهذا سكن لشاب أعزب.

ثم عرض عليه أن يحضر لهما القهوة ولقد رحّب عمر بذلك على أن يحضرها بنفسه، فدخل الاثنان المطبخ وأنهى عمر صنع قهوته بعد أن عثر بأعجوبة على كوب نظيف وترك أنس يقوم بصنع قهوته هو الآخر، فيستغل عمر انشغال أنس بصنع قهوته ليذهب للنافذة ويفتحها ويجلس بجوارها حتى يستمتع بتنفس هواء نظيف نوعًا ما، ينهي أنس قهوته ويدخل الصالون ويبتسم لأنه توقع أن يفعل عمر ذلك فيضع فنجان قهوته ويدخل ليحضر حاسبه المحمول ويجلس أمام عمر والذي يسأله بتحفظ قليلًا:

- يظهر عليك الإرهاق وقلة النوم مثلي.

- أنا الآن أكملت ثلاثة أيام غفلت فيهم ما يقرب من ١٠ دقائق فقط.

- هذا يدل أنك توصلت لشيء؟

- هل من الممكن أن تمسك هاتفك؟

يتعجب عمر مما قاله أنس، ويمسك بالفعل هاتفه الذي يجده بعد لحظة يغلق من تلقاء نفسه، فيندهش ويقول لأنس:

- لا أفهم ما يعني هذا؟

يعدل أنس في جلسته وهو يقول:

- يعني أن نغلق هواتفنا حتى نستطيع أن نتحدث بحرية، لأن ما سوف يقال الآن فيه خطورة عليّ.

يعود عمر برأسه للخلف قليلًا وهو يرفع حاجبه الأيمن وينظر لهاتفه ثم ينظر لأنس الذي ما زالت ابتسامته تنشر السعادة على ملامح وجهه فيسأله مستفسرًا:

- أفهم من ذلك أنك من أغلقته؟

يومئ أنس برأسه إيجابًا:

- نعم، وأستطيع أن أفعل أكثر من ذلك وهذا سري الكبير وسوف أخبرك به حتى تعرف مصدر معلوماتي، وأتمنى أن تكون مصدر ثقتي لهذا السر.

أعترف أنس بإمكانياته المتطورة وما توصل له من خلال القرصنة الإلكترونية فبادره عمر بسؤاله:

- وهل وصلت لشيء من تلك القرصنة؟

- لقد ركزت على الحسابات البنكية لياسر وريهام وحساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعي وهواتفهم، وما عرفته أن ياسر هذا أقذر شخص عرفته في حياتي.

- كيف؟

نهض أنس من جلسته وذهب ليحضر الورقة التي كان يدوّن فيها ملاحظاته ثم بدأ بالقراءة منها:

- فيما يخص حساباته البنكية، فبعد أن أسندت له إدارة المصنع وهذا بعد وفاة حماه منذ أكثر من خمس سنوات ومن يومها وهو يدخل في حسابه بشكل شهري ٥٠ ألف جنيه، محولين من حساب شخص يدعى «عبود الحلو» والذي كان المنافس الشرس لحماه في السوق، ومن الواضح الغرض من تلك التحويلات أمام حالة المصنع المزرية، ثاني شيء أنه في

نهاية كل عام كان يتلاعب في نسبة الأرباح بأرقام وهمية ويمنح نفسه النسبة الأكبر أمام نسبة ريهام وهيلين مما أزاد مديونية المصنع، وأمام كلب مثل هذا استبعد قتله بسبب صراع السوق إذا كان من الممكن أن تشتريه بسهولة.

- أختلف معك من الممكن أن يخلق عدواة بسبب طمعه هذا.

يومئ أنس برأسه رافضًا ما قيل وأردف:

- لا، أظن أن ياسر شخص ذكي حتى يكون لديه طموح وجراءة أن يعادي أحد، هو كان مكتفيًا بالعمولات وسرقة بنات عمه، أما على مواقع التواصل الاجتماعي فكان قذرًا بجدراة وسافلًا بامتياز.

- لهذا الحد؟

يضحك أنس ساخرًا ويجيبه بثقة:

- وأكثر، كانت العلاقات المشبوهة هي عنوانه ومقصده، خيانته لريهام تكاد تكون يومية، لكن ما لاحظته أن معظم العلاقات كانت عابرة يأخذ متعته ويبحث عن أخرى، إلا مع حسابين واحد قبل زواجه والثاني استمر معه حتى قبل الحادثة بيوم.

يبدأ عمر بالتركيز أكثر ويسأله:

- إذًا يجب أن نهتم بآخر حساب لأنه الأقرب للحادثة.

- معك حق، ولكن عندما تعرف قصة الحساب الأول سوف تختلف وجهة نظرك.

- ماذا تقصد؟

هنا أمسك أنس حاسبه المحمول وأداره في اتجاه عمر وقام بفتح موقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك» وكتب عدة حروف لتفتح صفحة لحساب شخصي ثم أجابه:

- هذا حساب باسم «آمال شريف» كانت زميلته في الكلية وكان ياسر يبادلها الحب واتفقا على الزواج بعد أن سلمته عذريتها، ولكن لم تكن تلك المشكلة الوحيدة فلقد اكتشفت أنها مريضة بسرطان الرحم، وكان يجب استئصاله وتضحي بحلم الأمومة طيلة عمرها، وكان رد ياسر حينها أنه لا يمكن أن يتزوجها بحجة أن عائلته صعيدية متشددة لا ترى في الزيجة إلا المولود والمولود الولد بالأخص، فكيف يقبلون بأرض بور مثلها وأخبرها أنه سوف يضحي بحبه من أجل إرضاء عائلته ويتزوج ابنة عمه وكان ردها أنها هددته بأنها سوف تنتقم منه ولن يكون له ابن طيلة عمره.

تنير عين عمر سعادة ويقول بنشوة:

- إذًا يقبض عليها ويتم التحقيق معاها بسبب هذا التهديد الصريح، وسوف يصب ذلك في مصلحة هِيلِين بأن هناك آخرين لديهم الدافع لقتله.

- وهذا ما أريده منك.

يتعجب عمر من رد أنس ويقول له وهو يشير نحو حاسبه المحمول:

- لماذا؟ أليس لديك معلومات عنها؟

- حاولت، ولكن حسابها مغلق من يومها، ولكني معي اسمها بالكامل وصورتها، وأظن من السهل أن تجد ملفها بالكلية، فللأسف الملفات القديمة تلك لم تدخل النظام الإلكتروني بعد حتى أستطيع أن أصل لها.

يعتدل عمر في جلسته ويقول بثقة:

- هذا شيء سهل، أعطِني ما لديك من بيانات ولا تنسَ عام تخرجها وعلى نهاية اليوم سوف تكون معنا كل شيء، وماذا عن الحساب الثاني؟

يقف هنا أنس ويتجه نحو النافذة وهو يقول:

- جيد أنك منتبه لآن تلك المشكلة الثانية، لقد تم مسح جميع المحادثات فيما بينهما قبل الحادثة بيوم واحد، والحساب ليس به أي معلومة أو صور شخصية ولا يوجد سوى صديق واحد هو ياسر، واسم الحساب

«الأنثى الوحيدة» أحد الحسابات الغامضة التي تحتاج الكثير من البحث، أو يفتح مرة ثانية، هي مرة تكفيني.

يربت عمر على كتف أنس مطمئنًا وهو يقول:

- جيد، أتركك الآن كي أبحث وراء التي تدعى آمال، وركز أنت على هذا الحساب الغامض.

يميل أنس رأسه موافقًا وهنا يستعد عمر للانصراف فينهض من جلسته، ولكن يفاجئه أنس بقوله:

- انتظر، فأنت لم تعرف بعد الكارثة التي وجدتها خلف ريهام.

- أهناك شيء يخص ريهام؟

يجذب أنس يد عمر المتفاجئ ليدفعه للجلوس مرة أخرى ثم يقول:

- نعم، وأنصت بتركيز. عندما بحثت في رسائلها القديمة بعد أن اكتشفت في بحثي وراء ياسر أن أخطاء الماضي لا يمكن أن تمحى في المستقبل إما الغفران أو الانتقام، لقد وجدت كم كانت نذلة مثل ياسر، ولكن ليس بنفس مستواه فهي قبل زوجها بثلاثة أشهر انفصلت عن شاب يدعى «خالد شوقي» كانت تبادله الحب، ولكنها انفصلت عنه بسبب أن والده أصيب بفشل كلوي وكان هو المتبرع له بالكِلية، وهذا كان سببًا كافيًا كي تتركه وتضحي بحبها له، كيف تتحمل أن تشارك حياتها مع شخص مريض ضعيف يمكن أن ينتقل هذا الضعف لأولادها أو يكون محكومًا عليه بالموت أمام أي مجهود بسبب سوء حالته الصحية، بحثت عنه وعلمت أنه توفي بعد أن أجرى العملية وذلك بسبب سوء حالته النفسية.

يتضح على عمر الاستغراب فيجيبه قائلًا:

- لقد كان انتقام الله كبير عليها في حياتها ووفاتها بسبب ما فعلته بهذا المسكين.

ومئ أنس برأسه استحسانًا لما قاله عمر ويردف:

- أردت أن أوضح لك أنها ليست ضحية، بل المفاجأة أنها عرضت الزواج على مديرها بالشركة بعد أن تتخلص من ياسر نهائيا، وكانت تلك من خلال رسالة نصية من هاتفها قبل الحادثة بشهر واحد.

يقف عمر هنا وهو يجوب في الغرفة ذهابًا وإيابًا لما سمعه ثم يقول مستنكرًا:

- أظن يجب ترتيب أفكارنا ونضع كل شيء أمامنا، سوف أعد قهوة لي فهذا شيء غير طبيعي.

يطلب عمر من أنس ورقة وقلمًا ويقترب من الطاولة ويبدأ بكتابة ما وصلا له ووضعا جميع الأسماء التي لها علاقة بالقضية وأصبح الاتهام يحوم بشكل واضح حول آمال وصاحبة الحساب المجهول وريهام، ولكن كيف ستقتل نفسها؟ حتى سأل عمر أنس سؤالًا:

- ماذا كان رد مدير ريهام على رسالتها تلك؟

يضع أنس قهوته على الطاولة أمامه ثم يستدير نحو عمر ويجيبه:

- رد عليها بحدة وعنفها وكيف تطلب منه مثل هذا الطلب، وأنه يراعي حالتها النفسية ولن يتأخذ موقف وكأنها لم ترسلها من الأساس، وعندما بحثت عنه علمت أنه كان مهندسًا فقيرًا سافر الخليج وعاد بعد عشر سنوات وفتح شركة هندسة عقارية وتوظفت بها ريهام كمصممة مواقع داخلية بعد تخرجها، وحساباته جيدة وسمعته طيبة.

- هل تعني أن نخرج من دائرة الاتهام أو الاشتراك؟

يرشف أنس من قهوته ثم يجيبه بثقة:

- بنسبة كبيرة نعم، لكن الغريب أن ترسل ريهام مثل تلك الرسالة برغم أن لا يسبقها أي مراسلات، فتلك الرسالة الوحيدة بينهما.

- أتفق معك وأرى أن نكمل بحثنا على ما توصلنا له، سوف أبدأ في التحري عن آمال وعندما أصل لشيء سوف أخبرك.

- جيد، وأنا منتظرك ليلًا لكي نكمل حديثنا على ما توصلنا له.

يخرج عمر من منزل أنس متحمسًا بالنتائج التي توصلا لها ويبدأ في تنفيذ ما طُلب منه، هاتف زميله في أمن جامعة القاهرة للبحث عن ملف آمال شريف وأرسل له صورتها وعام التخرج، ولقد أخبره أنه سيعلمه بالنتائج بعد ساعة وبعدها توجه إلى مديرية الأمن ليعرف هل من جديد في البحث خلف أسمهان، عندما وصل طلب من أمين الشرطة بمكتب زميله «محمود صقر» فنجان قهوة وهو في انتظار قدومه، وبعد أن أتت قهوته بلحظات يدخل عليه زميله ويرحب به وبعد أن جلسا أمسك الضابط محمود ملفًا من على مكتبه ومد يده به نحو عمر فأخذه منه وبعد أن انتهى من قراءته ظهرت عليه علامات الفرحة ونشوة النصر فقال:

- أشكرك جدًا يا صديقي، لا اعرف ما أقوله لك، أستاذنك الآن.

- إذا أردت أي شيء يا صديقي لا تتأخر في سؤالي.

يخرج عمر من المديرية وهو في قمة سعادته بما توصل له، يصل لسيارته ويجد هاتفه يرن فيفتحه ليجده زميله من إدارة الجامعة يخبره ببيانات آمال، ما إن أنهى مكالمته فعاد مرة أخرى لصديقه محمود صقر بالمديرية، دخل مكتبه فقال مازحًا:

- لم أتأخر في سؤالي، أرأيت؟

- تُعطي الأعمى العينين فيطالبك بالحاجبين، أؤمرني؟

- أريدك أن تكشف لي عن هذا الاسم أيضًا، وهاتفني عندما تصل لشيء، خذ وقتك يعني بالكثير اليوم.

يضحك محمود ويميل برأسه بالموافقة، يخرج عمر من المديرية ويجلس بالمقهى الذي أمامها، وهو يقرأ بعناية ما توصل له بخصوص أسمهان، ويرسم أمامه دائرة الاتهام ويضع جميع الأسماء وظل يتأمل فيها حتى تفاجأ وكأنه رأى شيئًا مُهمًا يجب التأكد منه، فيخرج من المقهى مسرعًا ويركب سيارته ويتوجه لمقر شركة ريهام ويقف أمامها حتى تخرج

مَلَك من الشركة ويذهب لها ليجدها قد ركبت سيارتها فيطرق على زجاج سيارتها ويقول لها راسمًا ابتسامة مزيفة:

- أستاذة مَلَك؟

تلتفت هي نحوه وتتفحص هيئته فتجيب سائلة:

- نعم من أنت؟

- أنا الرائد عمر المنياوي المسؤول عن التحقيق في قضية مقتل ريهام صديقتك وزوجها ياسر.

تنقلب ملامحها قليلًا إلى الحزن، ثم تردف قائلة:

- الله يرحمها، هل هناك شيء أستطيع أن أساعدك فيه؟

- أتمنى ذلك، هما سؤالان فقط وسوف أرحل.

تجيبه بثقة بالموافقة فيسألها:

- هل لاحظتِ أي شيء ينم عن علاقة بين ريهام ومدير الشركة، هل كان هناك علاقة أكثر من أنها علاقة عمل؟

تزفر زفرة طويلة من الحزن ثم تردف قائلة في توجس:

- ريهام بين يد الله وأنا لا أريد أن أخوض في شرفها الآن، ولكن ما المبرر أمام أن يصبر مدير الشركة على موظفة تأتي عشرة أيام في الشهر بشكل غير منتظم؟

- أفهم من حديثك هذا كان هناك علاقة وأنتِ لا تريدين التحدث في تفاصيل؟

تضم شفتيها وتقول هامسة قليلًا:

- ما يستره ربه لا يفضحه عبده.

- وصلتني إجابتك، سؤال أخير بعد إذنك.

- اتفضل.

- هل يمكنك أن تتذكري متى كان آخر اتصال بينك وبين ريهام، وهل كانت رسالة أم مكالمة؟

يتملك الحزن من ملامح وجهها ثم تجيبه:

- كان قبل وفاتها بيوم على ما أظن، كان اتصالًا هاتفيًا وأخبرتني ألا أمرّ عليها لأنقلها معي للشركة ولم تكن تلك أول مرة كما أخبرتك من قبل، فهي في العادة لا تداوم بانتظام.

- أشكرك جدًا، وآسف إذا عطلتك قليلًا.

تجيبه هي بكل جمود وابتسامة جافة وتدير سيارتها وتبتعد وخلفها يذهب عمر لسيارته ويتصل بأنس ويقول له بكل سعادة وحماس:

- لدي معلومات لن تصدقها، انتظرني أنا قادم.

***

ينتهي أنس وعمر من تناول وجبة الغداء التي أحضرها عمر معه، وبعد غسيل أيديهما وعمل كوبين من الشاي كما أعده أنس، اجتمعا على الطاولة وبدأ عمر بالحديث:

- أي جريمة لها مجموعة خيوط هي التي تشكل الجريمة، الآن لدينا ضحيتان ريهام وياسر، وهيلين المتهم الأول أمام النيابة بدافعين؛ الأول الحصول على مبلغ بوليصة التأمين، والدافع الثاني الانتقام من ياسر بسبب خلاف ما شهدت عليه سكرتيرة ياسر وأكده عمال المصنع، أما عن الدليل شهادة ملك صاحبة ريهام بأن هيلين هي التي غيرت الدواء الأساسي لعقار يزيد في الجسم نسبة الاكتئاب والذي قد يدفع المتعاطي منه للانتحار فهذا ما فهمته من الأعراض، أما عن أداة الجريمة فهو السم في الطعام الذي أعدته هيلين بنفسها واعترفت بذلك، يظل كيف توصلت للسم؟

يقاطعه أنس متسائلًا:

- كلامك هذا إذا افترضنا أن هِيلِين المتهمة؟

يومئ عمر رأسه إيجابًا ويقول:

- بالضبط، كي نخرج هِيلِين من تلك التهمة يجب على الأقل نفك خيطين أو ثلاثة على الأقل، وأنا سوف أسأل في شركة التأمين لمعرفة قصة تلك البوليصة، أما فيما يخص أسمهان فلن نستطيع أن نشكك في حديثها لعدم تواجُد شهود معها ولم يسمع أحد نَص الحديث غيرها، ولكن العمال أكدوا الواقعة.

- ثم رشف عمر من كوبه رشفتين وأردف قائلًا:

- وما عرفته عن أسمهان أنها تخرجت من كلية آداب قسم مكتبات، أضافت لذلك ملف صغيرًا في مباحث الآداب ثم انتقلت للعمل مع ياسر وسمعتها بالمصنع ليست جيدة أيضًا.

- لا أرى أننا سوف نصل بالبحث وراءها لشيء.

- بالعكس، يمكن.

- كيف؟

- عندما تعرف ما اكتشفناه عند مراقبتها أنها على علاقة قوية بمدير مبيعات لشركة أدوية وهذا الشخص في الأساس تحت المراقبة منذ فترة طويلة، وذلك لتورطه في صفقات أدوية محظورة.

هنا يرفع أنس حاجبه ويبتسم وهو يقول:

- هل تقصد أنها من الممكن أن تكون هي مصدر الدواء المشبوه لريهام.

- أو مصدر للسم.

وهنا يرفع أنس يده ويشير بسبابته والأوسط قائلًا:

- ولماذا لا تقول الاثنين؟

- صح عندك حق.

- وكيف نستطيع أن نتأكد من هذا؟

- نكمل التحريات عنها وعن مدير المبيعات هذا وما علاقة شركته بهذا العقار؟

يرن هاتف عمر فيمسكه ويرد ويبدأ على معالم وجهه الفرح والفخر وينهي مكالمته وهو يشكر من يحدثه بشدة، وعندما انتهى قال لأنس:

- هذا زميلي محمود صقر من مديرية الأمن، بلغني أن آمال شريف تزوجت من ٣ سنوات وهاجرت لأمريكا ولم تعد مصر من يومها، يعني أن الاحتمالات قلّت، ويبقى أننا نعرف صاحبة الحساب المغلق.

يقوم أنس ليحضر كوبًا من الماء، ولكنه يجد نفسه غير متزن ولم يستطع أن يتحكم في قواه فسقط على الأرض مغشيًا عليه ولكنه ذهب في عالم آخر كان فيه بقدرة أعلى على استيعاب ما يحدث، شعر مثل آخر مرة نام فيها، أن قوة تجذبه من الداخل وتنقله للأماكن التي كان يمر بها حتى وصل أمام مِرآة غرفته البيضاء مجبورًا مسلوب الإرادة، ويسمع صوت المجهول دون أن يظهر أمامه مثل كل مرة وهو يقول:

- سبع معالق سكر سقطوا في الوعاء، السبعة ذابت وحان وقت العناء، مستعد لمقابلة رؤوف؟

- مستعد.

يسمع أنس من يطرق باب غرفته البيضاء فيذهب ليفتح له فيجده رؤوف، ينظر له بغضب ثم يدفعه بكلتا يديه فيسقط أرضًا وهو يصيح فيه:

- ماذا تريد من رؤوف؟

يرجع أنس زاحفًا للخلف ورؤوف يقترب منه، ظلّ هكذا حتى وجد نفسه

قد وصل للحائط وفوقه المِرآة ورؤوف ينظر له بغضب ثم يصرخ فيه بشدة:

- أجب؟ ماذا تريد؟

يبلع أنس ريقه وهو ينظر له ويقول مترددًا:

- كنت أريد أن أعرف لماذا قتل زوجته وابنه؟

تتسع عين رؤوف ثم يجيبه بحدة:

- لأنه لم ينفذ أوامري، كان من الممكن أن يظلوا أحياء، لكنه أناني لا يحب إلا نفسه.

يشرد رؤوف بذهنه جانبًا وكأنه يتذكر شيئًا ما، ثم يقول بصوت أهدأ قليلًا:

- منذ ولادته وهو كذلك وعندما جاءته الفرصة لا يريد منحها لي، رغم أني لم أبخل عليه بشيء، جعلته يتأكد من براءة زوجته من الخيانة.

وهنا يميل عليه رؤوف ويقول بصوت أهدأ وهو مبتسم ويكمل:

- لا أنكر أني من زرعت هذا الشك فيه منذ البداية.

يحاول أن يستوعب أنس حديثه لكن لم يصل لنتيجة فيقول له مستفسرًا:

- ألست أنت رؤوف؟ إذًا من أنت؟ وكيف ساعدته؟ وكيف جعلته يشك؟ أنا لا أفهم شيئًا.

يضحك هنا بشدة رؤوف وتعلو قهقهته ثم يقول له:

- ما رأيك أن أجيبك من الآخر للأول؟

- ما تراه أنت أفضل.

ينتصب رؤوف واقفًا ثم يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا أمام أنس وهو يقول:

- جعلته يشك من خلال الأحلام والكوابيس أثناء النوم لأن هذا هو العالم الذي يسلمني فيه رؤوف نفسه منذ يوم مولده، وجوده في عالم اللاوعي هذا يجعلني أرى يومه من الذكريات المحفوظة، كنت في البداية سعيدًا وأتعلم كل يوم شيء جديد وأجعله يحلم أحلامًا جميلة مثل الأطفال في هذا العمر.

يقف هنا دون حركة ويلتفت لينظر لأنس قائلًا في حزن:

- لكن كلما كبر كلما تمتع بأشياء أكثر، وأنا في عالم اللاوعي هذا ليس أمامي سوى أن أشاهدها في ذكرياته اليومية أو أحلامه، كان شيئًا أنانيًا منه، وكان يجب أن أنتقم منه، وكانت البداية بأني بدلت أحلامه لكوابيس مفزعة، كنت أستمتع باستيقاظه مفزوعًا بسبب كابوس من صنعي، برغم أن استيقاظه هذا هو معناه نومي أنا، حتى جاءت فرصته وقرأ كتابًا خاصًا بعملية الإسقاط النجمي، هل تعرف ما معنى هذا؟

يرتجف أنس من خوفه وهو يقول:

- لا.

يتقدم نحو أنس وينحني ويمسكه من تلابيب قميصه، ويرفع قليلًا عن الأرض ليكون وجهه في مواجهة وجهه قائلًا بعنف:

- تعني أنه عندما يدخل في تجربة الإسقاط النجمي فلقد وصل من الصفاء الذهني أن يسلم طاقة جسده لعالمي هنا بروحه أو جسده الأثيري، وكانت حالة رؤوف حالة شاذة فكانت تلك فرصتي أن أستغلها، أصبحت المتحكم بكل ما يراه أو يشعر به هنا لأني السلطان عليه.

تنفرج شفاهه ابتسامًا ثم يردف:

- جعلته يرى في كوابيسه أن زوجته تخونه، وحتى يصل لإجابة هذا الشك المميت، قرر أن يدخل تجربة الإسقاط النجمي أكثر من مرة، ومنها يدخل عالمي الذي أستطيع أن أتلاعب به بكل سهولة وعندما علم الحقيقة كان قد فات الأوان، بعد أن كان مرّ بأكثر من ثلثي الطريق، أما عن سؤالك

عن رؤوف، فتعالَ معي.

يحمل أنس من رقبته ويضعه أمام المِرآة لينظر من خلالها ليجد شخصًا يزحف على الأرض كسلحفاة مسنة بجسد خاوٍ خالٍ من العظام ينصهر جلده مع ما تبقى من لحمه كشمعة تفني عمرها، وخيط يخرج من مقدمة رأسه يمر على جفونه المغلقة المكتسية بالسواد مُخيطًا إياهما بشكل عشوائي مخيف ثم يلتف الخيط ليعود للأنف فيخيطها جاذبها للأسفل لتقترب من الفم الذي نسج الخيط به عُقدًا كثيرة انتهت عند الأذن التي طويت للداخل كي يتم خياطتها هي الأخرى لينتج في نهاية وجه مشوه أقرب للمسخ من أنه بشري، ثم أمسك رؤوف رأس أنس وألصقها بالمِرآة وقال له:

- انظر له جيدًا، هذا هو رؤوف، أو ما تبقى منه أو من روحه بمعنى أدق، سيظل هكذا بقايا روح لكائن مشوه مسجون مثلي في عالمي هذا، جسده الأثيري معلّق هنا لأنه قتل نفسه ورفض أن يسلمني روحه، النذل الأناني.

يحاول أن يلتفت أنس له وهو يقاوم قبضته، ولكن لا يستطيع فيقول له متسائلًا:

- إذا كان هذا رؤوف إذًا من أنت؟

وهنا يفلته فيقع أنس على الأرض ويلتفت له ليجده يجيبه فاردًا ذراعيه جانبًا ويقول بكل ثقة:

- أنا؟ أنا توأم رؤوف، توأمه الذي مات لحظة الولادة، جسدي مات وروحي ظلت معلقة مع روح رؤوف، بقيت أنا متعلقًا في هذا العالم، لماذا لم يمت جسده هو وعشت أنا بدلًا منه، وهذا كان من المفترض اتفاقي معه.

- أي اتفاق؟

هنا يجد أنس توأم رؤوف غير متزن ويترنح يمينًا ويسارًا، ثم يندفع نحوه بسرعة كبيرة ويقفز في المرآة مارًا من فوق رأس أنس الذي وقف

ليرى في المرآة أين ذهب، لكنه يتفاجأ بغرفته السوداء تعود وعدم ظهور لرؤوف المتهالك آو توأمه، ولكن ظهر أمامه الرجل المجهول الذي وجده مبتسمًا، ولأول مرة يتحرك بخطوات ثابتة نحوه ويظهر شيئًا فشيئًا، لتكون الصدمة أنه أنس، نعم انعكاس لأنس، ينظر أنس لهذا الشخص الذي يتجسد في جسده متعجب ما يراه، حتى يقول له بتلعثم وتوتر:

- ما أنت؟ مَن؟

يتقدم شبيهه منه خطوة واحدة وهو يقول بهدوء مبتسمًا:

- أنا وأنت واحد.

- لا كيف؟ ماذا تعني بقولك هذا؟

انفرج شبيهه بضحكات عالية ثم قال:

- ألم تتحدث مع رؤوف كما رغبت وفهمت منه ما حدثَ معه، وما حدث معه سوف يحدث معك لو لم تكن متعاونًا ونستطيع أن نتفق.

- ماذا تقصدك بحديثك هذا؟ أأنت أخي التؤام مثلًا؟ أنا متأكد أني ولدت وحيدًا، حتى والدتي لم تصل للمستشفى وولدتني بالسيارة، وكانت ولادة متعسرة أدت بوفاتها في النهاية، فلا تحاول أن تخدعني.

يدنو شبيهه منه بعدة خطوات ويتوقف فيكون زجاج المرآة هو الفاصل بينهما فيقول مبتسمًا:

- ولماذا أخدعك يا أخي.

- لست أخاك، فأنا ليس لي إخوان.

يشير له شبيهه أن يهدأ ثم قال:

- لقد قلت إنك وُلدت في السيارة، ولكنك لم تكمل وتقول رقم السيارة 914 ملاكي القاهرة! ألم يلفت انتباهك هذا الرقم عندما أخبرتك عنه سابقًا.

يصمت هنا أنس ويحاول ألا يصدق ما يسمعه أو ما يحدث، فيختل توازنه ويدور حول نفسه وتضعف قواه كثيرًا ويقع على الأرض فيسمع شبيهه يقول:

- ما حدث مع رؤوف حدث معك قدمت لعالمي بمحض إرادتك، لتحدث الحالة الشاذة من الإسقاط النجمي أن يتوافق مع من يمارسها بشكل جيد بأن يكون له أخ تؤام توفي لحظة الولادة، حينها يكون الإسقاط النجمي وسيلة قوية لجذب روح التؤام المعلقة، أي أنك دخلت عالمي بكل طاقة جسدك النقية، فتتنافس روحنا أنا وأنت على جسدك في نهاية المطاف.

هنا يبدأ شبيهه يتحرك أمام أنس بشكل دائري وينظر لأنس وهو يقول:

- بالطبع تعرف كابوسك الدائم أو صوت الكائن الثائر الذي يركض خلفك، أنا من صنعته لك، كنت أظهره وقتما أريد، أنا سلطان هذا العالم، أنا صانع كل شيء فيه، في البداية وهمتك بوجود باب واحد وكنت واثقًا من فتحك إياه لأني أعرف مقدار خوفك من صوت كابوسك القديم ولم تخيب ظني، ولا تنسَ إضافة لمستي بعنوان الباب «أنتَ مِلكي» فلقد أعجبت بتلك العبارة جدًا لأنها جعلتني صريح معك من البداية، لأنك بالفعل أصبحت ملكي.

وسط ذهول أنس مما يسمع يكمل شبيهه حديثه قائلًا:

- وأنت من ذوبت في وعائي أو عالمي وكانت على مرحتلين، أول خمس معالق أو جلسات كنت تسلمني حاسة من حواسك الخمس مع كل زيارة لك لعالمي.

هنا يقف شبيهه منتصبًا ويشير بسبابته اليمنى ثم يكمل:

- الأولى «حاسة السمع» عندما سمعت صوتي بصوتك، الثانية «حاسة البصر» عندما رأيت محاولة رؤوف خنق زوجته، الثالثة «حاسة الشم» عندما شممت رائحة تسرب الغاز وقت ما فقدت شروق الوعي بسببه وأنقذها رؤوف، الرابعة «حاسة التذوق» عندما تذوقت طعم الملوخية

المسممة الذي حاول بها رؤوف قتل عمر وشروق، الخامسة «حاسة اللمس» عندما طلبت تزور مسكن هِيلِين ولمست شعرها.

يشير شبيهه بكف يده اليمنى ثم يكمل:

- وبما أنك عبرت المرحلة الأولى أو الخمس زيارات لعالمي فلقد وصلت لمنطقة اللا عودة، فجسدك الأثيري أصبح ملكي بالفعل، ويبقى ملعقتان وهذا ما يخص الروح ومرت السادسة ونحن في السابعة الآن، وكنت أظن أنها الأخير، ولكن للأسف أشعر أن روحك عنيدة متشبثة بجسدك المادي خارج هذا العالم وهذا يبطل التسليم بشكل مؤقت حتى تسلمني روحك بمحض إرادتك.

أثلجت تلك الكلمات لسان آنس الذي وقف في حالة صدمة يتابع عين شبيهه التي اتسعت غضبًا وقال:

- أليس كافيًا أن تعيش روحك في جسدك طيلة تلك الفترة، ضحٌ من أجل أخيك فلقد عشت عمري كله كروح مسجونة في هذه العتمة، أريد أن أعيش الحياة أريد فقط أن أعيش كامل جسدًا وروح.

يقف أنس محاولًا تمالك أعصابه وهو ينظر له باستغراب شديد قائلًا بشيء من السخرية:

- لقد انتهى الأمر؟ وليس لي من الأمر مفر، وأن نبدل أرواحنا وتسكن أنت جسدي وتسكن روحي هذا العالم المظلم، ما هذا الكرم، هل تريدني بكل سهولة أسلم روحي لك؟

يومئ توأمه برأسه إيجابًا ويجيبه بجدية:

- نعم فلقد كانت لك فرصة في أول خمس جلسات وأنت تسلمني حواسك الخمس بالتتابع، ولقد جئتهم برغبتك أنت أنا لم أجبرك إلا بداية من الزيارة السادسة، أتنكر هذا؟

ينظر له أنس بتعجب واستخفاف بما قاله:

- أنت تخلق وتخطط لكل هذا وتظهر الكابوس الذي أخاف منه فأهرب أنا وتنتهي الجلسة، فأضطر أن أقدم على جلسة أخرى بغبائي وأدخل هذا العالم متخيل أنه اختياري، فهل كنت حينها أمينًا معي مثلًا؟

ينير وجهه توأمه بابتسامة خفيفة ماكرة ثم يقول:

- الحرب خدعة يا أخي.

- وإذا رفضت؟؟

يهز توأمه رأسه وهو يتقدم نحوه قائلًا بصرامة محذرًا:

- سوف يكون مصيرك مثل مصير رؤوف، سوف أجعلك تخاف أن تغفل لحظة أو تنام وحينها سوف أقتل أقرب الناس إليك مثلما فعل توأم رؤوف، لقد شاهدت بعينيك ألا تتعظ.

تقل حدته في الحديث ويردف قائلًا:

- أو أنك تكون ذكيًا ومضحيًا وتهيئ روحك العنيدة تلك لقبول هذا المصير وتسلم جسدك لأخيك فلقد عبرت السبع جلسات وبقايا جسدك الأثيري معلقة معي، فليس أمامك سوى خيارين أن تكون ذكيًا وتسلم روحك أو أنك لا تنام أو تغفل لمدة خمس ليالٍ كاملين، وإذا غفلت قبل الخمسة ليالٍ حتى ولو بدقيقة واحدة، يبدأ العداد الميقاتي من الصفر بعد استيقاظك ستظل هكذا طيلة عمرك حتى تستسلم يا أناني فلا تعاند لن تستطيع.

يجيبه أنس متحديًا ضاربًا بقبضة يده الحائط:

- سوف أستطيع.

تعلو ضحكات شبيهة ثم يجيبه بسخرية:

- لا أظن.

- لن أسلم لك بتلك السهولة وأضحي بحياتي ومستقبلي، ماذا فعلت في

حياتي حتى تستحقها، مجهودي وحياتي وذكرياتي مِلكي أنا، مَن أنت حتى أضحي بكل هذا من أجله وبدون مقابل حتى، لقد استوعبت الآن أنك كنت المتحكم في كل شيء هنا، ولذلك آمرك أن تخرجني من هنا.

يلصق توأمه وجهه في الزجاج وتلمع عيناه ويبتسم وهو يقول في هدوء:

- سوف أخرجك، ولكن لا تنسَ أني من الممكن أن أساعدك في قضية هَيلَين.

ينظر له أنس بعينين يملأهما الغضب ويذهب لباب غرفته ويحاول أن يفتحه ولكنه يفشل، يضربه بكلتا يديه فيشعر بأن هناك من يجذبه من ظهره فيغمض عينيه من شدة الألم، ثم يشعر وكأن أحدًا يضربه على خديه فيفتح عينيه ليجد عمر يصرخ فيه يحاول أن يساعده على الإفاقة من غيبوبته التي لم تستغرق سوى ٥ دقائق، ليفاجأ عمر بفزعته وقفزه من مكانه وكأنه غير مصدق بما حدث معه، يتحرك مسرعًا وخلفه عمر فيدخل الحمَّام ويقف أسفل صنبور الماء البارد يريد أن يفوق من أي غفوة قد تلحق به، وهو يسمع صوت عمر بالخارج يقول له:

- واضح أنك متعب كثيرًا، سوف أذهب الآن وسوف أحضر باكرًا، سلام.

خرج أنس من الحمَّام وهو يدرك الآن كل شيء، بعد أن استرجع ما حدثَ معه خلال الفترة السابقة وبالأخص رقم سيارة والده القديمة التي كانت تحمل رقم 914 ملاكي القاهرة، وأنه كان يبحث عن هذا الرقم في المكان الخطأ، وأدرك كم كان غبيًا تحت خداع شخص ماكر، كان يلعب به مثل كرة الصوف بين يد القطة، ولكنه اتخذ قراره سيكمل التحدي ويغتنم الفرصة أن يحاول ألا يغفل أو ينام لمدة 5 أيام متصلة حتى تنكسر تلك الدائرة ويسترجع ما سُلب منه، والذي سيجعله صابرًا ويحفزه بقوة هو الإغراق في قضية هِيلِين والبحث عن براءتها، هذا هو ما سوف يضيع الوقت أمامه حتى لا يشعر به، وقرر أنه يجب عليه أن يعمل بحماس أكثر، ذهب للمطبخ وقام بعمل كوب كبير من القهوة السادة وذهب للطاولة التي

كان يعمل عليها هو وعمر ووضع بجانبه المنبة القديم الذي كان مِلكًا لجده وضبط وقته أن يرن كل 5 دقائق كأداة تنبيه بغيضة كريهة تجعله لا يفكر في النعاس، وأوقف جميع الساعات بالمنزل وقام بتشغيل الميقاتي على هاتفه بعدد تنازلي مائة وعشرين ساعة وهم مجموع عدد ساعات الخمسة أيام ليبدأ التحدي لحساب عدد ساعات استيقاظه منذ لحظة أن أيقظه عمر، وأمسك حاسبه المحمول ليجد عمر قد ترك له ورقة مكتوب عليها اسم «سعيد رجب» صديق أسمهان الذي يعمل بشركة الأدوية، وبعض معلومات عن تلك الشركة، وأدرك أن تلك البداية التي يجب أن يبدأ بها يومه.

جلس وبدأ البحث عنه وعندما وجده وتعمَّق في حساباته عثر على ما يريده وأكثر، فأمسك بهاتفه واتصل بعمر الذي كان نائمًا واستيقظ على رنين هاتفه فنظر لشاشة هاتفه وعلم أنه أنس ففتح ليجده يقول بحماس:

- ألو، سامحني على إيقاظك، ولكن هناك أمرًا هامًا سوف أرسل ملفًا يخص سعيد هذا لقد كان شكك صحيح، اغسل وجهك ومر خذني نذهب إليه الآن.

- الآن؟

- نعم الآن، شخص مثله بكل ما يفعله من جرائم، نستطيع أن نستغل الوقت ونباغته ونضغط عليه، أنا منتظرك.

- تمام.

الفصل الثامن

نهض عمر من فراشه وارتدى ملابسه ثم قاد سيارته حتى وصل لمنزل أنس الذي كان ينتظره بالأسفل حاملًا حاسوبه المحمول على كتفه وكوب من القهوة يمسكه بيده، ركب السيارة وتوجها لعنوان سعيد رجب الموجود بتقرير مديرية الأمن الذي حصل عليه عمر، توقف عمر بالقرب من منزل سعيد وركن سيارته بعيدًا عن منزله لأنه يعلم بمراقبة المديرية له، ثم تحركا هما الاثنان نحو منزل سعيد سيرًا وشرح عمر لأنس لماذا ركن السيارة بعيدًا عن منزله، واتفقا كيف سوف يسير الأمر معه، وعندما وصلا لباب شقته طرق عمر الباب فسمع صوت سعيد من الداخل قادمًا عليهما وفتح الباب مستغربًا قائلًا:

- مَن أنتم؟

أخرج عمر بطاقة هويته قائلًا:

- أنا الرائد عمر المنياوي وهذا زميلي الرائد أنس فؤاد نريدك في دردشة بسيطة، ألن ندخل؟

ازداد سعيد توترًا فأشار لهما بأن يدخلا المنزل ويديه ترتعش، ما إن وصلا للصالون حتى التفت عمر لسعيد قائلًا:

- أتمنى أن تجد لنا غرفة مغلقة حتى لا يسمع أهل بيتك حديثنا معك.

كانت كلمات عمر كالسهام على سعيد الذي كاد أن يقع من الخوف، وبالفعل أشار لهما نحو باب غرفة أخرى وهو يقول:

- غرفة مكتبي مناسبة.

قال هذا وهو يشير لزوجته بغضب أن تدخل غرفتها والتي لمحها عمر وهي تختبئ بالممر، وعندما تأكد من أنها فعلت ذلك لحق بعمر وأنس في مكتبه وأغلق الباب خلفه وجلس أمامهما، وتعمد عمر الصمت قليلًا حتى يكون أسلوب ضغط آخر على سعيد، وعندما وجده قد وصل للمستوى

المطلوب من التوتر بدأ حديثه بهدوء شديد وحدة:

- نحن نريد منك أن تجيب بكل صراحة على أسئلة بسيطة.

- أنا تحت أمرك.

هنا أشار عمر لأنس أن يبدأ معه، فالتفت أنس له قائلًا:

- ما الذي تعرفه عن دواء يدعى «زاناكس»؟

نظر سعيد لهما هما الاثنين، وحاول أن يظهر استغرابه لاسم الدواء قائلًا:

- لا أعرفه، من الممكن أن يكون مرّ اسمه أمامي.

فتح أنس حاسبه المحمول وسط نظرات سعيد له ولعمر حتى قال له بثقة:

- لا يا سعيد لقد مرّ عليك وأنت تعرفه جيدًا، وبالأخص الإيميل المرسل للندن لشخص يدعى «أولاند ريجر» تسأل عنه، ورغم أنه رد عليك وأخبرك عن أعراضه الجانبية وما بها من خطورة على المريض وقام بترشيح عقارين مختلفين أخف منه في المفعول، لكنك أصررت عليه وطلبت منه إرسال عينة منه، واستلمتها من فتاة تدعى «فيولا ريني» وحجزت لها ببطاقة ائتمانك في فندق هيليوبلس، وأظن أن تطلب عشاء لفردين وزجاجة خمر وتتدفعهم ببطاقتك فكان هذا لتأكد من صلاحية المندوبة أقصد العينة المرسلة، أرأيت أنك أتعبتني معك من سؤال الأول فقط، أيصح هذا؟

- لا أعرف عن هذا الأمر أي شيء، وإذا كنت تريد سجني ما كنت جئت هنا وبتلك الطريقة.

ضحك أنس ساخرًا ثم نظر لساعة يده قائلًا:

- يا سعيد هما ساعات قليلة والنيابة الصباحية تفتح أبوابها، وسوف نذهب نحتسي قهوتنا هناك أنا والرائد عمر حتى يكونوا قد قرأوا الملفات التي سلمنها لهم، مثل ملف العقاقير الذي تحت إدارتك وتباع في السوق

السوداء، هذا غير صفقة لبن الأطفال الذي يعبأ في مصنع بدائي غير مرخص، أو تحديدًا بمنزل جدك بسوق التلات، والأدوية الممنوعة التي تقوم بتوزيعها على صيدليات المشبوهة، أكتفي بهذا أم أكمل؟

على صوت أنس في آخر حديث مهددًا مما جعل سعيد ينتفض من مكانه وذهب ليتأكد من عدم وجود زوجته بالقرب من الباب، وعندما اطمأن من ذلك وقف مرتعشًا وتكاثر عرقه في وجهه، ثم تقدّم بخطوات بطيئة منهما وهو ينظر للأرض منكسرًا قائلًا:

- أنا تحت أمركما في أي شيء.

نظر أنس لعمر متفاخرين بما أنجزاه، وبدأ عمر هنا يقول بنظرات صارمة:

- ماذا فعلت بالعينة بعد أن استلمتها؟ أنت لا ينقصك قضية قتل فوق قضاياك.

اتسعت عين سعيد وقال مصدومًا:

- قتل؟

أجابه عمر بحدة:

- نعم قتل، والشريك عقوبته تصل للإعدام!!

اقترب سعيد من عمر جالسًا على ركبتيه محاولًا تقبيل يد عمر وهو يقول مرتجفًا:

- لا قتل، بالتأكيد لا، سوف أخبركما بكل شيء، أنا أعرف فتاة عاهرة تدعى أسمهان تقوم بتوزيع العقاقير المخدرة للمدمنين بمنطقة سكانها لكنها جاءتنى في يوم وتريد عقارًا ممنوعًا يزيد من حالة الاكتئاب وتريده قويًا وسريع المفعول، لا أنكر أعجبت بالفكرة وتعتبر تجربة جيدة، أطلب شحنة صغيرة منه وإذا كان عليه الطلب أبدأ بعمل صفقة أكبر منه، لكن أقسم لكما إني بعدما استلمت العينة وأخذتها اسمهان مني وكنت قد اختلفت مع المورد في السعر، وبالتأكيد تعرفان ذلك بما أنكما وصلتما لكل

تلك الرسائل والملفات، أن الاتفاق لم يتم.

نظر عمر لأنس متسائلًا عن صدق سعيد في حديثه أم لا، فأومأ أنس رأسه إيجابًا؛ فنظر عمر لسعيد وقال وهو يربت على كتفيه:

- أرأيت كيف أن الأمر سهلًا وبسيط، والآن أريد منك خدمة ثانية أبسط مما مر.

- موافق، ولكن أريد الأمان منكما.

فأجابه عمر بثقة:

- لا تقلق، فمصائبك تلك لا تعنينا، نحن تعرقلنا بك ونحن نحقق في قضية قتل ليس إلا، فهل سوف تكمل تعاونك معنا أم نتجه للنيابة بملفاتك؟

- لا متعاون معكما بالتأكيد.

هنا وقف أنس وذهب نحوه وهو ممسك بهاتفه وقال له:

- نريدك أن تهاتف أسمهان تلك الآن، وتستخدم ذكاءك فجعلها تعترف أنها من طلبت العقار واستلمته منك وأنت لا تعرف لمن هذا العقار، أرأيت أنك لا تفرق معنا... هيّا اتصل بها الآن وسوف أسجل المكالمة كاملة على حاسوبي.

أومأ سعيد رأسه بالموافقة وأمسك هاتفه متصلًا بها على الفور:

- ألو، كيف حالك يا إس..

- ألو سعيد بيه، أليس غريبًا موعد اتصالك، مشتاق لي أم ماذا؟

- بالتأكيد مشتاق ويجب أن أراكِ قريبًا، ولكني أريدك في أمرٍ مهم.

- آؤمرني.

- عينة العقار الذي طلبتِه مني والخاص بزيادة الاكتئاب، أتذكرينه؟

تجيبه بكثير من الاستغراب:

- نعم ماذا بها؟ لقد استلمتها واستلمت أنت ما تريده.

- للأسف الموزد بالخارج رفع سعره مرة ثالثة، وعندما رفضت الصفقة، طلب مني إعادة العينة أو أن أدفع غرامة كبيرة.

ترد عليه بكثير من الحدة:

- وماذا تريد مني؟ لقد أخبرتك كانت مهمة خاصة، وانتهت.

- أخبري الباشا الذي أخذها بما حدث ويمكن أن يساعدني هذه المرة، ولن أتأخر عليه في أي طلب آخر فلقد جربني مرة وعلمَ أني أستطيع أن أفعل أي شيء.

يشير له عمر بيديه لاستحسانه ما قاله فتجيبه ساخرة:

- جئت متأخر يا سعيد بيه، الباشا توفى هو وزوجته منذ أكثر من أسبوع.

يبلع ريقه وتتسع عيناه وهو يسألها بصدمة:

- ماذا؟ بسبب ذلك العقار؟

- لا الحمد لله الاثنان توفيا مسمومين، فلا تقلق.

يومئ برأسه خوفًا ثم أردف قائلًا:

- والآن ماذا أفعل أنا في أمر مورد أوروبا؟

- تلك مشكلتك أنت، أنا كنت مجرد رسول بينكما.

- كم أنتِ نذلة يا إس.

فتجيبه باقتضاب:

- دائمًا في الخدمة.

يختم سعيد مكالمته ويشير أنس لعمر أنه سجل المكالمة كاملة، يقفل أنس حاسوبه المحمول وهو يقول لسعيد:

- شكرًا يا سعيد، لقد قمت بزيادة عن المطلوب، ولكن ممكن سؤال أخير، أنا أعلم أنك بالتأكيد سوف تفيدنا فيه، هناك عقار يدعى «الديجوكسين» أين يكون متوفرًا؟

تتسع عين سعيد سعادة على استحسان أنس لأدائه ويجيبه مبتسمًا:

- أنا في الخدمة حضرتك، هذا العقار لا يصرف بالصيدليات، ولكنه متوفر بمستشفيات القلب الخاصة لأنه غالٍ جدًا ولا يصرف إلا بأمر طبيب أستشاري.

- يمكن الآن أن نرحل ونتركك تكمل نومك، هذا إذ استطعت.

ينصرف أنس وعمر وهما سعيدان بما توصلا له ويستعدان للقادم، وأنس ينظر في ساعته وقد مر ١٢ ساعة فقط، يوصله عمر عند منزله بعدما اتفقا أن لكل منهما مهامًا يجب أن ينجزها، فكان لعمر مهمتان أولهما أن يرسل التسجيل الصوتي لمكالمة أسمهان وسعيد للنيابة، حتى يتم استدعاؤها ومواجهاتها بهذا التسجيل الذي يثبت أن مصدر الدواء الذي تسبب في حالة ريهام السيئة جاء عن طريق ياسر وليس هَيلَين، وهذا يثبت صدق هِيلين في أقوالها مما يقوي موقفها قليلًا في القضية وذلك أنها لم تكن تنوي تعمُّد إلحاق الأذى بأختها وكان هذا بنية مبيتة وتعمد من زوجها، وثاني مهامه التحري عن التوكيل المُزعَم بأحقية هِيلين في أملاك ريهام بعد وفاتها، أما عن مهمة أنس فهي البحث وراء صاحبة الحساب المجهول.

يتحرك عمر ويقوم بإرسال حامد لوكيل النيابة ومعه ظرف مغلق به أسطوانة التسجيل مكتوب عليها تُسلم لوكيل النيابة باسمه، فيعود ويُطمئِن عمر بأنه قد أنهى مهمته ولم يتحرك من النيابة إلا بعد أن علم بأمر طلب استدعاء أسمهان للتحقيق وسوف تحضر غدًا صباحًا، ثم ذهب عمر إلى شركة التأمين ليقوم بتحرياته عن البوليصة، ظلّ يتحرى حتى وصل للموظف الذي قام بعملها وكان اسمه «عبد العزيز» جلس عمر بجانبه بعد أن ألقى عليه التحية ثم دنا منه قليلًا وسأله بهدوء:

- أريد أن أعرف بعض معلومات عن بوليصة ما، أنت مَن أنهيت إجراءاتها

لأشخاص يهمني أمرهم.

ينظر له عبد العزيز مبتسمًا:

- تلك أمور خاصة بالعملاء سيادتك، وليس من حق أي أحد أن يطلع عليها.

مد عمر يده في جيبه وأخرج بطاقة هويته وهو يقول له:

- كي تتضح لك الصورة أكثر أنا أعمل على جريمة قتل وتلك البوليصة هي الدافع بتلك القضية وما أريده منك بعض المعلومات عن واقعة إجراء البوليصة ليس أكثر.

ارتبك عبد العزيز بعد سماع كلمة قتل فزاد توتره وبلع ريقه ومد يده وشرب من زجاجة الماء بجانبه ثم قال:

- أنا تحت أمرك في أي شيء.

يومئ عمر مستحسنًا ويبدأ في إعطائه بيانات البوليصة الذي أنهاه لريهام، ما إن رأى الاسم فأدركها وأخبره أنه عندما علموا بجريمة القتل أبلغت شركته الشرطة لتعليق البوليصة لحين انتهاء التحقيقات ولكنه فاجأ عمر بقوله:

- لا يمكن أن أنسى السيدة ريهام بسهولة، فلقد كانت سيدة جميلة وأنيقة بحق ولباسها الأنثوي المثير وكان معاها زوجها، وبالفعل أنهيت معاها إجراءات البوليصة بعد أن استوفيت الأوراق المطلوبة، ولقد بلغتها بسبب عطل في الإدارة المركزية فإن تسجيله على النظام الداخلي سوف يتأخر قليلًا، ولكني وعدتها عندما يتم تسجيله فإنني سوف أرسل إخطارًا لها على منزلها ومعه البيانات الروتينية لأقساط التأمين، وبالفعل بعد ما يقرب من شهر أرسلته لها.

يقترب منه عمر ويقول له متسائلًا بتحفز:

- ومتى أرسلت الرسالة بالضبط؟

- منذ أكثر من أسبوع، لحظة أتأكد.

ينظر في الملف الذي أمامه ويقول:

- كان يوم 9 أغسطس سيادتك.

يدرك هنا عمر أن هذا التاريخ قبل الواقعة بيوم أي قبل اكتشاف هيلين للجريمة بيومين، فيسأله عمر مستفسرًا بحرص:

- هل أختها كانت على علم بتلك البوليصة أم لا؟

- لا يتوقف هذا الإجراء على موافقة الطرف الثاني من عدمها أو حتى علمه بها، الأهم عندنا استيفاء الأوراق المطلوبة والتي ليس من ضمنها عِلم الطرف الآخر.

- هل إذا ثبت تعمد قتل الطرف الثاني الطرف الأول يستحق البوليصة أم لا؟

- بالطبع لا، يخسرها بشكل نهائي ولا يأخذ منها شيئًا، وهذا بالفعل مع حدث.

تركه عمر بعد أن شكره وانصرف ثم أمسك هاتفه واتصل بأنس ويقول له:

- ألو، أنس هل كنت نائمًا؟ استيقظ أريدك بشدة.

- نائم! لا أنسى تلك الكلمة اليومين القادمين، هاه هل وصلت لشيء جديد؟

يكمل عمر حديثه بحماس:

- النيابة استلمت التسجيل وطلبت أسمهان غدًا للتحقيق.

تتقلص أسارير وجه أنس حزنًا وهو يقول:

- غدًا؟ ولماذا لم يطلبوها اليوم؟ الوقت يضيع منا.

- بالطبع صعب، هذا يعتبر إجراء سريع من النيابة وهذا لقوة الدليل في

دوحة الكتب طرابلس

تلك القضية ويغير مسارها.

يومئ أنس برأسه في حسرة ويقول وكأنه يحدّث نفسه:

- تمام، ربنا يقويني.

لم يفهم عمر ما يرمي له أنس فأكمل حديثه بنفس الحماس وأخبره بما حدث مع موظف شركة التأمين وما توصل له في النهاية أن إذا كان دافع هِيلِين في قتل أختها هو البوليصة فلقد سقطت بعد إثبات التهمة عليها وبالأخص بعد اعترافها، فرفع أنس يده متحمسًا وهو يقول:

- وهذا يوكد أنها مكيدة لها، والآن يمكننا من خلال مكالمة أسمهان المسجّلة أن نشكك بأن هِيلِين كانت على عِلمٍ بمصدر الدواء.

- ويظل شهادة مَلَك وأسمهان أمام شهادتها، والسم أداة الجريمة.

يخبره أنس مستنتجًا بشيء من الثقة:

- بالنسبة لأسمهان سوف نعرف قصتها غدًا، ولا أظن أنها سوف تصمد كثيرًا أمام الاتهامات الموجهة لها.

- متفق معك جدًا، هل وصلت لشيء وراء الحساب المجهول؟

تنقلب فرحة أنس لحزن وهو يجيب تساؤل عمر وكأنه يشعر بفشله:

- للأسف لا، فالحساب تم إنشاؤه من فترة قريبة ولم يفتح مرة أخرى من قبل الحادثة بيوم واحد، لكن لن أيأس معه، أريدك منك شيئًا؟

- ماذا؟

يصمت أنس لبرهة ثم يتحدث بتحفظ بعض الشيء:

- ما رأيك أن تقدم لنا على طلب زيارة مع هِيلِين غدًا، على الأقل عندما نراها يكون لدينا أخبار جيدة، ما رأيك؟

يجيبه عمر مصدومًا مستفسرًا:

كوكب الكتب طايبة

- أنا وأنت وهَيلَين معًا؟؟ هل تظن أنها سوف تستوعب هذا الأمر؟؟

- وإذا لم تستوعب، يكفينا أننا نطمئن عليها ونطمئنها.

يستحسن عمر الفكرة ويقول:

- مع كل الحق، سوف أطلب الزيارة، وسوف أهاتفك وأخبرك بموعدها، وإذا وصلت لشيء جديد هاتفني في أي وقت.

***

يجلس أنس مُمسكًا بصديقه الأعز حاليًا وهو كوب القهوة، يرتدي عوينات سوداء فلقد أصبح لا يتحمل الضوء الساطع، يتفقد المارة حوله وهو في طُرقات مبنى النيابة العامة منتظرًا وصول عمر الذي تأخر عن موعده نصف ساعة، فلقد اتفقا على أن يتقابلا بمبنى النيابة ليعرفا نتيجة التحقيق مع أسمهان، ثم يذهبان لزيارة هيلين في محبسها بسجن القناطر، يلمح عمر يتقدم منه ويظهر على وجهه علامات السعادة، وحين يصل له يقول:

- آسف، لقد تأخرت عليك، ولكن عندما تعرف السبب سوف تعذرني

- طمئني؟ وجهك يعلن بأن لديك أخبارًا جيدة.

يشير له عمر أن ينهض وهو يجيبه بسعادة قائلًا:

- قابلت الضابط المسؤول عن التحقيقات في القضية وأخبرني عما حدث مع أسمهان، فمكالمة سعيد المبكرة ثم بعدها بساعات قليلة تستلم طلب استدعاء من النيابة أربكها كثيرًا وظهر ذلك وهي في حضرة النيابة، وعندما واجهوها بالتسجيل رأت أن لا مفر إلا قول الحقيقة.

يبتسم أنس وهو يصارع ضعف جسده وهو يخطو خطواته ليلحق بعمر فيمسك ذراع عمر محاولًا إيقافه أو تنبيه عن الفارق بينهما، وحتى لا يركز عمر في تلك النقطة بادر بسؤاله:

موقع الكتب مرايا

- الحمد لله، وما الجديد في أقوالها؟

- اعترفت أنها كانت تجلب لياسر مقويات جنسية وعقاقير هلوسة عن طريق سعيد، وفي يوم طلب منها ياسر إذا كان سعيد يستطيع أن يجلب له عقارًا معينًا يزيد من أعراض الاكتئاب، وبالفعل نفذت ما طلب منها وسلمت ياسر العقار، وفي اليوم التالي جاءت هِيلِين المصنع وتشاجرت مع ياسر.

يستغل أنس حماس عمر واسترساله في الحوار دون ملاحظة إرهاقه فيستند على ذراعه ثم باغته بسؤال آخر:

- تمام جدًا، وبالنسبة لواقعة المشاجرة؟

- قالت إن ياسر جاء هذا اليوم ولم يكن يريد أن يسمع أي شيء له علاقة بالعمل، وكان متوترًا جدًا حتى أستقبل مكالمة وبعدها بقليل طلب منها الدخول وأغلق الباب عليهما، وتهجم عليها كما قالت، حتى سمعت طَرقًا على الباب فقال لها اختبئي في الحمّام.

يحتل الاستغراب الكثير من ملامح أنس الذي سأله مستفسرًا:

- وبالتأكيد سمعت الحوار والمشاجرة بالكامل، فهل توافقت أقوالها مع أقوال هَيلَين؟

- لا هِيلِين قالت أخف كثيرًا مما دار بينهما، لأنه حديث لا يقال بالمرة، ياسر هذا كان حقيرًا ويستحق أن يُقتل مائة مرة لدناءته.

يستغرب أنس مِن قول عمر فيسأله مستفسرًا وهو يشير لعمر أن يكملا سيرهما نحو السيارة:

- لماذا تقول هذا؟

يزفر عمر غضبًا ثم يجيبه ويخبره بعرض ياسر وصفقته الحقيرة عليها ما إن ينصت أنس له فيقول بحنق:

- فعلًا حيوان، وقليل ما فعلته هيلين معه، ماذا حدث بعد ذلك؟

- تقول إن هيلين اكتشفت وجودها بالحمّام ثم غادرت، وحينها خرج ياسر خلفها يترنح وهو ينزف دمًا من رأسه وصاح في الموظفين اللذين كانا يتابعان ما حدث من خلف الباب. ما إن عاد وأغلق الباب حتى فاجأها بضحكته مما دفعها أن تسأله لماذا فعل ذلك، فأخبرها أنه كان يجب أن يثير غضبها حتى تخرج عن اتزانها ويثبت عليها ردة فعل خاطئة أمام الجميع.

كانا قد وصلا لسيارة عمر بالمرآب ففتحا الباب ودخل الاثنان السيارة، وكان الفضول قد وصل لأعلى مستوياته عند أنس مما قاله عمر فسأله مستفسرًا:

- إذًا لمَ قالت في أقوالها السابقة أن هيلين هددته بالقتل؟

قاد عمر السيارة وهو يجيبه بكثير من الثقة:

- عندما علمت أن هيلين متهمة وعليها أدلة كثيرة تدينها، فرغبت أن تنتقم من تعاليها وغرورها والأخص بعدما سبّتها عند ياسر بالمكتب، انتقام وغيرة نسائية ليس أكثر.

- الحمد لله، يجب أن نخبر هيلين بتلك الأخبار المفرحة.

بعد ما لا يقل عن نصف ساعة من القيادة كانا قد وصلا لسجن القناطر لمقابلة هيلين، ووصلا لغرفة الزيارة وينتظران وصولها، بضع دقائق تمر حتى يسمعا صوت إزاحة قفل الباب الحديدي وتظهر حارسة السجن وفي يديها هيلين بلباس السجن الأبيض، ويكاد الصمت يعلن عن احتلاله لملامحها، تنظر هي للأرض لا تريد أن ترى وجوهًا، بشرتها شاحبة كعجوز في بداية سن الشيخوخة، يقف أنس وعمر عند وصولها وينظران لها بكل حزن وشفقة على حالها، تتركها الحارسة وترجع للخلف خطوتين، ومع رجوعها ترفع هيلين عينيها قليلًا لأعلى لترى من تذكرها في دنيتها الفارغة وأتى لزيارتها، عندما رأت أمامها أنس وعمر اللذين رسما بعينيهما

ضحكة رغم حزن وجوههما، كانت صدمة لم تتوقعها أو يخطر على بالها أن تحدث، كان جسدها أقوى قليلًا من عينيها اللتين تفجرتا بالدموع، وما إن ظهرت تلك الدموع حتى تقدم إليها أنس وهو يقول راسمًا ابتسامة:

- لا بالله عليكِ لا نريد دموع، فلقد جئنا كي نطمئن عليكِ وننقل لك أخبارًا سعيدة.

يتقدم عمر هو الآخر بعده وهو يضع يده على كتف أنس ويقول مازحًا:

- إذا كانت صدمتك بأننا أمامك وقادمون مع بعض فتلك لديك حق فيها، هذا كلقاء أحمد السقا وأحمد عز في فيلم المصلحة، وبالطبع أنا أحمد السقا.

يكمل أنس مزحة عمر ويقول:

- من الممكن أن أشبه أحمد عز في الطول لكن أكثر من ذلك لا أظن.

تضحك هِيلِين وهي تنظر لهما هما الاثنين بمزاحهما المقصود لتخفيف ما بها من هموم، كان بالنسبة لها هذا المشهد أبعد من الخيال أن يحدث، وهنا يتحدث عمر ويقول بشيء من الجدية:

- نحن لم نأتِ سويًا من أجل الزيارة فقط ولكن أحب أن أخبرك أننا نعمل معًا في قضيتك ووصلنا لأشياء كثيرة وبإذن الله البراءة قادمة.

ترد هِيلِين وعيناها تضحك من الفرحة:

- حقًا؟

يحاول أنس أن يمازحها فيقول:

- حقًا تلك من أجل البراءة أم لأننا نعمل سويًا؟ حددي؟

تضحك هِيلِين وهي تقول:

- أن أراكما أمامي بألف براءة.

دوحة الكتب حراجية

يرد أنس بجدية هو الآخر:

- شكرًا سيدتي على تلك المجاملة الرقيقة، حان وقت الأخبار المفرحة، أولًا أسمهان تراجعت عن اتهامك بأنك هددتِ ياسر بالقتل، هذا غير أنها اعترفت أن ياسر هو من طلب منها جلب الدواء الجديد لريهام الله يرحمها حتى تتدهور حالتها النفسية.

لم تستطع هِيلِين أن تتمالك أعصابها فقالت غاضبة:

- كان سافلًا بحق، ربنا انتقم منه ورحم أختي من عذابها.

يرد عمر مطمئنًا وكانت يديه تحاول أن تربت على ذراع هِيلِين لكنه تراجع عنها وهو يقول:

- وهذان يكفيان أن نجعل المحامي يقدم على إفراج بضمان محل إقامتك.

تتسع عين هِيلِين وهي تسأل:

- حقًا من الممكن أن أخرج من هنا يا عمر؟

يجيب عمر بثقة وعيناه يملأهما الدفء:

- طبعًا، ولكن أتظنين أن هذا فقط ما لدينا؟

- هل هناك أشياء أخرى؟

تقول هِيلِين هذا التساؤل وهي تنظر لعمر فيسبقه أنس مجيبًا فتلتفت نحوه وهو يقول:

- بالتأكيد، فيما يخص بوليصة التأمين، فلقد علم عمر من موظف شركة التأمين أن ريهام وياسر عندما ذهبا له لإنهاء إجراءات التأمين...

تقاطعه هِيلِين بقولها مستغربة:

- ريهام ذهبت مع ياسر شركة التأمين؟!

- نعم هذا ما قاله الموظف لعمر، أن ريهام حضرت مع ياسر وطلبا عمل بوليصة تأمين تستحقينها بعد وفاتها، أليس صحيحًا ما أقوله يا عمر؟

فيتقدم عمر خطوة بجواره وهو يجيب:

- نعم وأكد عليّ أنها جاءت مع ياسر وأخبرته أنه زوجها حتى هي لفتت انتباهه بمظهرها الأنيق ولباسها الأنثوي المثير، ما إن فتح الملف حتى تذكرها.

تسأل هِيلِين عمر مستفسرة:

- متى كانت تلك الزيارة بالضبط؟

- قبل وفاة ريهام بما يقرب من الشهر.

ترد هِيلِين مستغربة ما قاله:

- ريهام لم تبارح المنزل قبل وفاتها بأكثر من شهرين، هذا غير أن ياسر النذل هذا أجبرها على عمل توكيل عام له فكيف تقوم ريهام بهذا الإجراء ويكون هو داعمًا لها بتلك الطريقة، ثم ريهام كانت بحالة صحية هزيلة لا يمكن أن تظهر بما يوصفها هذا الرجل بالأناقة المفرطة، هناك شيء خطأ.

ينظر عمر لأنس ثم يوجهه سؤاله لهِيلِين:

- لقد قال الموظف إنه بسبب عطل فني تأجل تسجيل البوليصة ولذلك تعهد بإرسال إخطار بعدما ينتهي هذا العطل ومرفق معه خطاب رسمي لأقساط التأمين على منزلها، ولقد تم إرساله قبل وفاة ريهام بيومٍ واحد.

تصمت هِيلِين قليلًا ثم تقول:

- الآن فهمت كل شيء، في الفترة الأخيرة كانت تأتي لي رسالة شهرية من صديق ما، ولكن قبل وفاة ريهام بفترة أبلغني المُرسل أنه سوف يرسل رسائله بشكل يومي، وخلال تلك الفترة كنت ألاحظ وجود ياسر كثيرًا بالقرب من صندوق البريد حتى إني تشاجرت معه ذات مرة لأنه أمسك إحدى رسائلي الخاصة بداخل الصندوق، ومن يومها انقطعت رسائلي

الخاصة ولم أستلم أيًا منهم، حتى جاء صباح يوم وفاة ريهام وفوجئت بامتلاء الصندوق بكل رسائلي الفائتة التي كان من المفترض استلامها.

يفكر عمر قليلًا وهو يحك بيديه أسفل ذقنه ثم يقول:

- بعد تأكيدك هذا بأن من كانت بشركة التأمين ليست أختك فمن الممكن أن نطعن فيه، وهكذا يكون ياسر المستفيد الوحيد أنك لا تعلمين شيئًا عن البوليصة وبالتالي يخاف أن تقرئي رسالة شركة التأمين، وعندما لاحظ أنك مهتمة بصندوق البريد صب تركيزه أن يخفي رسائلك حتى تفقدي الأمل.

تقاطعه هنا هِيلِين وتقول مضيفة لاستنتاجه بسعادة:

- وعندما استلم الإخطار أعادهم جميعهم للصندوق مرة أخرى.

يومئ عمر برأسه استحسانًا وهو يقول لها:

- توقعك صحيح، وهذا ما يؤكد أن نطعن في صحة هذه البوليصة من الأساس، وهكذا نكون قضينا على الدوافع التي ضدك بالقضية، أليس كذلك يا أنس؟

كان أنس شاردًا قليلًا، وعندما انتبه لنداء عمر الذي تكرر مرتين قال:

- أنا علمت كيف سننهي القضية.

هنا تقاطعهم الشرطية الواقفة بالخلف بانتهاء الزيارة، فيقوم أنس وعمر في توديع هِيلِين التي تقول لهما وعيناها تقولان أكثر من شفتيها:

- زيارتكما تلك ووقوفكما بجانبي عوَّضني كثيرًا عما أنا فيه.

يمد عمر يده ليسلم عليها ويقول لها باسمًا بحنان لم تره عليه من قبل:

- لا تقلقي، قريبًا جدًا سوف نرد تلك الزيارة ببيتك وتعودين تملئي الكون بضحكتك التي ليس لها مثيل.

تجيبه وعيناها تلمعان فرحًا:

- يارب يا عمر.

يترك عمر يد هيلين ليتقدم خلفه آنس ويمد يده ليسلم عليها ويقول وعيناه تنيران شوقًا:

- هانت فعلًا، وأعدك أنها اقتربت جدًا.

تجيبه هيلين وهي تكاد تهمس:

- بإذن الله يا آنس بمجهودكما معي.

- هل تسمحين لي بسؤال؟

- تفضل يا آنس.

ينظر لعمر ثم لها ويقول في فضول:

- مَن مرسل الرسائل الخاصة؟

تسكت هيلين قليلًا ثم تقول:

- هل تسمح لي بعدم الإجابة؟

- أكيد بالطبع.

- وهل لي أن أسأل أنا؟

- تفضلي.

- لماذا ترتدي تلك العيونات السوداء؟

يبتسم آنس ويترك يد هيلين تنساب من بين يديه ثم يقول:

- هل تسمحين لي بعدم الإجابة.

يمر بجانبها ويدنو من أذنها ويهمس قائلًا:

- يمكن لأن الدنيا أظلمت بدونك.

ثم ينصرف أنس وعمر ويتفقان أن يكملا بحثهما على أن يخبرا بعضما بكل جديد.

***

يصل أنس لمنزله، وقبل أن يفتح الباب يتذكر كم هو حقير، كيف ينسى عم أمين طيلة هذه المدة فيذهب إلى باب مسكنه ويطرق بيده عليه مرة، مرتين، ثلاث، ولا أحد يجيب فقرر أن يكسر الباب، تعانف عليه بكل عزمه حتى انكسرت الأقفال عليه وفتح الباب ليشم رائحة ليست مريحة، يجري إلى غرفة نوم عم أمين ودقات قلبه تتصارع مع أنفاسه حتى يصل لها ويجد بابها مفتوحًا فيدخل ليجده نائمًا بالفراش وهو يحتضن عباءته الشتوية المُموهة وبجانب رأسه مصحفًا مفتوحًا يميل بجانب يديه الصامتة بجانبه، يتقدم أنس وهو لا يريد أن يصدق ما يراه حتى وصل إليه فمسك يده ليجدها اكتسبت اللون الأزرق قليلًا ويملأها البرود وكأنه يحتضن سترة نسجت خيوطها من الثلج، اقترب ودموعه تنهار وتسبقه لتسقط على جبينه ويقرأ له الفاتحة وهو يحتضنه بقوة تهتز عضلاته من البكاء فتخرج من صدره صرخة وهو يقلب وجهه في حضن عم أمين، على صوت بكائه وتزداد دموع الحسرة وفقدان وندم على نسيانه تلك الفترة، لعنَ نفسه عدة مرات وسبها على ما أجرم فيه، كيف ينسى من كان له الفضل في تربيته منذ وفاة والده، الوحيد الذي اعتنى به، ظلَ أنس يبكي ويبكي وعندما هدأ قليلًا ورفع رأسه ليجد فوق طيات عباءته ورقة مكتوب عليها.

«احتفظ بكل ما فيها يا أنس، بكل ما فيها؛ هذا ورثي لك»

يفلت أنس عباءته من يده ليجد بأحد جيوبها محفظته الشخصية التي كان لا يلمسها أحد غيره وبعض الورق بخط يده في الجيب الآخر، يفتح الورق ويبدأ بقراءة ما فيها.

«ابني العزيز والوحيد أنس، بعد الدعاء لك، أتقدم بإعلان عن سري الذي لا

يعرفه غيري وخالقي، وعليك عند معرفته أن تضيفه في آخر جزء من كتابي، هذا هو طلبي الوحيد أو وصيتي، عندما عدت من الجيش وعلمت بأن خطيبتي وحب حياتي قد تزوجت وغادرت المحافظة التي أنا فيها، اتخذت قراري بألا أتزوج غيرها فلم أتخيل أن يدق قلبي لأحد سواها، فكان يكفيني أن أراها فقط وأن أعلم أخبارها، دون أن أزعجها أو أعكر صفو سعادتها الزوجية فأنا لا ألومها على أي شيء أو أن أجبرها أن تفعل مثلي، فمن يحب عن حق يحب أن يرى حبيبه سعيدًا حتى ولو كانت تلك السعادة ليست معك، هذا هو الحب النقي وعلى ذلك بحثت عنها كثيرًا حتى عثرت على مكانها وتقدمت بطلب نقل عملي إلى البلد التي تسكنها هي وزوجها، كنت أراقبها من بعيد فكانت من أسعد لحظات حياتي عندما كنت أراها عائدة من حفلة الست أم كلثوم كل شهر والانسجام وراحة البال يملآن وجهها، وحزنت كثيرًا لتأخر حملها لمدة وصلت لـ ١٢ عامًا كانت تحاول مع الكثير من الأطباء لكي تصل لحلمها بالأمومة، واحترمت زوجها كثيرًا بأنه حافظ عليها ولم يطلقها أو يتزوج عليها بسبب تأخر الحمل، اقتنعت بأن الله كان يحبها فكان يحتفظ لها بالأفضل، وجاءت هدية الله أن يجازيهما على صبرهما وبالفعل حملت، لم تصدق كم كانت سعادتي عندما علمت بذلك فكانت فرحتها الواضحة عليها طول فترة الحمل إعلانًا عن سعادتي أنا التي لا تنتهي، ولم أسعد بعدها لأن كان لله حكمة أن تكون ولادتها صعبة ومتعبة مما جعلها لا تصبر حتى تصل للمستشفى وولدت بسيارة زوجها ولعدم وجود ما يسعفها كان قدر الله قد نفذَ وتوفيت هي بعد أن ولدت جنينًا واحدًا، وتوفي معها جنين آخر كان في أحشائها لم تلحق أن تلده فكانت روحها وروحه بين يد الله حينها، ومن يومها وأنا عاهدت نفسي أن أرعى ابنها وأكون سنده وعونه في الدنيا أن أضحي بإغراءات الدنيا من مال أو زوجة أو ترقيات بعملي وبقيت وارتضيت بعملي ككاتب بالأرشيف حتى لا أنقل لمكان آخر، أخذت القرار منذ معرفتي بخبر وفاتها وهو أنني انتقلت إلى مسكنها وأخذت المسكن المقابل لها، وأصبحت جارًا وصديقًا لزوجها، كنت أرعى معه ابنها حتى توفي زوجها وكان ابنها بعمر 9 أعوام، لم يظهر أحد من أقاربه ليكون

الواصي عليه، ولذلك تقدمت بطلب الوصاية عليه وتم قبول طلبي وأصبحت صديقه ووالده وأصبح هو صديقي الوحيد وولدي الوحيد، هو ابتسامتي ودمعتي وشروق شمسي، هو ملذات دنيتي ولا شيء غيره، فرسالة لِمَن فعلت لها كل ذلك، أتمنى أن أكون وفيت بوعدي فأنا عاهدت نفسي أن مِن أجلِك أضحي، ستجد صورة خطيبتي في محفظتي اسمها «سلوى حلمي»، إنها والدتك يا أنس يا حبيبي، ودبلتي محفور عليها اسمها وتاريخ خطوبتنا، لا أعرف هل ستغضب مني أم ستسعد فللأسف لن أكون معك لأعرف رد فعلك ولكني اعذرني فكان هذا أفضل لك ولي، أعظم شيء في الدنيا أن تضحي بشيء غالٍ عليك من أجل شيء أغلى منه عندك، ويجب أن تعلم أن للتضيحة وجودًا، لكن السؤال من يستحق تلك التضحية؟

إمضاء

أبوك عم أمين أفندي»

ختم أنس تلك الكلمات وعينه لا تكاد ترى من الدموع، الدموع التي أغرقت وجهه والورق، يمد يده ليفتح محفظته وبالفعل يجد بها صورة والدته وهي في سن العشرين وتذكرتين لحفل أم كلثوم، ودبلة محفور عليها «سلوى - 31 ديسمبر 1966» حاول أنس أن يقف ولكن لم يستطع، توازنه اختل ووقع على الأرض بجوار الفِراش، ليدخل مجبورًا في حالة إغماء ويقابل توأمه في غرفته البيضاء غاضبًا حزينًا ليسمع صوت توأمه من حوله وهو يقول:

- أهلًا أخي وحشتني.

- اخرس، أنا لست بي طاقة لتحمل سخافتك الآن.

- لقد حذرتك بألا تتحداني، فأنا سوف أسترد حقي منك شئت أم أبيت فلا تكن أنانيًا، فتستحق انتقامي وأستغل غفلتك وأقتل أقرب الناس لك كما فعل توأم رؤوف، لا أعرف لم أعيد تلك القصة فلقد رأيت كل شيء

بعينك.

يحاول أنس أن يسد أذنيه بيديه بكل قوته صارخًا فيه:

- اخرس.

حاول كثيرًا ولكنه شعر وكأن الصوت يخرج من داخل رأسه وهو يقوله له بسخرية:

- كم تحملت من 120ساعة؟ ليس أكثر من 87 ساعة، أنصت لحديث أخيك واقبل عرضي وسلمني روحك طواعية دون عناد، فأنت لن تتحمل انتقامي فلقد صبرت كثيرًا حتى تأتي تلك اللحظة ولن تفلت مني إلا بالدم.

هنا يتحرك أنس بكل غضب ويدور في أنحاء كل الغرفة البيضاء وهو يصرخ فيه:

- اخرجني من هنا لا أريد أن أراك أو أسمعك.

يسمع ضحكات متتابعة ثم يردف توأمه:

- هل ستصدقني إذ أخبرتك أني أحاول فعلًا، ولكنك سلمت نفسك للنوم حتى فقدت الوعي، اعتبرها فرصة كي تتأمل العالم الذي سوف تكمل فيه حياتك الباقية.

وفجأة يجد أنس توأمه يقف أمامه في نفس هيئته ساخرًا وتلمع عنياه سعادة، فيندفع أنس نحوه غاضبًا وبكل عزمه يلكمه فيشتاط توأمه ويمسك بأنس ويرميه أرضًا، ثم يجلس فوقه ويمد يده على رقبته ويمسكها بكل قبضته وعيناه يشع منهما الغضب والحنق وهو يقول له:

- لقد تحملتك بما يكفي ولن أخسر أكثر مما خسرت.

وبدأ يخنقه بكل عنف وأنس يحاول الفرار من تلك القبضة.

***

ينظر عمر من نافذة المستشفى حتى يمر الوقت في انتظاره لإيقاظ أنس

من غيبوبته التي دخل بها منذ يومين، يجلس بجانبه ويتابع مع الطبيب حالته واستيعابه للعلاج، تمر لحظات حتى يجد أنس يفتح عينه ويسترجع إدراكه وحينها يقترب عمر من أنس ويقول له:

- حمد لله على سلامتك، ما الذي فعلته في نفسك؟

تدور عين أنس في كل مكان في الغرفة يحاول أن يستوعب ما حدث أو أين هو حتى يلاحظ عمر الذي اقترب منه فيبادره بسؤاله بما أتيحت له من قوة:

- ما الذي حدث بالضبط؟ أنا لا أتذكر شيئًا.

يجيبه عمر بشيء من الجدية:

- لقد اختفيت مرة واحدة دون أن أعرف عنك شيئًا، حاولت أن أهاتفك مرات عدة ولكنك لم تجب عليّ، فتوجهت للبحث عنك بمنزلك، ولكني لاحظت باب جارك المكسور فدخلت فعثرت على جارك راقدًا بالفراش وللأسف من رائحته تبين أنه مرّ عليه أكثر من ثلاث ليالٍ على وفاته، وأنت بجواره أرضًا تحاول خنق نفسك بيديك، صفعتك عدة مرات حتى شهقت شهقة عالية وغرقت بعدها في غيبوبة طويلة أفقدتك الوعي يومين بسبب حالة جفاف وأنيميا حادة.

يتذكر أنس ما حدثَ لعم أمين وتبدأ عيناه تلمعان بالدموع، يحاول أن ينهض من مكانه لكن عمر يحاول أن يمنعه ولكن أنس يصر على ما يفعله وهو يقول له:

- يجب أن أحضر دفن والدي عم أمين.

يردُّ عمر متخوفًا من رد فعل أنس فينظر في عينيه وهو يربت على يديه:

- كان لا يمكن أن ننتظرك حتى تخرج من غيبوبتك، لأن الله يرحمه كانت جثته وصلت لمرحلة تُلزم الدفن على عَجل.

ينفعل أنس غاضبًا وعيناه تنفجران بكاءً:

- لماذا؟ لماذا؟ عاش عمره كله وحيدًا وعندما رحل رحل وحيدًا، ودفن وحيدًا، أين دُفن؟

- لم نصل لأحد من أهله للأسف، فقدمت طلب وتم دفنه في مقابر تابعة للشرطة.

ينهض أنس من فِراشه ويمسك يد عمر ويتعكز عليه وهو يقول له في حدة:

- يجب أن اذهب له الآن، أوصلني إلى مدفنه حالًا.

يتوقف عمر ويحاول أن يمنعه قائلًا:

- لكن جسدك هزيل وصحتك واهنة وتحتاج يومين آخرين للعلاج، وحينها تستطيع أن تذهب له كما تريد.

يزيح أنس يديه ويمدها نحو الحائط ليستند عليها ليكمل طريقه نحو الباب وهو يقول في حزن:

- أنت لا تفهم شيئًا، ليس أمامي وقت، عندما أنهي ما عليّ فعله أعدني حينها مرة اخرى هنا.

ينزع أنس أنبوب المحلول المعلّق في يده وهو غير منصت لإلحاح عمر بأن يلزم فراشه حتى يستعيد عافيته، يلبس ملابسه ويتحرك بخطوات طائشة غير متزنة وخلفه عمر يحاول أن يسنده حتى وصلا لسيارة عمر وركبا وانطلقا للمدافن.

يصل عمر وأنس للمدافن ويمشيان هما الاثنان حتى يصل عمر لشاهد قبر عم أمين ويشير لأنس ويرجع للخلف حتى يتركه فهو من يحتاج تلك اللحظات منفردًا بها، يقف أنس ويضع يده على الحجر الموجود المحفور باسم عم أمين وهو يبكي ويقرأ الفاتحة وتبتل وجنتاه دموعًا، ثم بدأ بالدعاء له وعندما انتهى وقف وقال:

- آسف لأني لم أكن بجانبك في آخر أيامك، آسف إذا أغضبتك يومًا، آسف

لم أفهم كم كنت محتاجًا للمستي وحضني، آسف لم أفهم حبك الذي لم أرَه من الأقربين، آسف عن كل لحظة كنت بعيدًا عنك فيها، آسف على كل لحظة كنت قريبًا منك ولم أقل لك يا والدي لأنك تستحقها عن جدارة، أنت إنسان لن يتكرر، أنا مُقدّر كم كان حِمل سرك صعبًا عليك، والأصعب أن تبوح لي به، فقط حتى تعلمني درس التضحية، لم يضحِّ أحد مثلك ولم يأخذ مقابل أمام تضحيته سوى أن يرى قطعة من حبيبته تكبر وتنمو أمامه، ربنا يرحمك ويجازيك خيرًا بما فعلته معي ولقد تعلمت الدرس جيدًا يا أستاذي، أقصد يا والدي».

يتحرك أنس وعمر يجري خلفه محاولًا فهم ما يفعله فيمسك ذراعه حتى يوقفه ويصيح فيه قائلًا:

- أين تذهب؟ أخبرني بما تريد فعله؟

- أريد بعض المال كي أنجز بعض المهام، فليس بتلك الملابس شيء.

يترك عمر ذراعه وهو يقول له في هدوء:

- طلب بسيط، تعالَ معي كي أوصلك حيثما تريد.

- لا أنت لديك مهام أخرى ويجب أن تنفذها كما سأخبرك.

يبدأ أنس في إبلاغ عمر بما سوف يفعله ثم يتحركا هما الاثنان على أن يكون اللقاء بعد 3 ساعات بعد تنفيذ المطلوب منهما.

***

يجلس عمر بطاولة بعيدة بأحد المقاهي على موعد مع ضيف كان قد اتصل هو به وقد استعجل موعد لقائه معه، لم يتأخر كثيرًا حتى ظهر واقترب من عمر ليقف عمر مرحبًا به وكان هذا الضيف هو «مَلَك»، تجلس مبتسمة واثقة من نفسها كثيرًا وتميل برأسها مبتسمة لعمر الذي يقول لها بلطف:

- آسف لأن طلبت مقابلتك بهذه السرعة وذلك من أجل شيء هام جدًا،

- على النيابة مباشرة كما أمرتني.

تتابع ملك مفاردة عبد العزيز ولكنها تنفاجأ هنا بمن يسحب مقعد بجانبها ويشاركهما الطاولة لترفع عينها لتجده أنس ممسكا بحاسبه المحمول ومبتسما لها ويقول:

- هل من الممكن أن تتماسكي اكثر. أولا لأن التوتر ينتج عنه تعرق والتعرق يذيب مساحيق التجميل وأنا أريدك بكامل أناقتك فلديك مقابلة مهمة بعد قليل. ثانيا حتى نكمل حوارنا بشكل يليق بك يا «الأنثى الوحيدة».

تسمع هذا الاسم وتقف سريعا محاولة للهرب، ولكن يقبض عمر على يديها ويجذبها نحو المقعد وهو يقول لها صارما:

- لا تحاولي فعل شيء يزيد ما عندك. فيجب أن تنصتي جيدا للأستاذ وتجاوبي عليه بكل صراحة.

تجلس متوترة وتبلع ريقها وينساب العرق منها وتنظر لأنس الذي يقول لها:

- بالتأكيد تريدين أن تعرفي كيف وصلت لحسابك رغم احتياطاتك الكثيرة، الأمر وما فيه هو الرابط الذي أرسله لك عمر ما إن ضغطت عليه حتى استطعت اختراق هاتفك ومنه لأشياء أثمن وأغلى.

يشير أنس لشاشة حاسبه وهي تتابع حديثه والرعب يسيطر عليها، فاردف قائلا:

- واضح أن ما يربطك بياسر ليس أنك صديقة وزميلة زوجته بالعمل فحسب بل هناك محادثات ساخنة وصور ساخنة أوضحت الكثير عن تلك العلاقة.

- اخرس.

يشير لها أنس باسطا يديه وهو يقول:

- اهدئي فأنا لم أر في حياتي مجرما بهذا الغباء، فلقد حذفت كل المحادثات التي بينك وبين ياسر من حساب «الأنثى الوحيدة»، لكنك احتفظت بنسخة منه على هاتفك.

فيجيب تساؤله عمر مازحا:

- كانت تريد أن تحمي نفسها من ياسر، فهو لا عزيز لديه.

يكمل أنس حديثه وهو يوجهه لعمر:

- ظنك صحيح يا عمر، انظر ما في المحادثات فالأستاذة ملك هي صاحبة فكرة دواء زيادة الاكتئاب واقنعت بها عاشقها حتى يدفعوا ريهام للانتحار، وذلك بعد ان فشلا في دفع ريهام على الحمل والإجهاض في فترات متقاربة لعل وعسى تتوفى في اي محاولة منهم، لكن كان له رأي آخر.

هنا يدير أنس وجهه نحوها ويكمل قائلا:

- أراد ياسر أن يضيف لتلك الخطة ويزيح هيلين من طريقه وتحمل هي كل الاتهامات ويستولي على كل تركة عمه غير الشقيق لوالده فلقد كان يسعى طول تلك الفترة للانتقام منه بتشويه اسمه التجاري هذا غير السادية التي مارسها من بنتيه، بسبب اذلاله الدائم لأبيه الناتج من فرق الثروة والتعليم بينهما، فرتب مع ملك حادثة المصنع فكانت تنتظره هي بالأسفل بعد ان افتعل مع ريهام مشاجرة بسبب الإنجاب، ثم نزل وسلمها العلبة لكي تؤدي دورها ونطلب هيلين وتبدل الدواء بالدواء الجديد، حتى تثبت مع هيلين واقعة لا تستطيع إنكارها.

يراقب أنس توترها المتصاعد فبدات قدماها بالاهتزاز بشكل انفعالي كبير وهو يكمل حديثه:

- وكي يكون لدى هيلين دافع لتخلص من أختها ذهبت مع ياسر بعد أن استطاع عمل بطاقة مزورة لها باسم ريهام بالإضافة لاستغلال حالة ريهام وعدم تركيزها فجعلها توقع على باقي الأوراق بالمنزل وذهبا لشركة التأمين مستوفيين الأوراق المطلوبة وطلبت عمل بوليصة تأمين بمبلغ

كبير يحق لهيلين بعد وفاتها. بوليصة لا ريهام أو هيلين تعلمان عنها شيئا.

تنظر لهما ولا تعرف ماذا تفعل وتزوغ عيناها يمينا ويسارا محاولة أن تجد مهربا، ولكن أنس يلاحظ فيكمل بشيء جاذبا انتباهه بقوله:

- لكن هناك محادثة أخرى مع شخص يدعى «بديع» وهو يعمل بصيدلية داخلية بمستشفى السلام للقلب، ولقد اتفقت معه أن تشتري منه عقار الديجوكسين ولقد فاجأها بطلبه مبلغا كبيرا مما دفعها لسحب المبلغ من حسابها قبل الحادث بيوم واحد.

هنا يدنو أنس بوجهه منها ويقول لها مشمئزا:

- أريد أن أعرف لم كل هذا الحقد والغل الذي يجعلك ان تقتليهما، لماذا كل هذا الكره لصديقتك؟

ترفع رأسها نحو أنس وهي تقول بكل غضب متحدية هجومه:

- هذا حقي.

- حقك؟

ترفع يدها اليمنى وتعض عليها بأسنانها ثم تتركها وتجيب بحدة ناظرة لأنس بحقد:

- نعم حقي، حقي من ريهام البغيضة، ريهام التي سلبت مني كل شيء، لقد أحبها الجميع ونافقها الجميع، هي منتصف دائرة أي شيء ونحن نطوف حولها، هي من تمتلك المال ونحن المحتاجون، وحينما تزوجت اختارت من كان يطاردني حتى أبتسم فقط له، كان يحبني أنا ولكنه تزوجها هي حتى يرضي والدها، ولقد اعترف لي بذلك بعد زواجهما بعامين وبالأخص بعدما ولدت له ريهام طفلا مشوها مثلها وتوفي بعدها.

ترفع يديها وتزيح بعد خصلات شعرها خلف أذنها وهي تقول بثقة وعيناها تلمعان سعادة:

- حينها عاد لي أنا، وقال إنه يحبني ويريدني أنا فقط، لا أحد غيري

ففكرت له كيف نتخلص من ريهام ولكن كنت أريد تعذيبها كثيرا وكثيرا قبل أن تموت، تحمل وتجهض، تحمل وتجهض، وكان جسدها الضعيف يساعدنا كثيرا على نجاح خطتنا تلك وإذا طال الحمل فلجأ لإعطائها دواء خلسة في أي مشروب يعجل بالإجهاض. ولقد لاحظت ان ياسر شاركني متعة التلذذ بتعذيبها فعلمت كم يبغضها مثلي. كنت اتمنى أن تموت في أي مرة، ولكن الحقيرة كانت حتى في الموت محظوظة.

ينظر لها عمر وأنس باستحقار واشمئزاز فتكمل هي كلامها غير مهتمة بتلك النظرات:

- وعندما فشلت تلك الخطة، رأينا أن نستغل حالتها النفسية المهلهلة ونضغط عليها من خلال الدواء الجديد بجانب ضغط ياسر عليها بافتعال المشاجرات، وحينها جاء دوري أن اقنعها بطريقة غير مباشرة أن تتخلص من هذا العذاب وتنتحر، حتى وصلت في النهاية إنها هي من طلبت مني أن أجلب لها السم كي ترتاح من تلك الحياة الذابلة، وعندما أخبرني ياسر بوصول خطاب شركة التامين وهذا يعني أن البوليصة أصبحت مفعلة بشكل رسمي، فوفرت السم لريهام كما اتفقت معها لكنها فاجأتني يومها أنها نقلت صورة من هاتف ياسر لهاتفها تحتوي على وضع مخل له مع أسمهان.

ازداد وجهها احمرارًا وهي تكمل غضبًا:

- فشاط عقلي غضبًا وقلبت الخطة راسًا على عقب، فأقنعت ريهام أن ياسر هو السبب في كل هذا وهو من يستحق الموت وليست هي وبالفعل اقتنعت، لكني تفاجأت عندما اكتشفوا الجريمة أن ريهام اختارت نهاية أكثر رومانسية أن تنتحر معه، ظنت أنها الحقيرة جوليت وياسر السافل هو روميو. لم أرَ مثلها في الحقارة والغباء.

يصدم عمر من كم الحقد والشر الجالس أمامه ويقول:

- وبالتأكيد أنتِ من أرسلتِ لمديركم بالشركة طلب الزواج؟

تعلو ضحكاتها وتجيبه ساخرة وعيناها تشعان شزرا:

- كانت حركة صغيرة أشود بها سمعتها، كان أمامي الهاتف وهي في حالة إغماء فلماذا لا أستغل تلك الفرصة.

يقف عمر وأنس وهما ينظران لها بنقزز وكره شديد ثم يقول عمر:

- تفضل يا طارق باشا المتهمة تستطيع أن تكمل معها التحقيق بمكتبك وأنس سوف يرسل لك نسخة من التسجيل.

يظهر الضابط طارق خلفها، ويلقي القبض على ملك حيث كان يجلس بطاولة بالقرب منهم وأنصت لكل شيء؛ فلقد أحضر معه إذن النيابة بهذا التسجيل وبإلقاء القبض عليها.

ينظر أنس وعمر لبعضهما مبتسمين ثم احتضنا بعض متفاخرين بما انجزاه. وهنا يربت انس على كتف عمر ويقول له:

- أريدك أن تذهب لهيلين وتظل معها حتى تنهي إجراءات الإفراج وتهاتفني.

www.maktabbah.blogspot.com

النهاية

تخرج هيلين من سرايا النيابة بعد الإفراج عنها لعدم كفاية الأدلة ضدها، وقد اعترفت ملك بجميع جرائمها، لتجد في انتظارها بالخارج عمر فتفرح كثيرًا والتفت حولها وسرعان ما تسأل عمر:

- أين أنس؟ لماذا لم يأتِ معك؟

- أنس اخبرني ان لديه عدة أمور سوف ينهيها. فلقد توفي عم أمين منذ عدة أيام وهو في حالة سيئة.

تصدم وتصرخ باكية فيحاول عمر تهدئتها ولكنها سرعان ما طلبت منه بالحاح قائلة:

- هاتف أنس الآن.

يحاول عمر الاتصال بأنس اكثر من مرة، ولكنه لا يجيب فيحاول أن يطمئنها ويقول:

- لا تقلقي يمكن أن يكون بمنزله، هيا بنا نذهب له سوف تكون مفاجئة جميلة بالنسبة له.

تقتنع هيلين قليلًا وتركب السيارة مع عمر ويتحركان وهما في طريقهما نظر لها عمر متأملًا وجهها الشاحب الصامت فقال لها:

- اريد أن اخبرك بشيء مهم ولا مفر يجب أن تعرفيه الآن، عندما هاتفني رؤوف قال لي: «لقد قتلت عشقيتك يا عمر، لن تأخذها مني، فشروق ملكي» لم أستطع أن أمنع نفسي من اللحاق بهذا المجنون في محاولة لإنقاذ وإنقاذ أسرته، ولكن ما إن وصلت كان قد فات الأوان، فلقد صدق في قوله وقتل زوجته وابنه وعندما وجدته ما زال حيًا هرعت كي أساعده وما إن أنزلته ووجدته ما زال يتنفس، فطلبت من حامد أن يتركني معه منفردًا، كي أعترف له بأن كل ظنونه خاطئة لم تكن بيني وبين شروق أي شيء، لا أريد أن يموت أقرب صديق لي وهو يظن بي

ذلك، أخبرته أن كل هذا مجرد هلاوس وظنون واهنة تحكمت فيه، حتى أصبح يسير وهو نائم وحاول خنق شروق وهو نائم، فلقد سألت طبيبا عن حالته وقال إنها تسمى «السرلمة» او السير النومي، وكل ما ظهر عليه من أعراض تؤكد ذلك. وأنا في غرفته رأيت رسالته لشروق على المرآة، عبارة «أنت ملكي» والتي تعكس خلفها مكان جثتها الذي ثبت أنه قتلها فيه قبل أن ينقلها، ووجدت في الغرفة مجموعة كبيرة لصوري مع رؤوف قام بكتابة كلمة «خائن» فوق وجهي، أخفيتهم في ملابسي وخفت أن تكتشف فتتلوث سمعته وسمعتي، حتى عندما ذهبت له للمستشفى وكان يلفظ أنفاسه أخيرة، اخبرني انه كان في صراع مع صوت بداخل عقله يخبره بكل شيء بغيض حتى قال «هو من جعلني اقتلهما بيدي لست أنا، وكان يجب أن أقتله» وما دفعني أن أكمل في تلك القضية عندما لاحظتك في مسرح الجريمة وعلمت أنك لن تتركيها بسهولة فقررت ان اتابعك كالعادة وكانت هي فرصتي في أن اقترب منك أكثر، كان هذا سري الذي اردت أن اخبرك به لكن شاءت الأقدار أن يكون هذا هو الوقت للاعتراف ولا يجب أن يتأخر عن ذلك.

لمح بعينه وجهها الشاحب المنصت له فأكمل:

- يجب أن تعلمي كل شيء عني فلقد ولدت يتيم الأم وعشت وحيدا، ألفت صدمتي في من حولي وونست هجرهم لي، تقبلت الاعتذارات التي عقبت الخيانة، اقتنعت بسلب حقي في الحزن، حتى أصبحت فتات إنسان متهالك، نعم لقد استسلمت لا أنكر، ما أعرفه أنه برغم كل هذا أحببتك أنت، فحاولت أن اضحي بكل قناعاتي السابقة من أجلك.

لم تجبه سوى بنظرة ثابتة تلين بابتسامة خفيفة ثم ظلت صامتة وكان قد وصلا لمنزل انس فنزلت هيلين وهي تنظر بحزن لهذا المبنى الذي قابلت فيه أطيب قلب عرفته فزفرت عيناها دموعا حزنا على عم امين، حاول عمر كثيرا الاتصال بأنس، ولكن لم يرد فصعدا الدرج مسرعين حتى وصلا للباب، اتصل به ليسمع رنين بالداخل ولكن لا مجيب فقرر أن يكسر الباب، ما إن دخلا حتى صرخت هيلين وهي ترى أنس راقدا على الأرض،

ويده اليمنى تقبض على مظروف كبير ويده الأخرى تمسك بعلبة دواء فارغة فأسرع عمر واقترب من صدره منصتا فعلم أن قلبه ما زال ينبض فحمله وأدخله سيارته وعاد به للمستشفى مرة أخرى ومعه هيلين يجتاح وجهها القلق والتوتر.

يقفان بجوار باب غرفة الإنعاش ينتظران أن يطمئنا على حالة أنس، تنظر هي شاردة في هذا المظروف الذي كان أنس يقبض عليه بيده والذي كتب عليه من الخارج بسلم لهيلين. قتلها الفضول ففتحته وسط مراقبة عمر لها لتجد به عدة أوراق فتبدأ بقراءتها.

«حبيبتي هيلين رغم كل شيء، يجب ان اعترف بحبي حتى لو لم يبق لي حياة، لا أريدك أن تقطعي قراءة تلك الرسالة مهما حدث، أكمليها حتى النهاية، فسوف أطلب منك أشياء لم أتخيل أن تفعليها ولكن يجب أن تفعليها من أجلي، انا احبك منذ أكثر من عشرة أعوام، ولم يكن لدي الجراة أن أعترف بعشقي لك.»

يظهر على هيلين الوهن فتجلس على درج السلم وهي مبتسمة ومع استغراب عمر الذي وقف يراقبها منتصبا بجانبها وهي تكمل قراءتها.

«اعترافي هذا يخص عمر عندما تبين لي ولك أن اصابع الاتهام تشير إلى علاقة عمر بشروق، شعرت بأنني يجب أن استغل هذا الموقف أمامك وأزيد صورته سوءا، وهذا كان موقفا شريرا مني، أعرف ذلك، ولقد ندمت عليه، وأعترف بخطئي في حق عمر، فلقد قلت لك إني وجدت على هاتف شروق أنها كانت تجري مكالمات كثيرة مع عمر على حساب الواتس أب حتى لا يتم تسجيل المحادثات، كان كل هذا كذبا وافتراءً مني على عمر حتى أحاول أن أكسب جولة أمامه في المنافسة على حبك، وأنا أعتذر لك وله بشدة.»

تلمح بعينيها من أسفل عمر المراقب لها ثم تكمل قراءة:

«وعن قضية رؤوف والإسقاط النجمي، وما وصلت له بسبب تلك التجربة فلقد اكتشفت من خلالها وتفاجأت أن لي أخا توأما توفي لحظة ميلادنا،

فكانت التجربة كاستدعاء لروح توأمي المعلقة ومنها يمكن أن يبدل روحه بروحي ويتسلم هو جسدي وأصبح أنا روحًا معلقة معه تنتظر الخلاص بوفاته، ولا أكذب عليك كنت احاول ان أتحداد ولكنه كان وغدًا شريرًا يعلم أنني لم أستطع أن أقاومه. فكيف يقاوم الجسد البشري النوم لأكثر من 5 أيام متصلين هذا بالإضافة لتشبع جسدي بالإرهاق والوهن، فلقد استغل تلك الجلسات في البداية حتى يسلب مني في عالمه ما يريد وخدعني واوهمني برؤية مشاهد من حياة رؤوف كذبًا، فكنت أرى مشاهد مزيفة من صنعه هو، ليست لها علاقة بحياة رؤوف من قريب أو بعيد، حتى أكذوبة شقيق رؤوف التوأم كانت لعبة وحيلة قذرة حتى يهددني من خلالها بعد أن يكشف نفسه لي بألا أجرؤ على تحديه وأسلمه روحي طوعًا، وما كان يفعله أنه كان يريني ما أريد أن أراد ليس أكثر وهذا من خلال ذكرياتي وأفكاري، فعندما عدت بالذاكرة لمشاهد حياة رؤوف وجدتها ليس بها شيء جديد، كانت مشاهد تثبت ما أريد أن أصدقه أنا ليس إلا، استطاع أن يخدعني بصنع تلك المشاهد الوهمية، وكان أقصى ما فعله حقيقي معي هو أنه ساعدني أن أزور مكان ما بروحي وهذا بالفعل ما تستطيع أن تفعله تجربة الإسقاط النجمي بعد أن تتقنها عدة مرات وليس من أول جلسة كما توهمت فلقد كانت أول أربع زيارات لعالمه مجرد خدعة منه ليس أكثر فأنا لم تنجح معي ولا تجربة إسقاط نجمي بالشكل الصحيح إلا التجربة الخامسة بعد مساعدة منه، وبعد وفاة والدي عم أمين أدركت كم للتضحية وجود في هذا العالم البغيض وامنت بها، فما علمته عنه كان مثالًا للتضحية النبيلة وهذا ستعرفينه بالتفصيل بكتابه الذي أوصيك أن تطبعيه باسمه كما أراد بعنوان «من أجلك أضحي»، وكان على ذلك أن أستفيد من تجربة هذا الرجل العظيم، فيجب علي أنا أيضًا أن أضحي، ولكن من يستحق هذه التضحية؟ والجواب على ذلك السؤال كان بسيطًا «أنتِ»، أنتِ من تستحقين أن أضحي من أجلك»

يظهر على هيلين علامات الذهول والخوف وتلمع عيناها دموعًا ثم تكمل.

«عندما تركت عمر عند المدفن، ذهبت لمنزلي وأخذت قرارًا أن انتهز

فرصتي الأخيرة وأستغل الإسقاط النجمي في مقابلة روح أختارها، تجيبني بنعم أم لا فقط مثل لعبة ويجا، ولقد وافق توأمي على ذلك مقابل أن أستسلم وأسلمه جسدي بعد أول غفلة لي، فاخترت أن أسأل روح ريهام عن شكي في ملك وأكدت بنعم، وما بقي هو الاعتراف الرسمي وهذا ما ساعدني فيه عمر. اتمنى أن تشرحي لعمر كل شيء فهو الآن سندك، عمر يحبك من قلبه ولكنه كان أسرع مني في إظهار حبه لك، فلا تخسريه، وفي النهاية كان هذا اختياري في الرحيل لأني أحترم الراحلين في صمت، فبرغم صدمة الرحيل فهو يجعلنا الذكريات الجميلة تعيش، كما قال والدي عم امين لي من قبل.

حبيبك للأبد.. أنس»

«هناك طلب أخير، خلف هذه الورقة يجب أن تقراود جيدا انت وعمر وتستوعباه وتنفذاه مهما حدث... مهما حدث»

ينتظران هيلين وعمر خروج الطبيب من غرفة أنس، وبالفعل يخرج الطبيب فيقومان ليسألاد عن حالته ويخبرهما أنها غير مستقرة، فحالته الصحية ضعيفة جدا، يدخلان هما الاثنان الغرفة وينظران لأنس الممتد على الفراش، ينتظران حتى يفيق قليلا ليطمئنا عليه، وبعد مرور ساعتين يبدأ أنس في استعادة وعيه فيفتح عينيه قليلا ليرى على يمينه تجلس هيلين وعلى يساره يقف عمر فيبتسم لهما ويقول:

- حمد لله على السلامة يا هيلين.

تجيبه وعيناها تلمعان فرحا قائلة:

- الله يسلمك كيف حالك أنت الآن؟ ولماذا فعلت ذلك؟

يحاول انس أن ينهض من رقدته قليلا، ولكن لا تسعفه عضلات جسده المرتخية، ولكن يجد يد هيلين تسرع وتربت على يديه لتمنعه من الحركة والجهد الزائد فيستريح مرة أخرى ويجيبها قائلا:

- الحمدلله أفضل الآن، ما حدث لي ليس بقليل يا هيلين، فالضغط

العصبي من السهل أن يؤدي للانتحار. اليس أفضل من أن أسلم جسدي لشخص لا يستحق.

يدنو منه عمر وعيناه يملأهما الفخر قائلا:

- بالفعل يا أنس ما فعلته لا أحد يستطيع ان يفعله، ولكن هيلين تريد أن تخبرك بشيء.

تجلس هيلين بجوارد على الفراش، ولكن تتغير نظرتها بشكل كبير مما زرع في قلبه الكثير من الريبة التفت لعمر ليجدد مثلها ينظر له بشكل غريب، فنظر أنس لهما بخوف. وحاول أن يمد يده ليضغط على زر طلب الممرضة بالخارج ليجد عمر يمسك يده ويقبض عليها ويقول:

- لقد أخبرنا أنس في ظهر رسالته أنه استسلم ولن يستطيع المقاومة اكثر من ذلك. وبالأخص بعدما علم ان توأمه يمكن ان ينفذ تهديده من خلال التحكم في جسدد وإيذاء شخص أخر او إيذائه هو نفسه كما حاول خنقه من قبل، فقرّر أنه سوف يأخذ منوم حتى يوهمك بانه دخل للنوم وهو في حالة رضا واستسلام وتصدق انه سلمك روحه. وعندما يفيق لن يكون هو الذي أمامنا بل توأمه، ولقد وصانا..

هنا ينقض عمر على يد أنس الأخرى ويثبتها ويريح بجسدد على صدره ليمنعه من الحركة ويحكم قبضته عليه، فيصرخ أنس فيه بغضب وعينان تتسعان من الحنق قائلا:

- خاين العهد، الأناني الحقير، هذا حقي يجب أن يضحي من أجلي كما ضحيت من أجله، هذا حقي أن اعيش بجسد وروح.

هنا يشير عمر لهيلين بأن تحضر الوسادة، وبالفعل تأتي وتضعها على وجهه بكل قوة وتكمل هيلين وهي تهمس بغضب:

- لقد وصانا أن نقتلك، فأنت لا تستحق أن تعيش حياة ليس ملكك، استطعت أن تستغل حماسه بدخوله تجربة الإسقاط النجمي لتخلق تجربة مزيفة وهمية كانت ليس أكثر من كونها مجرد أضغاث حلام، وكانت

لمحاولات الصفاء الذهني التي قام بها انس هي من جعلته يكون بها واعيا أكثر، فاستطعت أن تستغل ذكرياته وأفكاره في صنع مشاهد وخيالات وهمية تثير حماسه وتعلقه بتلك التجربة كي تسلب منه حواسه ثم روحه، كائن بهذا الشر لا يستحق أن يعيش في جسد مثل انس، فأنت لست مثله، ولن تكون أبدا، أنس يجب أن يدفن مع روحه الطيبة.

ما إن أنهت تلك الكلمات وكان جسد انس أسفلها قد خمد وسكنت مقاومته وتوقفت أنفاسه، وعندما تأكد عمر من ذلك أشار لهيلين أن تعيد الوسادة مكانها وإعادة ترتيب الفراش والغطاء عليه، وبعدها تخرج صارخة في طاقم التمريض حتى يسرعوا في إنقاذه، ولكنهم عندما يدخلون ويحاولون معه يخرجون ويخبروهما بأنه لا مجال لإنقاذه لقد توفي، تصرخ هيلين في حضن عمر وهي تقول:

- الآن أنس ارتاح أليس كذلك يا عمر؟

يضمها عمر ويجلسان بجوار الغرفة ليستعدا لمراسم الجنازة والعزاء في صديقهما أنس.

***

بعد ليلتين من وفاة أنس تخرج هيلين من باب منزلها لتجد صندوق البريد به الرسالة الأخيرة المنتظرة فتتراقص فرحا فلقد عثرت بداخلها على آخر قطعة بازل التي سوف تكمل اللوحة التي انتظرت أن تراها كاملة، وضعتها بمكانها وظلت تتأمل اللوحة لدقائق، ثم تذكرت الرسالة فهرولت نحوها حتى تعرف هوية عاشقها المجهول بعد طيلة تلك الفترة، ففتحت طيتها وبدأت بقراءتها بشغف:

- «اعترافي الأخير.. بعد القبلات الحارة، سيدتي أنا المجهول عن عقلك كما رغبت، لكن عن قلبك فهو معلوم، عاشقك الوحيد الذي يعرف عنك كل شيء وأي شيء، ماذا تحبين؟ وماذا تكرهين؟ ما ألوانك المفضلة؟ ما الأغاني والأشعار المفضلة؟ أقتنعت باقتناعك بحق ريهام في إنهاء عذابها والانتقام من ياسر عندما أخبرتك بما خططت له في آخر مقابلة بينكما

وشاهدتها وهي تضع السم بأواني الطعام التي أعددتها لهما، أعلم كم تعذبتي حينها لكن ما عانته ربهام كان كثيرا جعلك تقبلين بالقتل الرحيم لها، أنا عاشقك الذي آمن بعدم افتعال بما يحدث حولك من تطور في التواصل وظهور مواقع التواصل الاجتماعي وإصرارك على مبدئك دائما «القديم أفضل»، وما كان أمامي إلا أن اتواصل معك بالطريقة التي تفضلينها وهي الرسائل الورقية، عاشقك المجهول هو انت يا «هيلين» فليس هناك من يقدر حق المقدرة بعد وفاة والدك غيرك أنت فقط ولن يحبك أحد بعده، ثقي في ذلك، فبعد والدك مات أبناء آدم.

إمضاء

هيلين»

ما إن أنهته حتى وضعته بداخل ظرفه ورمته بصندوق بجوار زملائه السابقين، ونزلت لأسفل فراشها وأخرجت علبة بازل جديدة مكونة من مائة قطعة للوحة «فصل الربيع» للرسام الفرنسي بيير اوغست كوت، سحبت منها قطعة ووضعتها بظرف مميز وامسكت ورقة وقلم حبر أحمر وبدأت بكتابة رسالة بعنوان «اعترافي الأول».

***

شعرت ببلل أسفل قدميها، ومنها ضربات قاسية متباعدة أسفل بطنها ثم صرخت صرخة عالية لم تفق من ألمها إلا وهي ترى حركة سريعة للممرضات في غرفة العمليات وبجانبها يقف زوجها عمر ممسكا يديها وينفخ في وجهها لتهدئتها قليلا، تشنجات عضلية والتواءات في جسدها، والطبيبة تحاول أن توجهها للولادة بشكل صحيح فحالتها صعبة، لحظات من التوتر والارتباك الكثيرة ومع صرخة عالية من هيلين تسمع معها صرخة مولودها فتهدأ قليلا وتهدأ معها أنفاسها، ويمسح عمر جبينها من العرق مبتسما فتقول الطبيبة بسرور:

- أنس؟ لقد أخبرتني من قبل أنك سوف تسمين المولود أنس إذا كان ولذا

وريهام إذا كانت فتاة.

فتطلب هيلين ان تحمله وقبل ان تمسكه بيديها، تطلب الطبيبة إبعاد المولود عنها وتطلب منها ان تدفع بكل قوتها لظهور جنين ثان بداخلها، فتتفاجأ هيلين وتنظر لعمر المستغرب هو ايضا، فهي كانت تصر على عدم معرفة نوع الجنين، ولم تعلم أنها كانت حاملا في توأم. فكانت ترفض أن تُعرض على جهاز «السونار» بسبب تمسكها بمبدأ «القديم افضل».

تبدأ الطبيبة في توجيهها أن تأخذ أنفاسها بهدوء ثم تدفع، حتى صرخت صرختها العالية، ولكن تلك المرة لم يصحبها صرخة طفلها لتنظر لها الطبيبة وتقول وشفاة تنقلب حزنًا:

- للأسف الجنين الثاني توفي، ولكن ربنا عوضكما بأنس، الله يحفظه من أي شر.

تمت

www.maktabbah.blogspot.com